المجلس البلدي - لمدينة تيزنيت
مؤسسة الشيخ مربيه ربُّه
لإحياء التراث والتبادل الثقافي
سوس والصحراء المغربية
تواصل ثقافي وحضاري
أعمال مهداة إلى الفقيد الأديب والمقاوم
ماء العينين علي مربيه ربه

مؤسسة الشيخ مربيه ربُه
لإحياء التراث والتبادل الثقافي

المجلس البلدي - لمدينة تيزنيت

سُوسُ وَالصَّحرَاءُ المَغرِبيَّة

تَوَاصُلٌ ثَقَافِيٌّ وَحَضَارِيٌّ

أعمال مهداة إلى الفقيد الأديب والمقاوم

ماء العينين علي مربيه ربه

يوم الأحد 12 يوليوز 1998

بسم الله الرحمن الرحيم

الكتاب : **سوس والصحراء المغربية**

تواصل ثقافي وحضاري

أعمال يوم دراسي مهداة إلى الفقيد: **ماء العينين علي مربيه ربه**

الخطوط : أحمد المعتصم - تارودانت

لوحة الغلاف : محمد بلهدان - تزنيت

التصفيف : محمد رايس - إنزكان

رقم الإيداع : 1999-45

الطبعة الأولى : 1419هـ-1999م

طبع هذا الكتاب على نفقة المجلس البلدي

لمدينة تزنيت

المرحوم: علي ماء العينين مربيه ربه

- ولد الفقيد سنة 1934 بقرية كردوس دائرة تافراوت إقليم تزنيت.

- تلقى تعليمه الأولي على يد والده العالم المجاهد الشيخ مربيه ربه بن الشيخ ماء العينين، حيث حفظ القرآن الكريم وفنون اللغة وعلوم الدين.

- في سنة 1942 التحق بالمدارس الإسبانية لمتابعة دراسته.

- في سنة 1953 انخرط في صفوف الحركة الوطنية، والتقى بأهم زعمائها آنذاك.

- في سنة 1956 شارك في مؤتمر أم الشكاك الذي ترأسه الشيخ محمد الأغظف بن الشيخ ماء العينين، ثم انخرط في صفوف جيش التحرير، مما جعله متابعا من قبل السلطات الإسبانية، وكان في مقدمة الوفد الذي توجه إلى الرباط لتجديد البيعة مع مختلف قبائل الصحراء المغربية لجلالة المغفور له محمد الخامس، طيب الله ثراه.

- في سنة 1958 شارك في مؤتمر بوخشيبية الذي ترأسه آنذاك ولي العهد جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله.

- في سنة 1961 التحق بالوظيفة العمومية بوزارة العدل.

- في سنة 1970 تابع دراسته بكلية الحقوق بالرباط جامعة محمد الخامس.

- في سنة 1976 حصل على الإجازة من كلية الشريعة بفاس، جامعة القرويين.

- في سنة 1987 أنعم عليه جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله بوسام الاستحقاق الوطني من الدرجة الممتازة.

- سخر شطرا كبيرا من حياته لتعاطي العلم وتدارس أصنافه، وخلف خزانة قيمة.

- له أشعار وتقاريظ في مختلف الأغراض والمناسبات، ومقالات منشورة في الصحف الوطنية، وكان قبلة للباحثين والدارسين لتاريخ الصحراء المغربية وسوس العالمة وثقافتهما.

- لقي ربه يوم الأحد 29 ذي الحجة 1418هـ موافق 6 يوليوز 1997م، تغمده الله برحمته الواسعة، وأسكنه فسيح جناته، آمين.

أشرف على إعداد هذا الكتاب وتصحيحه:

- الأستاذ: محمد ناجي بن عمر.

- الأستاذ: ماء العينين النعمة علي.

صورة للفقيد في إحدى جلساته الكتابية

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

في إطار التبادل والتواصل الثقافي والفكري المستمر بين سوس العالمة والصحراء المغربية وباقي ربوع المملكة، نظم المجلس البلدي لمدينة تزنيت بتعاون مع مؤسسة الشيخ مربيه ربه لإحياء التراث والتبادل الثقافي، يوما دراسيا تأبينيا لروح الفقيد والأديب والمقاوم ماء العينين علي مربيه ربه، في موضوع: «سوس والصحراء المغربية: تواصل ثقافي وفكري». وكان مناسبة لمجموعة من الباحثين والأساتذة الجامعيين لطرح ومساءلة وتوضيح مظاهر هذا التواصل إن على مستوى الفكر أم الإبداع الأدبي أم التاريخ إلى غير ذلك من هذه المظاهر.

فبعد الجلسة الافتتاحية والشهادات، انطلق هذا اليوم الدراسي لمعالجة قضايا تهم طبيعة الحضور الثقافي لزاوية الشيخ ماء العينين وتأثيرها الإيجابي في الصحراء وباقي الأقاليم المغربية، وما ركزته في النفوس والعقول من قوة العقيدة وترسيخ الإيمان، فضلا عن أدوارها الطلائعية على مستوى الفكر والأدب، حيث لا يكاد يخلو إقليم مغربي من أحد العلماء الذين كان آل الشيخ ماء العينين من ضمن شيوخهم حتى أصبحت سمتهم بارزة مميزة بين المؤثرات العامة في الثقافة المغربية.

وتعالج أيضا ملامح ومظاهر من جهادهم عامة، وجهاد المجاهد والمقاوم العلامة الشيخ مربيه ربه خاصة، صحبة القبائل السوسية المجاهدة التي وقفت طويلا واستماتت في الدفاع عن المنطقة الجنوبية ضد المستعمر الفرنسي إلى وقت جد متأخر، بحيث لم تصل قواته إلى هذه المناطق إلا في منتصف الثلاثينيات، ولم يكن هذا الدفاع المشترك غريبا عن الصحراء وسوس، خاصة إذا علمنا أن عناصر التمازج والالتقاء كانت و ما تزال متوافرة بشكل ملحوظ في مستويات عدة (الثقافي، والفكري، والاجتماعي، والاقتصادي، والحضاري بصفة عامة). وهذا ما جاء كتاب الشيخ ماء العينين: "دليل الرفاق على شمس الاتفاق" مؤكدا له ومصرا على التحلي بوجوب الوحدة والإجماع بدل التفرق والاختلاف المؤدي للتشتت والضياع.

وأمام شح المصادر التي تغص بها الخزانات الخاصة، كان لزاما على الباحثين النظر في وسائل أخرى للملمة مادة هذه الحقبة المهمة، وكانت الرواية الشفوية مع ما يكتنفها من تزيد وعدم وضوح وتدقيق، إحدى السبل الممكنة لتدارك الكثير من الحقائق التي ما زالت تحملها بعض الصدور.

ولا شك أن علماء سوس قد غرفوا من هذا المنهل العذب بتواصلهم العلمي على مستوى المشيخة والتلمذة والحوار العلمي والروحي، وعلى مستوى التصوف والإخوانيات، وكان طبيعيا أن تدون بعض كتب الرحلات المتبادلة بعضا من هذا النشاط العلمي كما جاء واضحا في رحلة الولاتي التي بسط فيها نموذجا من إحدى المساجلات العلمية بينه وبين الفقيه السوسي محمد بن العربي الأدوزي.

وهذا ليس جديدا إذا علمنا أن بعض علماء الصحراء وأدبائها كانوا يفدون إلى سوس من أجل الدراسة والتدريس في رحاب مدارس سوس العالمة العتيقة (إلغ نموذجا)، مما كان فرصة لعقد مجموعة مساجلات أدبية وفكرية وشعرية كما هو الشأن بالنسبة لماء العينين بن العتيق والشيخ محمد الإمام مع عبد الله بن محمد الإلغي والشيخ مربيه ربه مع الشاعر الطاهر الإفراني وعبد الله الإلغي.

واختتم هذا اليوم وسط حضور متميز بقصائد شعرية تذكر بمناقب الفقيد، وترتبط بموضوع اليوم الدراسي الذي انعقد في ظروف تنظيمية جيدة يعود الفضل فيها للمجلس البلدي ومؤسسة الشيخ مربيه ربه لإحياء التراث والتبادل الثقافي ولمساهمة السادة الأساتذة الأجلاء والباحثين الأفاضل.

وفي الأخير، نشكر السيد رئيس المجلس البلدي الأستاذ المحترم أحمد اديعز الذي قدم جميع المساعدات المادية والمعنوية لإخراج أعمال هذا اليوم الدراسي في هذا الكتاب الذي لاشك أنه سيضيف لدارس الفكر والأدب المغربي لبنة جديدة في بناء صرح ثقافة مغربية متينة ومتميزة.

محمد ناجي بن عمر

ماء العينين النعمة علي

الجلسة الافتتاحية

كلمة السيد أحمد اديعز

رئيس المجلس البلدي لمدينة تزنيت

لبسم الله الرحمن الرحيم. والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه.

سيادة عامل صاحب الجلالة.

السيد قيدوم كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة ابن زهر.

السيد رئيس مؤسسة الشيخ مربيه ربه لإحياء التراث والتبادل الثقافي.

أيها الحضور الكريم.

إخواني المنتخبين.

حضرات السادة الأفاضل.

يسعدني أن أرحب بكم أصالة عن نفسي، ونيابة عن سكان مدينة تيزنيت ومجلسها البلدي، في هذه الجلسة المباركة التي ينظمها المجلس البلدي، ومؤسسة الشيخ مربيه ربه، لإحياء التراث والتبادل الثقافي، تكريما للفقيد والمقاوم والأديب ماء العينين علي مربيه ربه.

ومن حسن الطالع أن يقام هذا التكريم، وهذا النشاط العلمي، والأمة المغربية تعيش أجواء الذكرى العطرة، لميلاد المصطفى صلى الله عليه وسلم، وأجواء الاحتفال بالذكرى التاسعة والستين لميلاد حفيده مولانا أمير المؤمنين، صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني، نصره الله.

وحينما دعي المجلس البلدي إلى المشاركة في تنظيم هذا اللقاء الفكري، كان ترحابنا تلقائيا، اعتبارا لمكانة آل ماء العينين المتميزة في ذاكرة سكان مدينة تيزنيت السلطانية، ولأن الموضوع المختار لهذا اليوم الدراسي، أملته الظروف الحالية التي تمر بها قضيتنا الوطنية الأولى، نحو الاستفتاء التأكيدي لمغربية الأقاليم الصحراوية المسترجعة، لتأكيد التلاحم بين أقاليمنا الصحراوية، وباقي الأقاليم المغربية.

حضرات السادة الأفاضل:

إن مثل هذه التظاهرات لنعتز بها كامل الاعتزاز، بما ستساهم به في استجلاء ملامح ومقومات التواصل والتلاقح الثقافي والفكري بين سوس والصحراء المغربية،

وهي فرصة سانحة لثلة من الأساتذة الباحثين، لمعالجة موضوع هذا اللقاء العلمي، الهام والمتميز.

حضرات السادة الأفاضل:

إن المجلس البلدي، ليعمل جاهدا على توسيع وتنويع أنشطته الثقافية، إيمانا منه بالدور المنوط بالجماعات المحلية في تفعيل العمل الثقافي. لذا، فإن عزمنا معقود على خلق تعاون وشراكة مع جميع الجمعيات الفاعلة ثقافيا، وكذا المؤسسات الجامعية بمختلف تخصصاتها، التي يجمعنا وإياها هدف واحد، أساسه خدمة الثقافة والمعرفة في وطننا الشامخ.

حضرات السادة الأفاضل:

نتمنى صادقين أن يظل هذا التعاون مفتوحا وعمليا، حتى نغنيه بلقاءات وندوات مستقبلا، وسيكون لنا شرف تنظيم ندوة ثقافية وطنية خلال السنة المقبلة في موضوع: "شخصية الشيخ المجاهد ماء العينين".

حضرات السادة الأفاضل:

أيها الحضور الكريم.

إنني بهذه المناسبة السعيدة، أهنئ مؤسسة الشيخ مربيه ربه على أهمية ودقة اختيار موضوع هذه الندوة، لإلقاء الضوء على جوانب تاريخية من ذلك التمازج الثقافي، والتكامل العلمي والاجتماعي لمنطقة سوس والصحراء المغربية عبر التاريخ.

وإن مدينة تيزنيت، بل وسوس كلها لمحظوظة وفخورة بتلك النواة الطيبة المباركة، التي شاء الله أن يهيئ الأسباب، لتكون مدينة تيزنيت مقرا للعالِم الوقور، والوطني الغيور، والإمام المجاهد، الولي الصالح الشيخ ماء العينين، تلك الذرية الكريمة التي أنجبت فطاحل العلم والأدب، والشجاعة والنضال والجهاد.

حضرات السادة الأفاضل.

أيها الحضور الكريم.

ها نحن في هذا الملتقى الفكري، نتطلع إلى مواضيع هذه الندوة التاريخية، لتكريم عالم كبير من أعلام الثقافة والحركة الفكرية بالصحراء المغربية وسوس.

وننتظر بشغف وشوق الحقائق الموضوعية والمعرفية التي يتمحور حولها موضوع هذه الندوة، وما ستتضمنه عروض الأساتذة الأجلاء، المشاركين في هذا اليوم الدراسي، من تنوير فكري، لتقريب واستجلاء التاريخ وحقائقه.

وبهذه المناسبة أتقدم بجزيل الشكر، لمؤسسة الشيخ مربيه ربه لإحياء التراث والتبادل الثقافي، على مبادرتها لتنظيم هذا اللقاء الفكري الهام، وإلى كل الأساتذة الباحثين الذين لبوا الدعوة، والضيوف الكرام الذين شرفونا بحضورهم المتميز، كما أنوه بالمجهود الذي بذله أعضاء اللجنة التنظيمية المكلفة بإعداد هذا اليوم الدراسي، وأتوجه بالشكر والتقدير للسلطات العمومية، وعلى رأسها سيادة العامل، على رعايته لهذه الندوة، وكذلك الأعيان والفاعلين الاقتصاديين بهذه المدينة، على مساهمتهم في هذا اللقاء المبارك، وإلى جميع الفعاليات المهتمة، على المساهمة والمشاركة والحضور.

حضرات السادة الأفاضل.

أيها الحضور الكريم.

إن مدينة تيزنيت وسكانها ومجلسيها البلدي والإقليمي، سعداء بهذا اللقاء العلمي الهام.

والله أسأل أن تكلل أشغالكم بالتوفيق والنجاح.

كما لا يفوتني قبل أن أنهي كلمتي أن أتقدم بتعازي أعضاء المجلس، لأسرة الفقيد ماء العينين علي مربيه ربه، وأتمنى خالصا أن تكون أعمال هذا اليوم الدراسي خير ما نهدي لروح الفقيد الطاهرة.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

كلمة السيد ماء العينين مربيه ربه هيبة
ممثل مؤسسة الشيخ مربيه ربه لإحياء التراث والتبادل الثقافي

لبسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحابته أجمعين.

إنه لشرف عظيم، أن أتناول الكلمة لأعبر باسم مجلس وأعضاء مؤسسة الشيخ مربيه ربه لإحياء التراث والتبادل الثقافي، عن كامل تشكراتنا الخالصة، وامتناننا الصادق للسلطات المحلية بمدينة تيزنيت، وفي مقدمتها عامل صاحب الجلالة على الإقليم، وإلى المجلس الإقليمي والمجلس البلدي ورئيسيهما، على تنظيم هذا اليوم الدراسي، في غمرة الاحتفالات بالذكرى التاسعة والستين لميلاد عاهل البلاد ملكنا المفدى جلالة الملك الحسن الثاني، أطال الله عمره بالسعادة والعافية، وسدد خطاه، وأبقاه ذخرا وعزا لهذا البلد الأمين.

كما نتوجه بالشكر الجزيل والعرفان الصادق إلى السيد قيدوم كلية الآداب والعلوم الإنسانية بأكادير الدكتور حسن بن حليمة، ذي الأيادي البيضاء، وصاحب قصب السبق في كل ما يحدث من تواصل فكري وثقافي، على الصعيد الوطني بصفة عامة، وسوس والصحراء المغربية بصفة خاصة.

وتشكراتنا الحارة كذلك، نزفها لهذه الكوكبة الطليعية من أساتذة جامعاتنا، وباحثيها، خاصة من كليتي الآداب والعلوم الإنسانية بأكادير والمحمدية، والأساتذة المشاركين من مختلف المؤسسات التعليمية.

كما لا يفوت مؤسسة الشيخ مربيه ربه لإحياء التراث والتبادل الثقافي أن تتوجه بكامل الشكر، وتثمن عاليا مساهمة وجهود كل من المندوبية الجهوية لقدماء المقاومين، وأعضاء جيش التحرير، ومندوبية وزارة الشؤون الثقافية، ومندوبية وزارة الشبيبة والرياضة، وجمعية الأعمال الاجتماعية لقضاة وموظفي وزارة العدل، وكل من ساهم في تنظيم هذا اليوم الدراسي، لإبراز بعض سمات التواصل الفكري والثقافي، التي تركت بصماتها واضحة عبر مختلف مراحل التاريخ بين سوس العالمة والصحراء المغربية.

هذا اليوم الذي نتمنى صادقين مخلصين، أن تتبعه أيام دراسية أخرى، وندوات أخرى لا تقتصر فقط على سوس والصحراء، بل تشمل بقية ربوع هذا الوطن الموحد، وتاريخ أبنائه وثقافتهم المشتركة، ومصيرهم الواحد المشترك، بحكمة وتبصر عاهلنا المفدى، نصره الله وأيده.

أيها السيدات والسادة، تشكراتنا لكم جميعا، على ما تجشمتموه من عناء السفر، وما بذلتموه من جهد ووقت ثمينين، من أجل هذا اللقاء وهذا التواصل الثقافي، بحضوركم جميعا، ومشاركتكم جميعا.

كلمة السيد حسن بن حليمة
قيدوم كلية الآداب والعلوم الإنسانية بأكادير

لبسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على خير المرسلين.

السيد عامل صاحب الجلالة على إقليم تيزنيت المحترم.

السيد رئيس المجلس البلدي المحترم.

السيد رئيس المجلس الإقليمي المحترم.

السيد رئيس مؤسسة الشيخ مربيه ربه لإحياء التراث والتبادل الثقافي المحترم.

السادة آل ماء العينين المحترمين.

السادة العلماء والأساتذة الأجلاء.

أيها الحضور الكريم.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

يسعدني ويشرفني أن أحضر معكم في افتتاح هذا اليوم الدراسي، المنظم بتعاون بين المجلس البلدي لمدينة تيزنيت ومؤسسة الشيخ مربيه ربه لإحياء التراث والتبادل الثقافي حول موضوع: «سوس والصحراء المغربية: تواصل ثقافي وفكري»، تكريما لروح الفقيد والأديب والمقاوم ماء العينين علي مربيه ربه، وذلك في إطار احتفالات الشعب المغربي بعيد الشباب المجيد، وإنها لمناسبة غالية تضاف إلى مناسبة سالفة، جسدت روح التعاون بين كلية الآداب والعلوم الإنسانية بأكادير ومدينة تزنيت من خلال سلطاتها ومجلسها البلدي، عندما أقمنا تظاهرات مختلفة، كـ"ندوة تزنيت وباديتها"، التي ساهم في تنظيمها مجموعة من الفعاليات الجامعية المغربية، كما سبق لكليتنا أن نظمت معرضا للكتاب الجامعي، دائما في إطار التعاون بين كليتنا وهذه المدينة المجاهدة.

وأتشرف اليوم بالحضور مع مؤسسة الشيخ مربيه ربه لإحياء التراث والتبادل الثقافي، التي سبق لكليتنا أن نظمت معها في غضون السنة الماضية، يوما وطنيا دراسيا حول الصحراء: «التراث والذاكرة»، صاحبه معرض للكتاب ووثائق ومخطوطات تعرض لأول مرة، وكل ما يتعلق بالصحراء المغربية.

وإن اختيار موضوع علاقات سوس والصحراء باعتباره محورا لهذا اليوم الدراسي، ليؤكد مدى التواصل الذي كان وما يزال يقوم بين هذه المنطقة العزيزة من بلدنا وسوس، كما يؤكد التحام كل أطراف المملكة بعضها ببعض، فقد كان المغاربة من شمال المملكة إلى جنوبها، ومن جنوبها إلى شمالها سباقين للذود عن حوزة البلاد، كلما أحاط خطر خارجي ببلدهم وأرضهم، والصحراء المغربية مثلت فعلا نموذجا لهذه الحركية البشرية، الهادفة إلى الدفاع عن مقدسات البلاد، وقد انصهرت فيها كل دماء المغاربة عندما تعلق الأمر بمعركة التحرير واستكمال الوحدة الترابية.

على أن التواصل بين سوس والصحراء الذي هو موضوع هذه التظاهرة، لم يقف عند هذا الحد، بل أخذ كذلك أوجها أخرى متعددة، تمثلت في التفاعل البشري والحضاري والثقافي، والانسجام الفكري والأدبي بين علماء سوس وعلماء الصحراء المغربية.

وإن انكباب ثلة من الباحثين الجامعيين على هذا الموضوع، ومحاولة سبر أغواره لمن شأنه أن يلقي الضوء على جوانب خفية من علاقات التواصل الحضاري بين سوس والصحراء، كما أن التحرك الثقافي من شأنه أن يساهم في إغناء ذاكرتنا الوطنية الغنية بالملاحم والبطولات، وإبراز أوجه التقارب الثقافي والحضاري.

فاسمحوا لي أيها السادة، بهذه المناسبة، أن أتقدم باسم كليتنا إلى السيد رئيس المجلس البلدي لمدينة تزنيت، والسيد رئيس مؤسسة الشيخ مربيه ربه لإحياء التراث والتبادل الثقافي، على هذه الدعوة الكريمة الموجهة إلى كليتنا، قصد المساهمة في تفعيل هذا اليوم الدراسي وتنشيطه، واسمحوا لي كذلك أن أنوه بهذه المبادرة الطيبة، التي تمهد الآن لمبادرة قريبة إن شاء الله، ستنظم في السنة القادمة بالرباط دائما حول موضوع: «التواصل الثقافي والفكري بين الصحراء وسوس»، وهي تظاهرة ستنظم على مستوى جامعي بالرباط، كما أود بهذه المناسبة، كذلك، أن أخبركم بأن كليتنا الآن هي منهمكة في تحضير ندوة وطنية حول مدينة السمارة باعتبارها حاضرة روحية وعلمية بالصحراء المغربية، وهذا من شأنه كذلك أن يساهم في تفعيل واستعادة الذاكرة المغربية عبر محطاته الوطنية.

وفي النهاية أتمنى لهذا اليوم الدراسي كل التوفيق والنجاح، وشكرا لكم مجددا، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

من اليسار إلى اليمين: رئيس المجلس البلدي لتزنيت والسيد العامل

صورة للجلسة الافتتاحية

كلمة السيد محمد الأمين أبو الفضل السباعي
ممثل جمعية الأعمال الاجتماعية لقضاة وموظفي وزارة العدل

لبسم الله الرحمن الرحيم.

وصلى الله على سيدنا محمد المصطفى وعلى آله وصحابته الطاهرين.

وبعد:

أتشرف لأحضر هذا الحفل التكريمي، بانتداب من جمعية الأعمال الاجتماعية لقضاة وموظفي وزارة العدل، التي تأبى إلا أن تكرم أحد أبنائها البررة الكرام، الذين أفنوا ريعان شبابهم في خدمة الصالح العام بصفة عامة، وخدمة المتقاضين وإرضائهم في دائرة ما يقتضيه القانون بصفة خاصة.

إن الأستاذ ماء العينين علي بن الشيخ مربيه ربه عرف طيلة حياته الإدارية بالاستقامة والنزاهة، والاستماتة في العمل، ونكران الذات، بكل تفان وإخلاص، زاده في ذلك المكانة العلمية التي ورثها من أحداده بالفرض التعصيب، فهو ذو الحسب والنسب والمجد الموروث والمكتسب، مما جعله يحوز تنويه جميع المسؤولين الذين عمل معهم وتحت إشرافهم.

كان -رحمه الله- عنصرا نشيطا في صفوف المقاومة وجيش التحرير، يبث الوعي وروح الوطنية في نفوس المواطنين، وتمت ملاحقته من قبل الاستعمار الإسباني في الصحراء المغربية، وكان هذا المستعمر يحاول إغراءه ويخطب وده، فلما استعصى ضيق عليه الخناق، فوجد السند في وزارة العدل، حيث التحق بالوظيفة العمومية سنة 1961، وعين أول الأمر بمحكمة طانطان، ثم طرفاية، فالسمارة العاصمة العلمية للأقاليم الصحراوية المغربية، حيث توفي -رحمه الله- سنة 1997.

هذا التكريم الذي نشهده اليوم سبقته عدة تكريمات، فالوزارة كرمته عندما رقته إلى أعلى الدرجات، حيث تمت ترقيته إلى إطار منتدب قضائي، نظرا لمكانته العلمية، وتحليه بالأخلاق الفاضلة، فهو خريج كلية الشريعة، وحاصل على الإجازة قبل هذا. وذاك هو خريج مدرسة ماء العينين، وما أدراك ما مدرسة ماء العينين، كما كرمته

الوزارة عندما رشحته لنيل الوسام الملكي، فكرمه القاضي الأول والساهر الأمين على بث العدل بين رعاياه الأوفياء جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله وأيده بالوسام العلوي، جزاءا على ولائه للعرش العلوي المجيد، وتفانيه وجديته في العمل.

رحم الله الفقيد، وأسكنه فسيح جناته، آمين.

وأختم هذه الكلمة المتواضعة بأبيات للشاعر الأستاذ ماء العينين يحجب في الشيخ محمد الإمام، وجدتها مطابقة لسيرة الفقيد:

هو البحر بحر العلم والحلم والتقى * وبحر الندى والجود ديدنه البذل

وديدنه الإنفاق دأبا وإن ذا * جلي يراه كل من عنده عقل

فتى عمره في خدمة الحق دائما * فأقواله فصل وأحكامه عدل

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

كلمة السيد إدريس الغويزي
المندوب الجهوي للمندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير

لبسم الله الرحمن الرحيم.
السيد العامل المحترم.
السيد القيدوم.
السيد رئيس المجلس البلدي.
السادة الأساتذة الأجلاء.
أيها الحضور الكريم.

إنه لمن الشيم الكريمة، والفضائل الحميدة، أن تتجه العناية نحو بعض الرجالات، وبعض الشخصيات الفذة التي وهبت حياتها لخدمة الوطن، فأجزلت العطاء بأريحية وسخاء من أجل عزة وكرامة وطنها، مسجلة بذلك صفحات ناصعة في ذاكرة التاريخ، ومخلفة معالم بارزة في الوفاء والتضحية ونكران الذات، والدفاع عن حمى الوطن والمقدسات، وبذلك تبوأت مكانة الصدارة في المجتمع.

إن الحديث عن شخصية مرموقة مثل المقاوم والأديب ماء العينين علي مربيه ربه، يتطلب الساعات الطوال، لما يحفل به عمره من أعمال تستحق كل تقدير وتكريم، فلقد ترعرع -رحمه الله- في بيت مجد وعلم، وتربى في كنف عائلة متمسكة بوطنها، ووفية للعرش العلوي المجيد.

اعتنق المرحوم الوطنية عقيدة ومذهبا، وكان رجلا راسخ الإيمان، مجاهدا، التحق بصفوف جيش التحرير سنة 1956، ومنذ ذلك التاريخ وهو يتنقل في ربوع صحرائنا، يبث روح الوعي من أجل مقاومة الاستعمار، وشارك في معارك ضارية أشهرها معركة الدشيرة، كما كان عضوا نشيطا داخل صفوف جيش التحرير.

أيها السادة الكرام.

قبل ختام كلمتي هذه، أرى من واجبي أن أتوجه بالشكر الجزيل، إلى كـل الذين ساهموا في تنظيم هذا اليوم الدراسي، الذي يعتبر التفاتة كريمـة لأسـرة المقاومـة وجيش التحرير، وأخص بالذكر هنا: السـيد رئيـس المجلس البلـدي بـتزنيت، ومؤسسـة الشيخ مربيه ربه لإحياء التراث والتبادل الثقافي، وكل الأساتذة الأجـلاء المسـاهمين بعروضهـم في هذا اليوم الدراسي.

والله ولي التوفيق.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

كلمة السيد عبد الكريم الشاعوري
مندوب وزارة الشؤون الثقافية

سيدي عامل صاحب الجلالة على الإقليم.
السيد القيدوم.
السيد ممثل مؤسسة الشيخ مربيه ربه لإحياء التراث والتبادل الثقافي.
السيد رئيس المجلس البلدي.
السادة الأساتذة، أيتها السيدات الكريمات، أيها السادة الكرام.

نلتقي اليوم، وبقاعة الشيخ ماء العينين، لنؤكد بالملموس التواصل الدائم ما بين سوس والصحراء المغربية، أواصر وصلات ثقافية وفكرية، روحية وعائلية، بل إن الجغرافيا بعنادها تُلزم، وتعزز حلقات هذا التكامل، وما هذا اللقاء سوى الفرصة السانحة لوضع برنامج مشترك ومندمج يستهدف البحث الثقافي الشامل ضمن نسق وطني عام، يرسخ ثوابت أمتنا، ويدعم أقانيم وحدتنا.

أيتها السيدات، أيها السادة.

إن أمير المؤمنين الحسن الثاني الأمين قد زاوج دائما ما بين التحرير والبناء من جهة، وصيانة ورعاية الموروث والإبداع الثقافي من جهة ثانية. وعلى هذا النهج المولوي سار وزراؤه وهم يفوضون تسيير الشؤون الثقافية، فإذا كانت المسيرة الخضراء المظفرة إبداعا حسنيا خالدا، فإن صاحب الجلالة -أعز الله أمره- قد بنى وشيد أولا الأسس القانونية لهذه الملحمة، على موروث وطني ثقافي أصيل، أساسه البيعة، ودليله الوثيقة التاريخية والتواصل القريب والبعيد.

فعلى هذا النهج الثقافي الهادف، وبأساليب البحث العلمي الرصين والأمين، سارت السياسة الحسنية في الميدان الثقافي المواكب للتحرير، فكان لنا في أقاليمنا الجنوبية هذه من العناية والرعاية ما يشهد به الواقع، وأعطى البحث الثقافي المستمر ما أغنى الوحدة الوطنية والترابية، وفند الدعاوى والترهات.

فالحفريات الجارية، والأبحاث الأركيولوجية، والترميمات المعمارية، ومؤسسة الدراسات الحسانية، والمجلات والندوات المختصة والخاصة، تكمل ما يتوخاه ملتقانا هذا اليوم، وإذا أراد الله أمرا هيأ أسبابه.

أيها السيدات، أيها السادة.

لا أريد أن أعزل الحدث عن موئله، تزنيت الحاضرة السلطانية والحاضنة لآل بيت الأسرة المعينية، الشاهد الكامل على الوصل والصلة، مدينة تتشبث بموروثها السلطاني، وتزهو به لتؤسس اليوم في تناغم كامل، الصورة الدائمة والمثالية لشعار هذا الملتقى، حاضرتنا هذه غادة متشحة الصدر بعروض هذا الملتقى، فلها منهم جميعا نصيب، وارثة هي بالتعصيب والأحد، واردة في كل متن وسند، بارة بالحفاظ على السلالة، باترة لدابر العقم والكلالة.

أيتها السيدات الكريمات، أيها السادة الكرام.

كان علي أن أبدأ وأعيد بما أشهد به ولا أحيد، ففي البدء كانت مؤسسة الشيخ مربيه ربه لإحياء التراث والتبادل الثقافي، وكان الأستاذ ماء العينين النعمة، تلفه معاناة تنظيم وعقد الملتقى، صادحا بفكره، راعيا لعمل تواصلي واعد. وها نحن اليوم، وقد نسج لنا النعمة من كل هذا فسطاسا يلم حواري الإمتاع، نسامر بعضنا في أنس ومؤانسة، للصلة الثقافية، محتفين بالفقيد العالم المقاوم "أبو النعمة" ماء العينين علي مربيه ربه، أسكنه الله فسيح الجنان، كريم المحتد، أصيل الخصال، أثيل المكرمات، لمثله تهدى أعمال الباحثين تقديرا واعتزازا، ويقينا من إدراك المهدى له الفائدة العلمية والفكرية لأعمال اليوم؛ فهو الذي نذر نفسه وماله للفكر وذويه، وللوطن وهمومه، ومحطات حياته الحافلة أكبر من أن يحويها قرنان.

- درس القرآن الكريم وعلومه، وأردفه بمفاتيح أسراره من لغة وفقه وأصول.

- درس الإسبانية ببرشلونة ليتملكها باعتبارها أداة للمواجهة ومفتاحا للمعارف الجديدة.

- انخرط في الحياة السياسية الوطنية المنافحة عن الوطن، قاوم وناضل، سواء بصفته المناضل الحزبي الملتزم، أو الجندي المقاوم، وكان همه المغرب أولا وأخيرا.

- زاوج بين النضالين السياسي والميداني، فشارك في مؤتمر أم الشكاك سنة 1956، وقد ترأس أشغاله الشيخ محمد الأعظف بن الشيخ ماء العينين، وحضر مؤتمر بوخشيبية سنة 1958 الذي ترأسه ولي العهد آنذاك أمير المؤمنين الحسن الثاني، دام عزه وعلاه.

إنها محطات بارزة في حياة العالم الوطني ماء العينين علي مربيه ربه، تنزود من العلوم والآداب بأعمقها وأطيبها، وتحلى من الخصال بأحمدها وأروعها، وتفدى الوطن بهذا وذاك، فكان -والله- النموذج والمثال لما يدعونا إليه ملوكنا العلويون الأشاوس، ومن كانت هذه صفاته فالجنة مثواه وقراره.

أيتها السيدات، أيها السادة.

اسمحوا لي أن أهمس جهرا لأخي النعمة، بأن ماء العينين علي مربيه ربه ما مات وقد أنجبك، فسر على بركة الله، يرعاك الله ويحميك، ولتكن أعمال الملتقى ودراسات السادة الأساتذة الأماجد خريدة تحلي هامتك، ونبراسا يهدي مسيرتك، مثالا يحتذى لبلوغ المرتضى، من حامي البلاد والعباد الملك الحسن الثاني، دام عزه وعلاه.

أشكركم، والسلام.

كلمة أسرة الفقيد
السيد ماء العينين النعمة علي(*)

لبسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أشرف المرسلين.

السيد عامل صاحب الجلالة على إقليم تزنيت المحترم.

السيد رئيس المجلس البلدي المحترم.

السيد رئيس المجلس الإقليمي المحترم.

السيد رئيس مؤسسة الشيخ مربيه ربه لإحياء التراث والتبادل الثقافي المحترم.

أستاذي الجليل قيدوم كلية الآداب والعلوم الإنسانية بأكادير المحترم.

السادة رؤساء المصالح المحترمين.

السادة أعضاء المجلس البلدي المحترمين.

السادة الأساتذة الأجلاء المحترمين.

إنه لحدث عظيم، أن نلتقي اليوم بمدينة تزنيت السلطانية، وبقاعة الشيخ ماء العينين، لنحيي هذه التظاهرة الثقافية العلمية، التي ينظمها المجلس البلدي للمدينة، بتعاون مع مؤسسة الشيخ مربيه ربه لإحياء التراث والتبادل الثقافي، لتكريم أحد رموز الأدب والعلم والمقاومة في الصحراء المغربية وسوس العالمة، ماء العينين علي بن الشيخ مربيه ربه بن شيخنا الشيخ ماء العينين، وهي تظاهرة تربط الماضي بالحاضر، وتعيد قراءة تاريخنا الوطني، الحافل بالبطولات والملاحم والأمجاد، وتبرهن عن وفاء الأبناء للآباء، وحرصهم على مواصلة المسيرة العلمية والثقافية والجهادية والوحدوية، التي قادها أجدادنا في سوس والصحراء وباقي ربوع وطننا المغربي الموحد.

وتكمن أهميتها في أنها تصادف حدثين أساسيين هما: مولد المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم، الذي أشرقت بطلعته البهية أرجاء الدنيا، وخرجت بهديه البشرية من ظلمات الجهل والضلال والفساد، إلى دنيا الإيمان والهدى والرشاد، واحتفالات الشعب المغربي بعيد الشباب المجيد، الذي يصادف هذه السنة الذكرى التاسعة والستين، لميلاد رائد البلاد ومفخرة العباد جلالة الملك الحسن الثاني دام له النصر والتأييد، محاطا بالعز والتمكين والعمر المديد.

كما أنها تختلف عن طرق وعادات التكريم المتعارفة في مجتمعاتنا، ففقيدنا اليوم يكرم من خلال موضوع عام هو: «سوس والصحراء المغربية: تواصل ثقافي وفكري»،

(*) - نجل الفقيد.

وسيتحدث من خلاله عدد من السادة الأساتذة الجامعيين والباحثين المختصين، عن جوانب مهمة من تاريخهما النضالي والثقافي والأدبي المشترك، وستهدى تلك العروض لروح الفقيد الطاهرة؛ لأنها خير ما يهدى له، وستصبح مرجعا علميا أساسا، يستفيد منه كل باحث في تاريخ وثقافة وأدب الصحراء وسوس.

وقد عرف الفقيد بحرصه الشديد على ربط أواصر الوحدة الدائمة والوطنية الصادقة، بين الصحراء المغربية وشمال المغرب عامة، وسوس خاصة، من خلال ما يلي:

أولا: وطنيته الخالصة، وتمسكه بالبيعة الشرعية لعاهل البلاد المفدى، وتعلقه بأهداب العرش العلوي المجيد.

ثانيا: جهاده ومقاومته للمستعمر الأجنبي، في الصحراء وسوس، الذي لم يقتصر على السلاح وحده، بل أردفه بالخطب التحريضية الحماسية، والكتابة المتواصلة في مختلف الصحف والمجلات الوطنية، التي تبث الوعي، وتنمي الحس الوطني وروح المقاومة في قلوب المواطنين.

ثالثا: مشاركته الفعالة في صفوف جيش التحرير المغربي، الذي ساهم في تنشيطه وتنظيمه، فخاض المعارك كمعركة الدشيرة ولُبْلاَيَة وطريق الصدرة، وكتب المناشير، ورسم الخطط، ونفذ المقررات التحريرية، وحضر كثيرا من جوانبه الملحمية النضالية، الصحراوية، مع مختلف فيالقه وزعمائه وقواده.

رابعا: انشغاله بالعلم الذي سخر له شطرا كبيرا من حياته، تشهد على ذلك مكتبته الكبيرة التي تضم أعرق المخطوطات، وأنفس الوثائق، وإجازات العديد من فطاحل الأدب والعلم له في مختلف العلوم، نذكر منهم: الشيخ محمد الأغظف، والشيخ الطالب أبو بكر، والشيخ محمد الإمام، أبناء الشيخ ماء العينين. والشيخ سيدي محمد بن عبد العزيز، وماء العينين بن العتيق، والشيخ ماء العينين بن الشيخ حسنّ بن الشيخ ماء العينين، والشيخ المحفوظ بن الحضرامي، والشيخ الحبيب الصوابي، والطاهر الإفراني، بالإضافة إلى إنتاجه الشعري في مختلف الأغراض الشعرية، وكتاباته النثرية، وتقاريظه، وتعليقاته، وحواشيه، ورسائله، ومجموعاته المتنوعة، ومناظراته الفكرية والأدبية، التي ما تزال تنتظر من الدارسين والباحثين والمهتمين دراستها وتحقيقها وتمحيصها، وكشف ما تتميز به من أصالة وغنى وتنوع، والتي ستساهم، لاشك، في إغناء ثقافتنا الوطنية.

خامسا: تزويده للباحثين والدارسين بما يحتاجونه من زاد معرفي وثقافي، كالمخطوطات والوثائق والرسائل، حيث استفاد منه عدد لا يحصى من هؤلاء، وتمكنوا من إنجاز أبحاثهم حول سوس والصحراء.

سادسا: امتلاكه لناصية الرواية الشفوية، وتوظيفها في خدمة البحث العلمي، فلم يكن -رحمه الله- يحتكر العلم أو يذخره في ذاكرته، ولكنه كان يستغله في المنفعة والاستفادة والوحدة والدفاع عن الوطن، كما أنه كان لا يمل من البحث والمناقشة والمطالعة والدراسة، وإثارة القضايا العلمية والأدبية التي تحتاج إلى البحث والمناقشة مع المثقفين والأدباء والعلماء والفقهاء.

وهو في كل هذا يسير على نهج والده وجده العالم المجاهد الشيخ ماء العينين، الذي حرص طيلة حياته -رحمه الله- على ربط وشائج الوحدة بين شمال المغرب وجنوبه، وبين الصحراء وسوس، كما كان يكن لسوس تقديرا كبيرا، ومكانة سامية لا مثيل لها، لما يتميز به من علم ومجد، وصلاح وجهاد، ويكفي أن نذكر قولته المشهورة عندما نزل بتزنيت مهاجرا إليها، من مدينة السمارة بالصحراء المغربية، وقد التفت إلى أبنائه وتلامذته ومريديه وأحبته فقال لهم: «أرأيتم هذه الجبال، إنها لا تخلو من صالح الرجال» [1].

وهذا ما يؤكده ماء العينين بن العتيق قائلا: «وسمعت شيخنا الشيخ ماء العينين رضي الله عنه وأرضاه يثني على أهل سوس بما تهواه الأفئدة، وتشتاقه القلوب والنفوس، وتتزين بزينته المحابر والأقلام والطروس، وتزدهر بمحاسنه المجالس والنوادي والدروس.

فهم أهل الفضل والإحسان، ومنبع الوفاء والعرفان، وموطن الإخلاص والأمان، ومعدن الصلاح والإيمان، وهم أرباب القريض والبيان، وأصحاب المعاني والدرر الحسان، وفرسان الجهاد والإقدام والبنيان، فلا غرو إن صارت بذكرهم الركبان، ولهج بمفاخرهم الفكر والجنان واللسان، في كل زمان ومكان» [2].

وإننا إذ نحتفي اليوم بالأديب والمقاوم والعالم ماء العينين علي مربيه ربه، فقيد سوس والصحراء المغربية، فإننا نحتفي بالمبادئ والأخلاق السامية، والمثل العالية الراقية، والقضايا العلمية الثقافية، والملاحم الجهادية النضالية، والقيم الروحية والدينية والحضارية والإنسانية الكبرى التي عاشها وجسدها ومثلها ودافع عنها هذا الرجل الفذ العظيم، الجدير بكل احترام وتقدير وتكريم.

وفي النهاية لا يسعني إلا أن أشكر كل من ساهم في إنجاح هذه التظاهرة، وأخص بالذكر:

---

(1) - "تحلية الطروس، وتسلية النفوس، في التعريف بأعلام الشعر في الصحراء وسوس"، ماء العينين بن العتيق، مخطوط خاص، ورقة: 12.

(2) - المرجع نفسه، ورقة: 13.

- السلطات المحلية وفي مقدمتها عامل صاحب الجلالة على إقليم تزنيت.
- السيد رئيس المجلس البلدي الأستاذ المحترم أحمد اديعز، الذي شجعها منذ عرضناها عليه، ودعمها ماديا ومعنويا، وظل يرعاها ويوجهها إلى أن اكتملت ولبست حلتها التي نشهدها اليوم.
- اللجنة الثقافية بالمجلس وفي مقدمتها نائب رئيس المجلس البلدي، الأستاذ المحترم أحمد بومزكو.
- أعضاء المجلس البلدي جميعا والعاملين به.
- مؤسسة الشيخ مربيه ربه لإحياء التراث والتبادل الثقافي.
- قيدوم كلية الآداب والعلوم الإنسانية بأكادير الدكتور حسن بن حليمة، الذي دعم بدوره هذه التظاهرة، ونوه بها، وليس ذلك بغريب عليه، وهو المعروف بدعمه لأية تظاهرة ثقافية في الجهة الجنوبية من المملكة التابعة لكليته، وحتى خارج هذه الجهة.
- نائب قيدوم كلية الآداب والعلوم الإنسانية بأكادير الدكتور أحمد صابر.
- أساتذة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بأكادير بصفة عامة وبصفة خاصة أساتذة شعبة اللغة العربية وآدابها وشعبة التاريخ والجغرافيا.
- النائب الإقليمي لوزارة الشبيبة والرياضة.
- النائب الإقليمي لوزارة الثقافة.
- النائب الجهوي للمندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير.
- النائب الجهوي لوزارة السياحة على أقاليم تزنيت-كلميم-طان طان-آسا الزاك.
- صديقي وزميلي ورفيقي الأستاذ المحترم محمد ناجي بن عمر.
- الأساتذة الذين تجشموا عناء السفر، للمشاركة في هذه التظاهرة وإنجاحها، بعروضهم ومداخلاتهم ومناقشاتهم وشهاداتهم.
- أعيان مدينة تزنيت وفي مقدمتهم عائلة آل بيشا المحترمة.
- الحضور الكريم.

وإلى الجميع شكرنا وتقديرنا.

وأختم كلمتي بالآية القرآنية الكريمة -التي تنطبق على فقيدنا رحمه الله، وجعل الجنة مثواه- وهي قوله تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَاهَدُواْ اللَّـهَ عَلَيْهِ، فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرْ، وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلاً﴾ [1]. صدق الله العظيم، وصلى الله وسلم على نبينا ورسولنا محمد الكريم.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، مادامت تجري من ربنا رحماته.

---

(1) - سورة الأحزاب، الآية: 23.

قصيدة شعرية بالمناسبة بعنوان: "قِرَى الْعَجْلَان"

السيد أحمد بن مبارك أبو القاسم (*)

تـلألأت الضمـائر والسـجايا * فأبدت كل ما انطوى مـن خفايا
وبـاح بمـا يكتـم كـل قلـب * ففـاض العشـق وانكشـفت خبايـا
وأومـأت الحواجـب في ابتهـاج * مرحبـة وأعربـت الثنايـا
وأقبلـت المدينـة في حبـور * وفي الأيـدي الـورود علـى الهدايـا
ورتلـت البلابـل في انتظـام * تراتيـل التلاقـي والتحايـا
تنسـي مـا تراكـم مـن همـوم * ومـا أضنـى النفـوس مـن الرزايـا
فشـاق القلـب مـا حمـل المغـاني * علـى الترحيب، هـاج بـه هوايـا
فقلت من الأحبـة؟ قـال شـاد * "كـرام القـوم طلاعـو الثنايـا
أتونـا في مواكـب مـن قـواف * علـى الإيقـاع يحـدون المطايـا"
فقلـت: لمثلهـم أهـتز شـوقا * وأنقـل مسـرعا لهـم خطايـا
فنقـل الخطـو للأحبـاب سـعيا * إلى الـترحيب محـو للخطايـا
وهـذا مـن فنـون القـول زاد * أقدمـه فيغـني عـن قرايـا
وللأضيـاف مـا يرضـي لهـاهم * يجـود بـه مطوعـة سـوايا
فـأهلا يـا منـيري كـل قلـب * بأنغـام تخفـف مـن بلايـا
فهـاتوا مـن عصير القلـب سـحرا * وسـر الحـرف مزمـارا ونايـا
فـذي تيـزنيت تؤثـر كـل ضيـف * وللضيفـان، مـا مكثـوا، حظايـا
فباقـات النعـائع في سـفور * تـراود فارسـا للحلـم شـايا
فـإن زفـت إليـه علـى بسـاط * بديع النسج مصفـوف الحشـايا
تـزول بلابـل الأشـهاد سـكرا * برشـفهما وتنتعـش الخلايـا
وينتظـم المـزاج فـلا اضطـراب * يوسـوس في العقـول ولا الحوايـا

(*) - أستاذ باحث - تزنيت.

سنسقيكم متى شئتم رحيقا * لذيذ الطعم نسميه الأتايا
ألايا ما أحيل الكأس منه * بنادي الشعر إن جادت سجايا
فتستبق القرائح للقوافي * فعند الكأس، هن بها سخايا
فتنهمر المشاعر في انسياب * تصارع ما يناوش من قضايا
فما تزنيت والأرجاء طُرًّا * سوى نادي الأجلة في الرعايا
تُوَثَّقُ فيه من زمن عهود * وتصدر من عباقره الوصايا
فكم من خالد كم من صلاح * يقود إلى الوغى منه السرايا
فيحطم كل طاغية غشوم * ويغنم ما يشاء من السبايا
أضاء هنا الهلال بلا أفول * على رغم العتاة ذوي الدنايا
بشاطئ "أكْلُ" قد بزغت شموس * لها فضل على كل البرايا
أحال شعاعها موجَ الشواطئ * إلى سحب المكارم والعطايا
فأجرت في البلاد معينَ نور * ترقرق فيه للمرضى الشفايا
من الصحراء للحمراء بحر * من الأنوار تمخره الخلايا
تمد الوافدين على الشواطئ * على قدر القوافل والقصايا
وكم من زائر لما تولى * يردد نلت من سوس هُدَايا
ألم يلق ابن عباس عصاه * بسوسَ مبنيا آيا فآيا
وقال أبو هريرة نلت من سو * س ما يبغي الرواة من الحظايا
وسدد في جزولة سيبويه * لسان العرب من عِوَج الخطايا
وكم من بحتري كم حبيب * يساجل في المعاهد والزوايا
ويتلو في ظلال اللوز سحرا * وأركانَ، الأصائل والغدايا
وللجعفي كم خيل عتاق * تُروَّضُ في الغدايا والعشايا
فينشد فوقها طورا وطورا * يذيق بها العدا زرق المنايا
وللطبري في القمم العوالي * أحاديث الزمان على البقايا
وإياس بعدل كان يقضي * بتزنيت ويفتي في القضايا
لذا طابت لما العينين مأوى * فصانتها جياده والصفايا
فظلت للبلاد منار هدي * إلى أن دال دَوْلَتَها البلايا

كـذاك ردانـةٌ محـراب سـوس * ففيهـا كـم خبايـا في زوايـا
بهـا أملى الخليـل مـع ابـن بحـرٍ * علـى صبيـان سـوس والصبايـا
تبـاروا في العلـوم وكـل بـرٍّ * بألبـاب صفـت مثـل المرايـا
ومـا كـان الرجـال بـه جديريـ * ـن فالنسـوان هـن بـه حرايـا
كفى العَجْلاَن غيض من كثير * فما أحصي وقد كثرت مزايا؟
سلوا المختـار كـم ثَمَرًا جنـاه * فقدمـه لمـن نهمـوا هدايـا
فلـم يغمـض لـه جفـن عقـودا * إلى أن لَـمَّ بعضـا مـن شـظايا
أضـاء بهـا السـبيل إلى شـباب * طمـوح كـي يحققـوا كـل غايـا
فـذا لكـم قـراي فـإن كفـاكم * تطيـب النفـس ذلكـم منايـا

جانب من الحضور الكريم

المداخلات العلمية

الحضور الثقافي لزاوية الشيخ ماء العينين بالجنوب المغربي

د. محمد الظريف(*)

****

تسعى هذه المساهمة المتواضعة التي يشرفني أن أشارك بها في هذا اليوم الدراسي الذي تنظمه مؤسسة الشيخ مربيه ربه لإحياء التراث والتبادل الثقافي لمدينة تزنيت، إلى إبراز الحضور الثقافي لزاوية الشيخ ماء العينين في الجنوب المغربي، والدور الذي قامت به في إغناء الثقافة الوطنية.

فقد شكلت هذه الزاوية منذ تأسيسها في نهاية القرن التاسع عشر بالصحراء المغربية قلعة حصينة للعلم والمعرفة، بالإضافة إلى ما نهضت به من أنشطة اقتصادية واجتماعية وسياسية، وكان لتأسيسها بهذه الجهة من التراب المغربي دور كبير في النهوض بالجنوب المغربي بصفة خاصة، وتحديد المسار التاريخي للمغرب بصفة عامة.

فقد ظلت منطقة الساقية الحمراء ووادي الذهب -ومنذ انتشار الإسلام بالمغرب- حلقة وصل بين شمال إفريقيا وجنوبها، وبين شرقها وغربها، فكانت ممرا للقوافل التجارية المتجهة نحو بلدان إفريقيا السوداء، ومهدا للحركات الدينية والسياسية التي وجهت المسار التاريخي المغربي. فعبر منعرجاتها امتدت الخطوط التجارية التي تربط الشمال بالجنوب. وفي واحاتها ترعرعت حركة عبد الله بن ياسين التي مهدت لقيام دولة المرابطين، وبمجاهلها اعتصم زيري بن عطية سنة 387هـ[1]، وعلي بن يدر[2]، وعلي بن محمد بودميعة في القرن السابع عشر[3]، وغيرهم من الدعاة والمصلحين.

فكان من الطبيعي أن تتأثر بهذه الحركة الدائمة التي تعرفها وتنعكس على آثار الوضع العام فيما تتوسطه من أقاليم في الشمال والجنوب.

(*) - أستاذ جامعي - كلية الآداب والعلوم الإنسانية - المحمدية.

(1) - "الساقية الحمراء ووادي الذهب"، محمد الغربي، ص: 200، دار الكتاب، الدار البيضاء.

(2) - نفسه، ص: 206.

(3) - "الوسيط في تراجم أدباء شنقيط"، أحمد بن الأمين الشنقيطي، ص: 437، الطبعة الثانية، دار الكتب المصرية 1911.

ورغم الدور الهام الذي كانت تؤديه هذه المنطقة في تاريخها الطويل في الربط بين شمال إفريقيا وجنوبها، فقد ظلت مجرد قناة صحراوية، لا أثر فيها للتمدن الذي كانت تعرفه باقي الأقاليم المغربية في الجنوب والشمال، مثل شنقيط وولاتة وورودانة ومراكش وفاس وغيرها من المراكز الحضارية، تجوبها مختلف القبائل الصحراوية في السلم والحرب، وتخترقها أسراب القوافل التجارية المتجهة نحو الجنوب أو العائدة إلى الشمال، إلى أن استقر بها الشيخ ماء العينين، وأسس بها حاضرة السمارة، فتحولت الحياة فيها من فوضى واضطراب إلى استقرار وتآلف وتعاون بين القبائل. وهذا ما تقرره كتب التاريخ التي تعرضت للحديث عنها؛ يقول أحمد بن الأمين الشنقيطي:

«وكانت الساقية الحمراء خالية لا أنيس بها لشدة الخوف، ولقحولتها دائما، حتى عمرها الشيخ ماء العينين... وهي في الأصل للرقيبات.. والعلم فيهم قليل»[1].

فقد كانت هذه المنطقة حسب شهادة الشنقيطي قبل استقرار الشيخ ماء العينين بها منطقة خوف وخلاء وجهل وظلام، فلما أقام بها زاويته تحولت إلى مركز حضاري ينشر الأمن والاستقرار والتراحم بين القبائل الصحراوية، ويبث العلم والمعرفة داخل مجاهل الصحراء وخارجها.

وقد تمكن الشيخ ماء العينين من تحقيق ذلك كله بفضل احترام ملوك الدولة العلوية له، واستخلافهم له في تدبير شؤون الصحراء، وتقدير القبائل الصحراوية له، لما كان يملكه من رصيد علمي شامل، وثقافة موسوعية عميقة، بالإضافة إلى شرفه ونسبه، وما كان يتمتع به من ورع وتقوى وزهد.

وكان -رحمه الله- يعي أهمية العلم، ويدرك قيمته وخطورته في قيام الأمم وسقوطها، ودوره في رفعها وحفظها، فبنى زاويته على التربية والتهذيب، وأقامها على صقل النفوس، وشحذ العقول، فتمكن عن طريق ما وفره لها من أساتذة وعلماء، وما أقامه من مدارس وخزانات، من خلق نهضة ثقافية كبرى داخل الصحراء وخارجها، وإحياء ما عرفته في سالف عهودها من نشاط علمي وأدبي. فاستقطبت العلماء والأدباء من سائر الأقاليم المغربية، وقصدها الطلبة والمريدون من مختلف الآفاق، فصارت مركزا بارزا من مراكز الثقافة الإسلامية في شمال إفريقيا، واستعادت دورها التاريخي في الربط بين شمال المغرب وجنوبه.

---

(1) - "الوسيط في تراجم أدباء شنقيط"، أحمد بن الأمين الشنقيطي، ص: 437، الطبعة الثانية، دار الكتب المصرية، السنة 1911.

وقد تعرض معظم المؤرخين الذين عاصروا هذه الزاوية أو تتبعوا أخبارها إلى هذا الجانب الهام من أنشطتها، غير أنهم لم يتجاوزوا في ذلك استعراض عناوين بعض الكتب التي تحفل بها خزائنها، وبعض الأعلام الذين برزوا فيها، وبعض التلاميذ والطلبة الذين شدوا الرحال إليها من شمال المغرب وجنوبه، وتتلمذوا على شيوخها أو طلبوا إجازاتهم، مثل السلطان مولاي عبد الحفيظ، والوزير أحمد بن موسى، والحاجب الملكي إدريس بن يعيش، والعلامة الطاهر الإفراني، والعربي الصوابي، ومحمد الجرسيفي، وعبد السلام القلعي الريفي، والحاج عبد الرحمن الوجدي، وابن مايابا الجكني، ومحمد سالم المجلسي، والضوء السباعي البقاري، وابن عمه الدرباكي، والتهامي المكناسي، وعلال الحمري، وغيرهم. و لم يقدموا بيانات حقيقية عن طبيعة ثقافتها، وما تتميز به من خصوصيات، وهذا أمر يصعب تحقيقه.

ويرتكز الرصيد الثقافي لهذه الزاوية على ركنين أساسين:

– الركن الأول يقوم على التربية والتدريس: فقد كان الشيخ ماء العينين يدرك أهمية التربية والتعليم، ودورهما في صقل القلوب وشحذ العقول، فأسس زاويته على التربية والتعليم، ووفر فيها ما يحتاجه الطلبة والمريدون من محاضر ومدارس وأساتذة وزاد. وجعل نفسه في مقدمة المربين، فكانت محضرته قبل أن يستقر بالسمارة وتزنيت فيما بعد مدرسة متنقلة تنشر العلم والمعرفة[1].

وكان يشرع في إنجاز برنامجه التربوي –كما ذكره غير واحد من الذين تحدثوا عن سيرته، مثل الشيخ مربيه ربه، والشيخ محمد تقي الله، وماء العينين بن العتيق– منذ طلوع الفجر، فبعد أن «يصلي صلاة الصبح بالناس، ينحرف قليلا عن مصلاه، ويقبل على تسبيحه وتقديسه وتهليله، وسائر ما أراد من أوراده قريبا من ساعة. ثم يقرأ الحزب حتى تطلع الشمس، فيصلي الضحى. ويتلو بعد ذلك ما شاء الله من أوراده، ثم يرد وجهه نحو الجماعة. فيأخذ رضي الله عنه في تعليمهم على اختلاف طبقاتهم، فمنهم من يتعلم منه التفسير والحديث والأصول، ومنهم من يتعلم التصوف والحكم إلى غير ذلك من سائر العلوم النافعة»[2].

وعندما ينتهي من تعليم المريدين والتلاميذ المقيمين بزاويته، ينتقل إلى بيته

---

(1) – "سحر البيان في شمائل شيخنا الشيخ ماء العينين"، ماء العينين بن العتيق، الورقة: 85، الخزانة العامة تحت رقم: 84م.

(2) – نفسه، الورقة: 41–42.

«فيشتغل بتعليم أولاده ذكورا وإناثا، كما يعلم التلاميذ في المسجد» [1]. وكان لا يترك التعليم إلا في أيام الأعياد ويوم الخميس [2].

ويتكون البرنامج التعليمي المعيني من مواد متنوعة تستجيب لاهتمامات سائر الطلاب، وتراعي مستويات جميع التلاميذ، ويبتدئ هذا البرنامج بتلقين الطفل مجموعة من الآيات القرآنية التي تكتب له بخط أول غير واضح، فيعيد رسم خطوطها، ثم يرددها خلف الفقيه إلى أن تترسخ في ذهنه. وهذه الطريقة وإن كان هدفها هو تحصيل المادة القرآنية، فإنها تساعد الطفل في الوقت نفسه على معرفة القراءة والكتابة. و«بتقدم الطفل في استظهار القرآن وعند وصوله الغاية في ذلك، يلقن جملة من المتون» [3] التي تغني معرفته العامة، ثم تشرح له شرحا وافيا يمكنه من التعرف على قضاياها الأساسية.

وخلال هذه المرحلة الابتدائية تقدم له «جملة من النصوص والمحفوظات التي ترسخ في ذهنه ما يجب أن يكون على علم به من بديهيات الدين والعربية. وعندما يستتم هذه المعرفة الأولية، يتعمق في الدراسات الدينية والأدبية العميقة التي يتخرج منها العلماء والفقهاء الإسلاميون» [4].

وهذا البرنامج التعليمي الذي تنهجه المدرسة المعينية في التكوين لا يختلف عما تقدمه المدارس المغربية في الشمال والجنوب، فجل المدارس التقليدية في المغرب تتبع طريقة التلقين والحفظ في برامجها التربوية، وتنهج هذه السيرة الدراسية التي يسلكها التلميذ في المدرسة المعينية، بل إن بعض علماء الصحراء ومدرسة السمارة بصفة خاصة كانوا يشتغلون بالتدريس في بعض المدارس التقليدية في الشمال، كالشيخ النعمة والشيخ مربيه ربه ومحمد بابا الصحراوي ومحمد سالم الصحراوي وماء العينين بن العتيق ومحمد بن أبوة وغيرهم.

فقد كان محمد الشنقيطي يدرس "أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك" بالرباط بمسجد عطية [5]. وكان كل من محمد ابن أبوة وماء العينين بن العتيق يدرسان المنطق

---

(1) – "سحر البيان في شمائل شيخنا الشيخ ماء العينين"، ماء العينين بن العتيق، الورقة: 42.

(2) – نفسه، ص: 46.

(3) – "التداخل الثقافي بين المغرب وصحرائه"، المهدي البرجالي، مجلة الوحدة، ص: 45، العدد: 14، السنة 1968.

(4) – نفسه، ص: 45.

(5) – "من أعلام الفكر المعاصر بالعدوتين الرباط وسلا"، عبد الله الجراري: 196/1، الطبعة الأولى، الرباط 1971.

والبيان وباقي العلوم العربية بكلية ابن يوسف بمراكش، بينما كان محمد المامون بن محمد فاضل بن عبيدي يدرس الفقه بالمسجد الجامع بتازة، بعد أن استكمل بدوره دراسته بجامع القرويين بفاس.

ولعل هذا التواصل الثقافي بين شمال المغرب وجنوبه، مظهر واضح من مظاهر الوحدة بين سائر الأقاليم المغربية.

ورغم النوائب التي أصابت زاوية الشيخ ماء العينين بعد الهجوم الفرنسي على السمارة، وما تلا ذلك من تفرق، فقد ظلت المدرسة المعينية وفية للأهداف التربوية التي حددتها في انطلاقتها، فظلت بيوت أبناء الشيخ ماء العينين ومساجد القرى والمدن التي استقروا بها مدارس حافلة بالعلم والمعرفة، يحج إليها الطلاب والتلاميذ من كل مكان[1]، ولا يزال أحفاد الشيخ ماء العينين إلى اليوم يتلقون تربية مدرسة جدهم في بيوت آبائهم إلى جانب ما يأخذونه من علوم عصرية في المدارس الحديثة.

وقد استقطبت المدرسة المعينية ببرامجها الحافلة بأنواع العلوم والفنون عددا كبيرا من التلاميذ داخل الصحراء وخارجها[2]، كما تخرج منها عدد من العلماء الذين ساهموا بنصيب وافر في إغناء الثقافة المغربية. وتحتفظ الخزائن المغربية بوثائق هامة تؤكد هذه الحقيقة، من إجازات وفوائد ورسائل تربوية، نذكر منها على سبيل المثال إجازة الشيخ ماء العينين للسلطان مولاي عبد الحفيظ العلوي في استعمال ما يشاء من تآليفه وأسراره، وإجازته لباشا سلا محمد بن الطيب الصبيحي، وإجازته إلى مقدم زاويته بوجدة الحاج عبد الرحمن الوجدي، وفوائده للوزير أحمد بن موسى في كثير من القضايا الدينية والدنيوية، وإجازة الشيخ مربيه ربه بن الشيخ ماء العينين للجرسيفي، وإجازة ماء العينين بن العتيق لعدد كبير من رجال الفكر والأدب مثل عبد الوهاب بن منصور والصبيحي وابن موسى وغيرهم.

– الركن الثقافي وهو التأليف: ولا يقل شأنا عن الركن الأول في غناه وعمقه وشموليته وأبعاده الوحدوية، فقد كان الشيخ ماء العينين شديد التعلق بالكتب والنهم على قراءتها[3]، والبحث عنها في أقصى المناطق، وكان يخصص للتأليف جزءا مهما من وقته، فبعد أن ينتهي من تعليم مريديه «يأتي إلى بيته الذي أعده لوضع الكتب، وفيه ما

---

(1) – "الساقية الحمراء ووادي الذهب"، محمد الغربي، ص: 359.

(2) – نفسه، ص: 359.

(3) – "سحر البيان"، ماء العينين بن العتيق، الورقة: 42.

ينيف على المائة من الصناديق المملوءة كتبا في كل فن، فتارة يكون خيمة تسمى خيمة الكتب، أو يكون دارا تسمى دار الكتب، وليس فيه أحد من زوجاته، بل فيه أحظى سراريه عنده وأحبهن إليه، وهي القائمة بأمر ذلك البيت، ثم يشتغل بالتأليف، فيؤلف ما شاء الله من نظم ونثر، وكأنه يملي ذلك من صدره»[1].

ورغم المشاغل الكبرى التي كانت تملأ معظم وقته، فقد خلف من المؤلفات ما يثير الدهشة. ويختلف الدارسون في تقدير عدد مؤلفاته، فقد أورد الشيخ مربيه ربه منها مائة وثلاثة وثلاثين مؤلفا[2]، بينما ذكر ابن العتيق منها مائة وثلاثة وخمسين[3]. أما باقي الدارسين، فيتجاوزون هذا العدد بكثير، فقد حدده كارو باروخا في ثلاثمائة وأربعة عشر كتابا[4]، وكذلك أوديت دوبيكودو[5]، أما علي الشامي، فقد ذكر نقلا عن كوديو أوتيليو أن هذا العدد يصل إلى ثلاثة عشر وأربع مائة كتاب في الدين والفقه والأخلاق والسياسة[6].

ولعل هذا الاختلاف في تحديد عدد هذه المؤلفات يعود بالأساس إلى ما أصاب الخزانة المعينية من محن بعد الهجوم الفرنسي على السمارة، وإحراق ونهب ذخائرها العلمية والأدبية. كما أن خلط بعض الدارسين بين ما هو تأليف رصين وبحث أصيل، وبين ما هو نظم مختصر وتعليق موجز، جعلهم يعتبرون منظومات الشيخ ماء العينين وأوراده وإجازاته وأجوبته أعمالا رصينة ومؤلفات ثابتة.

وقد أحاطت هذه المؤلفات بمختلف مجالات التأليف العربي الكلاسيكي، وأكثرها طبع بالمطبعة الحجرية بفاس تحت رعاية ملوك الدولة العلوية وتحت إشراف مجموعة من علماء فاس والصحراء، مثل عبد الرحمن بن جعفر الكتاني، واليملاحي، وأحمد بن الشمس وغيرهم، ومنها ما طبع بالمطبعة المصرية[7].

وقد حاول كل من الشيخ مربيه ربه وابن العتيق تصنيف هذه المؤلفات وتحديد

---

(1) - "سحر البيان في شمائل شيخنا الشيخ ماء العينين"، ماء العينين بن العتيق، الورقة: 42.

(2) - "قرة العينين في كرامات شيخنا الشيخ ماء العينين"، الشيخ مربيه ربه، الورقة: 65، الخزانة العامة تحت رقم: 95م.

(3) - "سحر البيان"، من الورقة 24 إلى الورقة: 30.

(4) - "ماء العينين القلقمي"، برادفور، مجلة الأفارقة، العدد: 12، ص: 183.

(5) - "الماضي المغربي لموريتانيا"، أوديت دوبيكودو، ص: 94، الرباط 1962.

(6) - "الصحراء الغربية عقدة التجزئة في المغرب العربي"، علي الشامي، ص: 108، دار الكلمة للنشر 1980.

(7) - "سحر البيان"، الورقة: 24.

مجالاتها، فقسماها إلى خمسة أصناف وهي:

- أولا: الأصول والفقه.
- ثانيا: النحو والتصريف والعربية والبيان والعروض.
- ثالثا: التصوف.
- رابعا: علم الحساب.
- خامسا: الأسرار والأدعية.

ورغم ما يطبع هذا التصنيف من تعميم، فإنه يعبر عن شمولية التأليف عند الشيخ ماء العينين، وتغطيته لسائر مجالات المعرفة، وتلبيته لسائر الحاجات الروحية والفكرية.

وقد اقتدى أبناؤه وأحفاده وبعض مريديه بشيخهم في هذا المجال وغيره، فكانوا في أغلبهم من أصحاب النفس الطويل في البحث والتأليف، وتأتي في مقدمتهم مجموعة من الأسماء نذكر منها: الشيخ مربيه ربه، والشيخ أحمد الهيبة، والشيخ محمد تقي الله، والشيخ النعمة، والشيخ محمد الإمام، والشيخ شبيهن، والشيخ الطالب اخيار، والشيخ الجيه، والشيخ أحمد بن الشمس، وماء العينين بن العتيق.

فقد كان هؤلاء وغيرهم من العلماء المشاركين الذين ساهموا في إثراء الخزانة المغربية وإغنائها، غير أنهم لم يصلوا في ذلك إلى شأو الشيخ ماء العينين، ولم يدركوا مقامه، وذلك لاختلاف ظروفهم عن ظروفه، وعدم توافر ما توافر له من إمكانات، فإذا كان الشيخ ماء العينين قد ألف «الكثير من كتبه في أول زمانه وريعان شبابه أيام جولانه» [1] بين القبائل الصحراوية قبيل تفجر الأزمة المغربية، وأتاحت له ظروف الهدوء السياسي نسبيا خلال هذه الفترة طبع جل كتبه بالمطبعة الحجرية، فإن الظروف التي عاشها أبناؤه لم توفر لهم كل هذه الإمكانيات، فقد قضوا معظم حياتهم في قلق مستمر وتوتر دائم، فظلت مؤلفاتهم رهينة الصناديق، حبيسة الرفوف، تتلفها الأرضة، وتحرقها نيران المستعمر، وتتناهبها أيدي الغزاة.

ورغم كل ذلك، حافظ الأحفاد على هذا الرصيد، وعملوا على صيانته، ولم يتوانوا في إعادة ترميمه والمحافظة على استمراريته، فقلما تجد بيتا من البيوتات المعينية لا تحركه الغيرة على التراث المعيني والافتخار به والسعي إلى جمعه وصيانته، وقلما تجد واحدا من أسرة الشيخ ماء العينين لا يشده الحنين إلى ماضي السمارة العلمي ومجدها

---

(1) - "قرة العينين في كرامات شيخنا الشيخ ماء العينين، الشيخ مربيه ربه، الورقة: 95.

التاريخي ولا يحفظ بائية الشيخ محمد الإمام الطويلة التي يقول في بعض أبياتها[1]:

ألا حيهل بالقوم مربعهم خصب * لمن أمهم والبيت منفسح رحب
إذا نزلوا محلا تروض جذبه * وتدنو إلى الجاني الفواكه والأب
وتهتز أكناف البسيطة تحتهم * فيثري الثرى نبتا ويختلط العشب
أولئك آل الجيه أكرم معشر * من آل رسول الله يممه ركب

ولا تجد واحدا منهم لا ينشد بمرارة قول الشيخ مربيه ربه[2]:

هذي السمارة لا حي ولا ملأ * بها ولا فرح بها ولا طرب
ولا بها حلق الذكر العظيم ولا * علم تدارسه قوم ولا أدب
هذا تضلع من شرع العلوم وذا * من الحقيقة كالمحروق يلتهب
حيران ولهان من خمر المعارف لم * تسمع له غير ذكر الله يضطرب
دار بوفق المنى كانت معمرة * هناك تكنفها الأستار والحجب

إنها غيرة متأصلة في أعماق هذه الأسرة، وجبلة راسخة في تاريخها لا يزيدها الدهر إلا عمقا وأصالة.

وما هذا الرجل الذي نلتقي اليوم لإحياء الذكرى الأولى لرحيله إلا واحد من هذه الطينة، وفرعا طيبا من تلك الشجرة الأصيلة، فمنذ أن تشرفت بمعرفته في بداية سنوات الثمانين في بيته بمدينة طان طان وأنا أهيئ رسالتي لدبلوم الدراسات العليا تحت عنوان: "الحياة الأدبية في زاوية الشيخ ماء العينين"، وأطروحتي لنيل الدكتوراه في موضوع: "الحركة الصوفية وأثرها في أدب الصحراء"، وهو يعمل بجد واجتهاد ونكران ذات على جمع ما ضاع من ذخائر الخزانة المعينية، واستنساخها وإعادة كتابتها، وتزويد الباحثين بما توافر من نسخها، فجمع منها ذخيرة هامة قلما تجدها في خزانة خاصة، مثل مؤلفات الشيخ ماء العينين، ومؤلفات الشيخ مربيه ربه وخطبه ورسائله وكتابه الضخم "قرة العينين"، ورحلة ماء العينين بن العتيق، والكثير من قصائد شعراء السمارة كالشيخ مربيه ربه، وماء العينين بن العتيق، والشيخ أحمد الهيبة، والشيخ محمد الإمام، والشيخ الجيه، والشيخ محمد تقي الله، ويحجب، وعبد السلام بن الشيخ مفتاح، وسداتي بن

(1) - "المعسول"، المختار السوسي: 302/4، مطبعة فضالة، المغرب.
(2) - "جوانب وحدوية من ثقافة الصحراء المغربية"، ص: 51، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، الطبعة الأولى 1997.

الشيخ أحمد الهيبة، وغيرهم.

و لم ينحصر عمله في جمع التراث المعيـني، ولكنـه سـاهم في إغنائـه بمـا صنعـه مـن مجموعات شعرية، وبما حرره من فوائـد ورسـائل وكنـانيش سـعدت كثيرا بتلقيهـا مـن أخوته، ولا أزال أحتفظ بها في خزانتي المتواضعة بخطه رحمه الله.

وقد زان كل ذلك أخلاق عالية في التعامل مع الطلبة والباحثين، وتواضع أصيـل، وكرم أثيل، فلم يكن -رحمه الله- يبخل على أحد بما عنده من ذخائر علمية، و لم يكـن يقصر في الإكرام والمساعدة، لذلك لا يسعني في نهاية هذه الكلمة إلا أن أنوه بعصاميته، وأعتبر ما بذله من جهد في جمع الـتراث المعيـني مسـاهمة فعالـة في بنـاء ثقافتنـا الوطنيـة، تستوجب الشكر والتقدير، وأدعو الله تعالى أن يجازيه عنا خيرا، ويكلأه برحمته وعنايته، وأن يفسح جناته.

هذه بعض الإشارات حول مساهمة الزاوية المعينيـة في إغنـاء ثقافتنـا الوطنيـة، ولا يسعني في النهايـة إلا أن أجـدد الشـكر إلى مؤسسـة الشـيخ مربيـه ربـه لإحيـاء الـتراث والتبـادل الثقـافي، والمجلس البلـدي لحـاضرة تزنيـت، وكليـة الآداب والعلـوم الإنسـانية بأكادير، وعلى رأسها سعادة قيدومها الدكتور حسن بن حليمة الذي أشاد أخونا مربيه ربه بغيرته الوطنية، وعمله على الحفر في ذاكرتنا الثقافية، بما يؤكد وحدتنـا الترابيـة، وإن كانت هذه الوحـدة لا تحتـاج إلى تـأكيد، وأعتـبر مبـادرة المؤسسـتين وجميـع الفعاليـات المشاركة في هذا اليوم عملا وحدويا، وسلوكا حضاريا متميزا، يتوج مـا عاشـته سـوس والصحراء من تواصل ثقافي واجتماعي. والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

جهاد الشيخ مربيه ربه والقبائل السوسية
من خلال وثائق محلية

- ماء العينين النعمة علي (*)
- أحمد بومزكو (**)

****
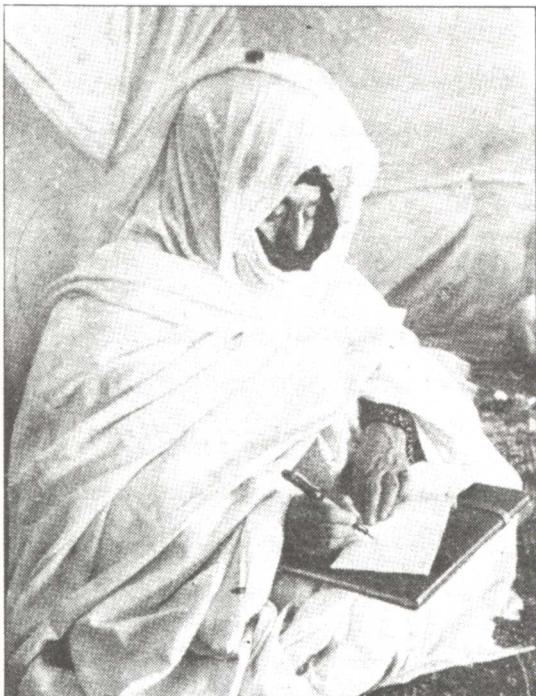
صورة المجاهد الشيخ مربيه ربه

تقديم:

يعتبر الشيخ مربيه ربه بن الشيخ ماء العينين أحد أبرز رموز المقاومة والجهاد ضد الاحتلال الفرنسي بالجنوب المغربي، كما تعتبر حركته الجهادية استمرارا لحركة أخيه الشيخ أحمد الهيبة ووالده الشيخ ماء العينين مع متغيرات جديدة، جعلت حياته مليئة بالتحدي المستمر للاستعمار منذ سنة 1912.

وتجدر الإشارة إلى أن هذه الشخصية الوطنية لم تحظ بدراسات تاريخية مستفيضة، وحتى المصادر والمراجع التي رجعنا إليها لا تحتوي إلا على مؤشرات قليلة ومختصرة جدا عن حركته الجهادية بالمقارنة مع ما كتب عن باقي رموز المقاومة الوطنية المغربية.

غير أن السمة الإيجابية لشخصية الشيخ مربيه ربه هي حرصه على تدوين أفكاره وآرائه ونشاطه الجهادي في كتابات تعتبر مرآة صادقة عن تحركاته وانشغالاته وظروف

(*) - أستاذ باحث - تزنيت.

(**) - أستاذ باحث - تزنيت.

جهاده، لذا، فإن أي بحث عن جهاده بصفة عامة يجب أن ينطلق من تراثه الفكري والأدبي نفسه.

وتمثل سنة 1934 حدثا بارزا في جهاد الشيخ، ويبدو أن الأمر يعود إلى اعتبارين أساسيين:

- أولهما: ينطلق من الفترة المتميزة التي تمر منها علاقة القبائل بالمستعمر، وما نتج عن تلك الوضعية من أحداث ووقائع بين الطرفين.

- وثانيهما: قرار الشيخ مربيه ربه الخروج من كردوس نحو طرفاية.

وفي هذا الإطار، تعتبر يومياته لسنة 1934[1] أهم ما وصلنا عن خروجه من كردوس نحو طرفاية. ولعل ما دفعنا إلى اختيارها كونها تعبر عن موقفه تجاه الأحداث الطارئة في المنطقة إبان احتلال فرنسا النهائي لجبال الأطلس. لهذا سينصب اهتمامنا في هذه الدراسة على توضيح الانشغالات التي شغلت اهتمامه، ومن ثم استجلاء القضايا التي تتضمنها.

إلا أننا نشير إلى أن أية محاولة لفهم واستيعاب المضامين الواردة في اليوميات لا يمكن أن يعزل عن إطار تاريخي شامل، وهو ظرفية انبثاق حركة الشيخ مربيه ربه منذ سنة 1912 إلى حدود سنة 1934.

I- ظروف نشأة حركة الشيخ مربيه ربه:

1) علاقة الشيخ مربيه ربه بالقبائل:

إذا كانت حركة الشيخ أحمد الهيبة بن الشيخ ماء العينين في حقيقتها تمثل رد الفعل الشعبي ضد الاحتلال الأجنبي، فإن دور أخيه الشيخ مربيه ربه -في إطارها- يعتبر رياديا في تأطيرها، حيث اضطلع بالأدوار الطلائعية في تهييئ القبائل وتوجيهها وتنشيط الحمِية الجهادية ضد المستعمر[2].

وعلى الرغم من توافر جميع الشروط لنجاح الحركة الجهادية بعد مقتل حيدة بن

---

(1) - ترتكز هذه الدراسة على فقرات من يوميات خروجه من كردوس يوم الأحد 17 ذي القعدة عام 1352هـ، وهذه الفقرات لا تشكل إلا جزءا من رحلته نحو طرفاية. (توجد نسختها الأصلية في خزانة الأستاذ المحترم ماء العينين محمدِ فاضل بن الشيخ حسنّ بن الشيخ مربيه ربه بالعيون، وهي مخطوطة). ونشير إلى أن مثل هذه اليوميات والمذكرات تشكل مصدرا لا غنى عنه لأي باحث في تاريخ المقاومة الوطنية المغربية، ومما يزيد أهميتها كونها تقربنا من نظرة وموقف أحد المساهمين مباشرة في عمليات مقاومة الوجود الأجنبي.

(2) - محمد المختار السوسي، "المعسول": 120/4-148-247.

مايس في معركة "إيكالفن" سنة 1917[1]، فإن الشيخ أحمد الهيبة لم يستغل بما فيه الكفاية تلك الظروف المواتية[2] لعدة أسباب منها:

- غياب الانسجام الكافي بين القبائل.
- كون بعض الأطراف المساهمة في الحركة تخضع لمصالح وقتية اقتضتها ظروف الحمية الجهادية التي انتابت المنطقة بعد سنة 1912[3].

ومباشرة بعد وفاة الشيخ أحمد الهيبة سنة 1919 سارعت القبائل إلى اختيار أخيه الشيخ مربيه ربه[4]، لأن شروط الزعامة في تلك الظروف الصعبة متوافرة في شخصه، منها:

- حضوره الفعلي في مسرح الأحداث منذ عهد والده الشيخ ماء العينين وأخيه الشيخ أحمد الهيبة في الصحراء المغربية وسوس والحوز، مما أكسبه تجربة كبيرة جعلت شخصيته تتصف -كما قال المختار السوسي- بالحنكة والدهاء السياسي والشجاعة في قيادة الجيوش المجاهدة[5].
- انتماؤه الأسروي (أهل الشيخ ماء العينين) جعله في مأمن من الاعتبارات القبلية الضيقة التي كانت تنتاب العلاقات بين القبائل السوسية[6].
- مكانته العلمية جعلته يستمد قوته من الحقل الرمزي الديني للتأثير على المجاهدين[7].
- طبيعة شخصيته المتميزة بالقدرة الخارقة في التأثير على القبائل وتنظيمها، جعلها

---

(1) - Dugard (H.): La colonne du Sous 1917, Paris 1918.

- محمد الإكراري، "روضة الأفنان في وفيات الأعيان"، تحقيق: حمدي أنوش، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أكادير، ص: 100، الطبعة الأولى 1998.

(2) - Dugard (H.), Op. cit.

(3) - محمد الإكراري، مصدر سابق، ص: 98.

(4) - نتوفر على نسخة خطية من الاتفاق: (نسخة خاصة) مؤرخ بتاريخ يوم الأحد 6 شوال 1337هـ.

(5) - "المعسول": 247/4.

(6) - Justinard (L.): Notes sur l'histoire du Sous au XVI Siècle. in: Archives Marocaines, Vol.: XXIX - 1933.

(7) - لقد برهن الشيخ مربيه ربه عن وعي متكامل من خلال اقتناعه بأهمية الوازع الديني والقوى السلوكية كمقومات أساسية في أي عمل جهادي. وكما سبق أن أبرزنا في مقالات سابقة، نشير إلى غزارة مؤلفاته في موضوع الجهاد، وهي مؤلفات تترجم ما راكمه من تجارب خلال مسيرته الجهادية، كما تعكس المرجعية الشرعية التي تؤطر حركته. انظر مقالنا في صحيفة العلم:

"الشيخ مربيه ربه: العالم المجاهد:

معطيات عن مقاومته المسلحة ضد الاستعمار ودعوته الجهادية في مواجهة الصليبية"

- العدد: 16660 الجمعة 15 رجب 1416 الموافق 8 دجنبر 1995.
- العدد: 16667 الجمعة 22 رجب 1416 الموافق 15 دجنبر 1995.

تعتبره زعيما وترشحه قائدا للجهاد.

وعلى الرغم من أنه يعتبر حركته الجهادية استمرارا لجهاد أخيه الشيخ أحمد الهيبة، إلا أنه كان على وعي بالمتغيرات الطارئة على الوضع العسكري والضعف الذي يتخلل العلاقات القبلية. لذا سنحاول تحديد طبيعة العلاقات التي ربطها مع القبائل، خاصة تلك المحيطة بكردوس من حيث التنظيم والاستعداد وفضّ النزاعات.

أ- التنظيم: لقد اقتنع الشيخ مربيه ربه بأن تنظيم القبائل، والسهر على تموين جميع تحركات المجاهدين، تعد أعمالا ضرورية لضمان استمرار العمل الجهادي، واستقطاب القبائل الجبلية غير الخاضعة للاحتلال. وتمدنا الرسائل التي كان يرسلها لأعيان القبائل بأمثلة عن طبيعة التموين الذي كانت تحظى به حركته[1]، وذلك في إطار التزود بمزيد من وسائل العمل والمعونة اللازمة (الأعشار والزكوات والأموال)، وكان يحث مخاطبيه غير ما مرة بضرورة دعم حركته ودفع التزاماتها من الحبوب والمؤونة وغيرها. وقد كانت القبائل ترسل مساهماتها عبر ممثلين عنها، وهم أشخاص لهم اطلاع واسع بأحوال المنطقة، وعملوا بإخلاص في حركته (مثل خليفته بمنطقة آيت باعمران سيدي عثمان بن حسن)[2].

ب- الاستعداد: تبين الرسائل مدى نجاح الشيخ في التأثير على القبائل، حيث خلقت حركته حماسا متأججا لديها لمواجهة العدو المحتل وعملائه بالمنطقة[3]. كما عمل على ردع القبائل المتعاملة معه، وحذرها من الدخول في اتصالات مباشرة به[4]. فخلال المدة التي قضاها مجاهدا داخل جبال الأطلس الصغير كثف من تنقلاته صحبة نخبة من أعيان القبائل وعلمائها[5]، أمثال: القائد المدني الاخصاصي، والقائد سعيد البعقيلي،

(1) - رسالة الشيخ مربيه ربه إلى أهل آملن يوم 19 ذي القعدة 1349هـ.
رسالته إلى عمر الإيلالي يوم 22 جمادى الثاني 1341هـ.
رسالته إلى قبيلة آيت الخمس يوم 4 محرم 1334هـ.
رسالته إلى أمغار سعيد يوم 2 جمادى الأولى 1351هـ.

(2) - رسائل الشيخ مربيه ربه إلى خليفته سيدي عثمان بن حسن:
- بتاريخ 28 ذي الحجة 1346هـ.
- بتاريخ 4 ذي الحجة 1342هـ.

(3) - رسالة الشيخ مربيه ربه إلى عمر الإيلالي بتاريخ 22 جمادى الثانية 1341هـ.

(4) - رسالة الشيخ مربيه ربه إلى قبيلة آيت عثمان بتاريخ 7 ربيع النبوي 1350هـ.
رسالته إلى عمر الإيلالي بتاريخ 21 شعبان 1338هـ.

(5) - رسالة الشيخ مربيه ربه إلى سيدي عثمان بن حسن بتاريخ 28 ذي الحجة 1346هـ.

المجاهد الشيخ مربيه ربه مع بعض قادة قبائل سوس المجاهدة

والطاهر الإفراني، والمحفوظ الأدوزي، والقائد سعيد الاكماري، والقائد مبارك البنيراني، والحسن الأزاريفي، والحاج الحبيب الصوابي، وأمغار سعيد الخمسي، وحمادي ولد سوساني الزفاضي[1]. ومن المؤشرات الدالة على قوة نفوذ الشيخ مربيه ربه بين قبائل المنطقة ما تكشف عنه تقارير الاستعلامات الفرنسية[2] من أن كردوس أصبح مركزا تجتمع فيه فعاليات المقاومة خلال انعقاد المواسم المشهورة (سيدي أحمد بن موسى بتازروالت، وسيدي الغازي والقصابي بوادي نون)، أو خلال الأعياد الدينية للتشاور والتنسيق حول أمور الجهاد[3].

ويستند الشيخ إلى قوة القبائل الجبلية المعارضة لفرنسا، حيث امتد نفوذه من آيت بعمران غربا، إلى حدود إيلالن شرقا. وكان على اتصال دائم بأعيان هذه المناطق، وتطلعنا الرسائل التي كان يوجهها إليهم على أهمية الإمدادات التي تأتيه من قبيلة (أملن وأيت عبلا وآيت صواب)[4]. كما تبين اعترافه وثناءه للدعم المستمر الذي يصله من القائد أمغار سعيد الباعمراني[5]، والشعور نفسه أبداه نحو عمر الإيلالي الذي تزعم قبيلته لصد الاحتلال الفرنسي[6].

ج- **فض النزاعات**: ما يهمنا في هذا الجانب هو امتلاك الشيخ السلطة المعنوية، مما أهله للقيام بأدوار مختلفة داخل مجال نفوذه، وحتى في مجالات جغرافية بعيدة عن كردوس. فقد كان في جميع تحركاته يدعو إلى ضرورة جمع شمل القبائل وحملها على

---

(1) - لم تكن الإغراءات الفرنسية كافية لجعل القواد المحليين ينقادون للإدارة الاستعمارية، فأغلبهم بادر إلى دعم الشيخ مربيه ربه في تحركاته الجهادية. وكان على رأس هؤلاء القائد المدني الأخصاصي وأمغار سعيد الخمسي الباعمراني.

(2) - تقرير الاستعلامات الفرنسية بتاريخ 1925/03/23 تحت رقم: 378.

(3) - رسالة الشيخ مربيه ربه إلى قبيلة أيت الخمس يوم 4 محرم 1334هـ.
رسالته إلى قبيلة رسموكة يوم 7 ذي القعدة 1341هـ.
رسالته إلى قبيلة آيت الخمس يوم 8 شوال 1350هـ.
- "المعسول": 250/4.

(4) - رسالة الشيخ مربيه ربه إلى أمغار سعيد يوم 2 جمادى الأولى 1351هـ.
رسالته إلى الحاج محمد بن إبراهيم الصوابي يوم 15 شعبان 1339هـ.

(5) - رسالة الشيخ مربيه ربه إلى أمغار سعيد يوم 22 صفر 1347هـ.

(6) - رسالة الشيخ مربيه ربه إلى عمر الإيلالي يوم 22 جمادى الثانية 1341هـ.
رسالة أخرى إليه يوم 21 شعبان 1338هـ.
رسالة أخرى إليه يوم 3 صفر 1345هـ.

التعاضد والاتحاد وتجميع إمكانياتها الخاصة تحت راية الجهاد[1]، كما كان يحث على الاستعداد والتريث والمواجهة، وهو لا ينطلق في ذلك من أية خلفية سياسية أو بواعث قبلية ضيقة، بل هدفه الرفع من معنويات القبائل.

وهكذا استطاع في ظل وضعية حرجة تميزت بالفوضى العارمة والتشتت القبلي[2] أن يحافظ على التوازن والاستقرار. وهذا المطلب الملحّ والضروري يمكن ملاحظته من خلال المراسلات التي كانت تجمعه بأعيان القبائل غير الخاضعة. وعادة ما كان يشعر أحيانا بخيبة أمل من الحالة المزرية التي آلت إليها الإمكانيات الحربية للقبائل، مما يفسر تدخله لفض النزاعات المحلية، كالصراع بين قبيلتي مجاط والأخصاص، أو بين قبائل آيت صواب وإيلالن وآيت الرخاء[3].

ومن الثابت أن دواعي هذه التحركات قد ساهمت في تقوية حركته الجهادية، وضمنت على الأقل استمراريتها لمدة تزيد عن عشرين سنة.

ويبدو أن سلطات الحماية قد سلمت بهذه الحقيقة، وهي أنه يستحيل على الشيخ ممارسة نشاطه بدون سند قبلي.

2) استراتيجية احتواء القبائل:

إن الدلائل المتوافرة قبل سنة 1934 تشير إلى نشاط الشيخ مربيه ربه الجهادي المكثف منذ سنة 1912، غير أن هذه الدلائل لا تورد تفاصيل دقيقة عن طبيعة هذا النشاط، فمباشرة بعد نكسة سيدي بوعثمان وتراجع قوات المجاهدين نحو سوس[4]، نسجل تحرك الشيخ لجمع شمل القبائل التي مازالت تؤيد الشيخ أحمد الهيبة، ثم استرجاع المناطقة السهلية التي امتد إليها نفوذ القائدين المخزنيين محمد بن دحان بتزنيت، وحيدة بن مايس انطلاقا من تارودانت[5]. وكانت دعامة الشيخ مربيه ربه في ذلك

(1) – رسالة الشيخ مربيه ربه إلى أيت عثمان يوم 7 ربيع النبوي 1350هـ.
رسالته إلى علي بن محمد الإيلغي يوم 29 شوال 1344هـ.
رسالته إلى أمغار سعيد يوم 14 جمادى الأولى 1350هـ.

(2) – كان الشيخ مربيه ربه على وعي بالضغط العسكري وحالة عدم الاستقرار في العلاقات بين القبائل، خاصة بين مجاط والأخصاص. وقد قامت سلطات الحماية بدور كبير في إذكاء تلك الصراعات، مما أنهك القدرات الحربية للقبائل، وساهم إلى حد ما في تسهيل عملية الاحتلال. وقد اعترف الشيخ بهذه الحقيقة في عدة رسائل موجهة إلى أعيان وعلماء المنطقة.

(3) – رسالة الشيخ مربيه ربه إلى محمد الحبيب بن إبراهيم الصوابي يوم 15 شعبان 1339هـ.

(4) – الإكراري، ص: 91.

(5) – EL Hiba: fils de Malainin, in: Renseignements coloniaux n° 3 - Mars 1916.

قبائل آيت بـاعمران والأخصاص ووادي نـون، إلا أن هـذه المحاولات فشلت لافتقـاد القبـائل المجاهدة إلى التنسيق ووسـائل الاستمرار. ويكفـي أن نذكـر أن أهـم محطـات المواجهـة وقعت بماسـة 1913، والسـيحل 1913، وآيت برايـيـم 1914، وأكـلو 1915، وأشتوكن 1915 [1].

لقد تزامن اختيار الشيخ مربيه ربه من قبل القبـائل الجبلية قـائدا وزعيمـا للجهـاد سنة 1919 باشتداد الضغط العسكري الفرنسي المباشر لاحتواء الجيوب المتبقية منذ حملـة الجنرال دولامـوط 1917 [2]. وكـانت تستهدف بعض المراكـز الاستراتيجية، خاصـة وجان، وآيت برايـيم، وثلاثاء الأخصاص، وإيغرم. وهذا ما جعل القبائل تظهـر صمـودا قويا أمام المحاولات الفرنسية المتوالية. وفي السياق نفسه اقترنت محاولات القائد الـكندافي (1917-1921) [3] لاختراق القبـائل الجبلية انطلاقـا مـن أيـت وادريـم وآيـت صـواب، بإجراءات دفاعية من قبل الشيخ مربيه ربه لإفشال خطته، وذلك بتوزيع القبـائل المجاهدة في المناطق المحايدة لآيت أحمد وآيت صواب وآيت وادريم [4]، مما أفضـى إلى تراجـع قـوات الكندافي. وعلى إثر هذه التطورات قرر قائد المنطقة الجنوبية دعم قوات الكندافي بطابور مـن تارودانت ومن رجال القائد المتوكي، كما أرسل سربا من الطائرات إلى تزنيت [5].

مهما يكن من أمر، فإن استمرار العمليات الجهادية ضد المواقع الفرنسية أثـار انزعاج سلطات الحماية وجعلها تفكر في نهج خطة عسكرية قوية أكثر فعاليـة لمواجهـة الوضع الجديد الناتج عن انسحاب الـكندافي من سوس في نهاية 1921.

لهذا يمكن أن ننعت الفترة الممتدة ما بين 1922 و1934 بأنها فترة انتظـار وترقـب، حيث خفت نسبيا وطأة العمليـات العسكرية. ويبـدو أن المحتل قـد اقتنـع بـأن تكسـير مقاومة جبال الأطلس الصغير لن يتأتى إلا بإفشال مساعي زعيم المقاومة وقائدها الشـيخ مربيه ربه.

ويفهم من تقارير الفرنسيين خلال الفترة المذكورة أنهم اعترفوا بكونهم يواجهون خصما عنيدا، وكانوا يدركون مكانته الرمزية والمعنويـة لـدى القبـائل. وهـذا مـا يفسـر الرغبة الملحة للتأثير سلبا على حركته الجهادية ومقاومتها بمختلف الوسائل بما في ذلك:

---

(1) - EL Hiba: fils de Malainin, in: Renseignements coloniaux n° 3 - Mars 1916.

(2) - Dugard, Op. cit.

(3) - Justinard, Le caid El Goundafi. Casa 1952.

(4) - تقرير الاستعلامات الفرنسية رقم: 578 بتاريخ 1921/03/22.

(5) - المرجع نفسه.

- إضعاف نفوذه بين القبـائل الجزولية، وقطع الطريق أمام جهوده الرامية إلى توحيدها تحت راية الجهاد، الشيء الذي جعل القـوات الفرنسية تكشف اتصالاتها مع قواد وأعيان بعض القبائل الذين أصبحت مصالحهم مرتبطة بالاستعمار[1]، للتأكد من مساندتهم لتسهيل مأمورية القوات الفرنسية والتأثير على سكان المناطق غير الخاضعة.

- البحث عن مواطن الانقسام والتصدع في العلاقات بين القبائل، وفي هذا السياق اندلعت سلسلة من الصراعات بين أهم القبائل المساندة للشيخ مربيه ربه حول بعض المراكز الاستراتيجية[2] تسبب فيها قواد وأعيان الجهاد خاصة القائدين المدني الأخصاصي وسعيد المحاطي[3]، مما أفضى إلى واقع معقد دام سبع سنوات.

- محاولة تسريب الجواسيس والمخبرين لجمع المعلومات عن خطط القبائل الجبلية انطلاقا من الهوامش الجنوبية للأطلس الصغير أو من أزغار تزنيت[4].

استعمال سياسة الإشاعات في حق الشيخ للتأثير سلبا على حركته[5].

- التجاء فرنسا في تعاملها مع الشيخ إلى أسلوب الإغراء[6] لوضع حد لحركته، لكنه رغم هذه الإغراءات التي عرضت عليه، فقد بقي وفيا لمبدئه، وقابل كل ذلك بنوع من التحدي والتجاهل، كأنه اقتنع باستحالة التوصل إلى حل مقنع مع الفرنسيين[7].

لقد تطورت الأحداث بسرعة في الجنوب المغربي في بداية الثلاثينات، ولا يمكن فصلها عما يحدث من تطور في مسعى فرنسا لاستكمال احتلال المناطق المتبقية، حيث أصبح الهم الأساس لإدارة الاحتلال هو إحكام السيطرة على معاقل المقاومة، والوصول إلى عمق القبائل التي مازالت تؤيد الشيخ مربيه ربه، لتطويقها وإخضاعها. وكان الاستعداد والتهييء للإجهاز على الجبال قد تطلب أكثر من عشر سنوات سخرت

---

(1) - انظر مواضع متفرقة في: Dugard (H.): Op. cit.

(2) - "المعسول": 250/4.

نجد أصداء هذه الصراعات في عدة مواضع من الرسائل.

(3) - كان الشيخ كثير التعاطف مع القائد المدني نظرا للعلاقة المتينة بين الطرفين، وهذا ما جعل البعض يعتبر هذا التعاطف سببا في الصراع الذي وقع. لكن رغم هذه المآخذ فقد أبان الشيخ عن وعي وحنكة سياسية في تجاوز المشاكل.

(4) - انظر التقرير الفرنسي ليوم 1932/03/20.

(5) - رسالة الشيخ مربيه ربه إلى علي بن محمد الإيليغي يوم 29 شوال 1344هـ.

(6) - "المعسول": 267/4.

M. Bernard (Lieut): Les opérations de pacification de L'Anti, Atlas.

in: La Géographie, Février 1934. p. 28-29.

(7) - يمكن القول بأن حكايات هذه الاتصالات بالرغم من طابعها غير الرسمي تعبر عن حقيقة واقعية تتمثل في أن الشيخ مربيه ربه كان واعيا بأهمية التفاوض.

خلالها سلطات الاحتلال جميع الإمكانيات العسكرية، بما في ذلك استنفار أكثر من فيلق مكون من المشاة والفرسان يؤطرها الجنرال "كاترو Gatroux"[1] انطلاقا من تزنيت، تدعمها أسراب من الطائرات، كما كثفت من اتصالاتها مع قواد بعض القبائل السهلية لتسهيل عملية الاحتلال. واعتمادا على هؤلاء، وضعت قوات الاحتلال خطة دقيقة في الزمان والمكان[2].

II– تجديد الثقة في الشيخ مربيه ربه لقيادة العمليات الجهادية:

كان الشيخ مربيه ربه والقادة المحيطون به على علم بأهداف المستعمر وخططه، وعلى الرغم من وعيه بأن التباين الواضح في إمكانات القبائل الذاتية المحدودة وتلك التي جندتها فرنسا، كان في غير صالح المجاهدين المحتمين بمرتفعات الأطلس الصغير، فإن أنصاره رفضوا الاستسلام وبدأوا تحركاتهم لإفشال هذا المشروع.

وتطلعنا الوثائق التي حصلنا عليها بأن كردوس شهدت اجتماعا مصيريا بتاريخ 1932/05/05 تحت رئاسة الشيخ مربيه ربه، وقد حضره ثلة من فعاليات المقاومة[3]، أمثال: المدني الأخصاصي، ومبارك البنيراني، وحسن الأزاريفي، والمحفوظ الأدوزي، وسعيد أوطالب الأكماري، والطاهر الإفراني، والحاج الحبيب الصوابي. وقد تم الإجماع على جملة من القرارات منها:

- التنسيق والتعاضد والتكتل بين القبائل المجاهدة لصد الهجومات الفرنسية المرتقبة.
- فرض ذعيرة مالية تقدر بعشرة آلاف ريال على كل قبيلة لا تلتزم بمساندة القبائل الأخرى في حال تقدم قوات الحماية.
- الاتفاق على أن أقصى حدود المنطقة الخاضعة لفرنسا هو آقا بالجنوب، وأن أي تقدم جديد سيكون مرفوضا.

وفي هذا الوقت بالذات، تدعّم صف المجاهدين بوصول قبائل آيت حمو وآيت خباش إلى المنطقة يوم 1932/06/09، كما أبدى زعيمها محمد بن بلقاسم النكادي رغبته البقاء في المنطقة[4]. وقد عبر الشيخ مربيه ربه عن ابتهاجه لثبات القبائل واستماتتها ضد زحف القوات الفرنسية، والدعم الذي حصل عليه المجاهدون من قبل هذه القبائل (أيت

(1) – M. Bernard, Op. cit. p. 24.
Voinot (L.): Sur les traces glorieuses des pacificateurs du Maroc.
(2) – Ibid.
(3) – تقرير الاستعلامات الفرنسية بتاريخ 1932/08/08.
(4) – المرجع نفسه.

حمو وآيت حباش)[1]، وطالب بجمع المزيد من المساعدات (المال والخيل والسلاح) لضمان استمرار العمليات الجهادية[2].

والواقع أن شدة الهجوم والتخطيط الفرنسي الدقيق كان أكثر فعالية، إذ استهدف عدة جبهات، وخاصة الممرات الجبلية الاستراتيجية[3]. وفي هذا السياق أظهر الفرنسيون اهتماما كبيرا بموضع كردوس واستهدفته طائراتهم[4]، وكان غرضهم من هذا القصف التأثير على معنويات المجاهدين، وقطع الطريق أمام الشيخ مربيه ربه حتى لا يتمكن من جمع شمل القبائل، وكذا تضييق الخناق على مصدر القرار بالمنطقة.

ولكن ذلك كله لم يكن ليضعف من عزيمة الشيخ مربيه ربه الذي سارع إلى دعوة زعماء وأعيان الجهاد للاجتماع مرة أخرى بكردوس يوم 1934/01/29[5]. وقد نتج عن هذا الاجتماع دعوة جميع القبائل للدفاع عن أراضيها بشتى الوسائل، وكذا تجميع المجاهدين في مناطق استراتيجية تعتبر بمثابة ممرات طبيعية معروفة للتوغل إلى عمق الجبال، وهي: ويجان (إيداولتيت) إغير ملولن (مجاط) ظهر الأخصاص (ثلاثاء الاخصاص) أزيلال (أيت الخمس وأيت برايم) السيحل (أيت بوبكر وصبويا)[6].

إجمالا، فإن القبائل لم يكن بإمكانها في تلك الظروف العصيبة إلا الخضوع لسياسة الأمر الواقع، ولم تكن القوة العسكرية المحدودة المتبقية لدى الشيخ كافية لضمان استمرار الحركة الجهادية. وهكذا استمر الفرنسيون في عملية الاحتواء انطلاقا من عدة جبهات، وتم بالفعل إخضاع الهوامش الجنوبية للأطلس الصغير الغربي (آقا، وطاطا، وتمنارت، وتاغجيجت)[7]، ودخلت قوات الجنرال "Gatroux" مركز بويزكارن يوم 4 مارس 1934[8]، كما بدأت وفود قبائل إيداولْتيت وآيت صواب وآيت حمد في

---

(1) – كان ذلك خلال اجتماع بموسم سيدي الغازي بكلميم يوم 1932/06/30.

(2) – نسخة من الاتفاق المبرم بين القبائل المجاهدة بتاريخ أواخر ذي الحجة 1342.
رسالة الشيخ مربيه ربه إلى عمر الإيلالني يوم 22 جمادى الثانية 1341.
رسالته إلى قبيلة صبويا يوم 4 ذي الحجة 1342.

(3) – انظر الخريطة في ملحق هذا البحث.

(4) – Voinot: Op. cit. p. 476.

(5) – تقرير الاستعلامات الفرنسية بتاريخ 1934/01/25.

(6) – المرجع نفسه.

(7) – Information du Sous, 16 Novembre 1929
Bernard (M.): Op. cit
Voinot (L.): Op. cit.

(8) – Bernard, Op. cit. p. 27.

الاستسلام بعد تقدم القوات الفرنسية بقيادة الجنرالات "Rochas, Legrand, Blanc"[1].

أما قبائل أيت باعمران فما فتئت تهدد المناطق الخاضعة، مما أدى إلى اصطدام الطرفين في معركة "تيزي" يوم 1934/02/23[2].

وتطلعنا وثيقة أن اتفاقا حصل بين الجانبين في موضع ثلاثاء الاخصاص على أساس تحديد الحدود[3].

وفي ظل هذه الظروف الجديدة التي أفرزها التفوق العسكري الفرنسي، أصبح بقاء الشيخ مربيه ربه بجبال الأطلس محفوفا بالمخاطر، مما جعله يغادر منطقة كردوس متجها نحو طرفاية.

III– خروج الشيخ مربيه ربه من كردوس:

إن تاريخ خروج الشيخ مربيه ربه من كردوس جاء في ظرف عصيب، فالمناوشات على أشدها بين القبائل الجبلية وقوات الاحتلال، سيما وأن فرنسا عازمة هذه المرة على احتواء المناطق غير الخاضعة.

لقد كان الشيخ مربيه ربه واعيا تمام الوعي بأن إقدامه على مغادرة المنطقة إنما جاء استجابة للظرفية الجديدة التي أفرزها التفوق العسكري الفرنسي، و لم يعد هناك في نظره أي أمل في مقارعة المحتل، لأن إمكانيات القبائل لا يمكن أن توقف زحف الفرنسيين عند حدود سهل تزنيت كما أن هول المخاطر المحدقة به جعل هذا الخروج أفضل وسيلة لحقن الدماء.

يقول واصفا خروجه: «... أما بعد، فقد خرجنا من كردوس بعد ثلثين مضيا من ليلة الأحد السابعة عشر من ذي القعدة عام 1352هـ، وما نهضنا حتى أحاطت بنا الجنود الفرنسوية من كل مكان بالمدافع والطيارات، واحتلوا القبائل. ولو أنهم أتونا بمثل العدة التي في أيدينا لكان ظننا أنهم لن يحصلوا على طائل، قياسا على الوقائع بيننا معهم في الماضي. لكنهم أتونا بهذه الآلات التي لم تكن عند القبائل، والله غالب على أمره»[4]. ويعتبر هذا المقطع شاهد إثبات ودليلا عسكريا مهما عن حركته الجهادية وعما قاده من معارك بطولية ضد الاحتلال حفاظا على وحدة المغرب الترابية.

---

(1) – Bernard, Op. cit. p. 30

(2) – وقعت المعركة ليلة الجمعة 8 ذي القعدة بمنطقة "تيزي" الواقعة بين قبيلتي: آيت براييم وآيت باعمران.

(3) – نتوافر على نسخة خطية من هذا الاتفاق.

(4) – "الرحلة"، الورقة: 3.

ونلاحظ من خلاله أنه يبين قوة الهجوم المكثف الذي شنته القوات الفرنسية بالمدافع والطائرات على منطقة كردوس، مما اضطر القبائل للاستسلام نتيجة عدم التكافؤ في الإمكانيات الآلية (العتاد والأسلحة) بينها وبين القوات الفرنسية المدعمة بالأسلحة المتطورة: «لكنهم أتونا بهذه الآلات التي لم تكن عند القبائل». وهذا ما جعله يخرج من كردوس حتى لا يستسلم للفرنسيين رغم الإغراءات التي قدمت له، مما يؤكد وفاءه لمبدئه الذي هو الجهاد في سبيل الله ومقاومة الوجود الأجنبي.

ورغم هذا الهجوم المكثف والعنيف الذي استهدف منطقة كردوس، والذي كان من نتائجه احتلال القبائل وإخضاعها، فإن الشيخ مربيه ربه يذكر بماضيه الجهادي المتمثل في انتصارات سابقة على القوات الفرنسية: «لكان ظننا أنهم لن يحصلوا على طائل، قياسا على الوقائع بيننا معهم في الماضي».

وهنا نشير إلى أن فرنسا اتبعت سياسة التدريج في احتلال مناطق الجنوب المغربي، ففي بداياتها الأولى اقتصرت على المناطق السهلية، واتبعت سياسية غير مباشرة. وابتداء من سنة 1921 اتبعت سياسة الحصار والاختراق، حيث حاصرت الجبال، وحاولت اختراق بعض المناطق الاستراتيجية مثل آيت وادريم وويجان. بعد ذلك جاءت خطة الإجهاز النهائي على المناطق غير الخاضعة لها.

ونشير إلى أن منطقة كردوس تعرضت لهجوم عنيف ومتواصل من قبل الطائرات الفرنسية قبل خروج الشيخ مربيه ربه ويوم خروجه وبعده، كما يؤكد ذلك قائلا: «ثم إنهم يوم السبت قبل مسيرنا ضربوا كردوس بثلاث وسبعين كورة من الطيارة، ولم تفسد شيئا في الدار التي كنا بها لله الحمد، وبعد ذلك يوم مسيرنا ضربته قليلا، ويوم الأحد الثامن بعد مسيرنا ضربوه أيضا بتسع طيارات كثيرا من الضرب، ولم يفسد قليلا ولا كثيرا من الدار»[1]. وهناك أسباب متعددة جعلت القوات الفرنسية تكثف هجومها على هذه المنطقة منها:

- أنها كانت تمثل منطقة استراتيجية ضمن قبائل إداولتيت، وحتى في العمق فهي توجد في أراضي قبيلة إداوبعقيل التي دعمت الحركة الجهادية، سواء في عهد الشيخ مربيه ربه أو في عهد أخيه الشيخ أحمد الهيبة[2].
- تقع في الجبال التي تشرف على أزغار ترنيت، مما يتيح لها مراقبة المنطقة بكاملها.

---

(1) - "الرحلة"، الورقة: 4.
(2) - "المعسول": 4/107-126.

- تتميز بمناعة طبيعية وببعدها عن مركز القرار (تزنيت) الذي كان يشكل مصدرا لتجميع المعلومات والآليات بالنسبة للقوات الفرنسية، ومنه كانت تنطلق مختلف خططها وعملياتها العسكرية.

- أما بالنسبة للمجاهدين فإن منطقة كردوس كانت تشكل مركز قرار، ففيها تعقد الاجتماعات، ويتم التنسيق بين مختلف القبائل تحت قيادة الشيخ مربيه ربه من أجل تدارس الطرق الكفيلة بمواجهة العدو، وهذا ما يفسر رغبة فرنسا في ضربه من أجل إخضاعه وإفشال عزيمة قائد حركته الجهادية.

ورغم الأخطار التي كانت تحدق بالشيخ مربيه ربه من جميع الجهات، فإنه تشبث بفكرة الخروج وعدم البقاء؛ لأن بقاءه يعني استسلامه لفرنسا، وهذا ما يرفضه ويجاهد من أجله. وكان خروجه ليلا في سرية تامة خوفا من الجواسيس والمخبرين الذين زرعتهم فرنسا في المناطق المحيطة بكردوس. وقبل خروجه كان بعض الأحباء قد اقترح عليه -نصحا- البقاء وعدم المسير، لأن الطرق كلها محاصرة، إلا أنه لم يلتفت لذلك، وصمم وعزم على تنفيذ أمره.

وقد شكل إيمانه ويقينه في الله دورا كبيرا في هذا الخروج، يقول: «ثم إني لما أجمعت الرأي على الخروج قال لي كثير من الأحباء -نصحا منهم- أني لا أقدر على المسير لكثرة الجنود أمامي، وأن الطرق كلها محتلة من العساكر، فلم ألتفت لذلك، وعزمت وصممت، وعلى الله توكلت، وامتثلت ما قال الله تعالى: ﴿وإذا عزمت فتوكل على الله﴾[1]. ثم في ساعة الخروج أعلمت القائد سعيد البعقيلي وكذلك بعض الخاصة»[2]. ومنهم أخوه المجاهد الشيخ الجيه بن الشيخ ماء العينين[3] الذي كلفه هو والقائد المذكور بالسهر على أمن وسلامة عائلته، على أساس إجلائهم عن المنطقة.

وفي كل المناطق التي مرَّ منها، كان الشيخ مربيه ربه يحظى باستقبال كبير ودعم لا نظير له من قبل القبائل التي كانت تخبره بما يجد ويطرأ على الساحة العسكرية من أحداث، مما يعبر عن التفافها حوله، وتضامنها معه، ومآزرتها لحركته الجهادية. يقول: «فنهضنا لما بقي من الليل الثلث، كما تقدم، وأصبحنا عند ديار من محاطة قرب تزروالت، وبها محلة كبيرة لفرنسا، وسرنا من عندهم بعد الظهر والطيارات تمر عنا يمينا

---

(1) - سورة آل عمران، الآية: 159.

(2) - "الرحلة"، الورقة: 6.

(3) - كان خليفة الشيخ مربيه ربه، وناب عنه في قيادة بعض الغزوات والمعارك، وساهم بدور فعال في توطيد دعائم حركته الجهادية بالمنطقة.

وشمالا، وربما تقرب منا جدا، فلما بلغنا بلاد رخاوة أخبرنا أن محلة أخرى نزلت بأبي الأحبال (بويزكارن)، والطريق تمر على أحنته، وذلك الوقت وقت المغرب من ليلة الاثنين الثامنة عشر من ذي القعدة» [1]. وقد استطاع اختراق المناطق التي مر منها رغم صعوبتها[2]، ورغم مراقبتها من قبل الجيوش الفرنسية في مدة زمنية وجيزة وبسهولة نادرة، وهذا ناتج عن حنكته وتجربته ودهائه الحربي، بالإضافة إلى معرفته بخبايا هذه المناطق التي كان يتردد عليها وهو يقود حركة الجهاد منذ سنة 1912.

يقول: «فسرنا عامة الليل، وشققنا جبالا صعبة جدا، ومررنا قرب تِمُولاي الفوقانية، فرأينا الأضواء عند المحلة المذكورة، فاتكلنا على الله، ولم نمل عن الطريق حتى مررنا على أحنة أبي الأحبال (بويزكارن)، والمحلة مخيمة بحواضه لم ترنا حتى جاورنا تاكانت، فإذا بمحلة أخرى أضواؤها تتقد، ومررنا غربي إكيسل، ودخلنا أباينو صلاة الصبح» [3]. مما جعل القبائل الباعمرانية والوادنونية التي جاءته من مختلف جهات منطقة أباينو التي توقف بها، وخصصت له استقبالا كبيرا تتعجب من كيفية نجاته وخلاصه من القوات الفرنسية التي ضربت حصارا كاملا على جميع المناطق الجنوبية التي احتلتها. يقول: «وأتتنا تلك القبائل من كل جهة، وأقمنا ذلك اليوم في تبجيل وإكرام، وكلهم يتعجب من كيفية الإقدام على هذا» [4]. وهذا يبين أنه كان على علم بخطة فرنسا للإجهاز على حركته، مما سهل عليه تجاوز المناطق التي نزلت بها المحلات الفرنسية[5].

وقد التقى في هذا اليوم ببعض قواد قبائل آيت باعمران وزعمائها، منهم القائد أمغار سعيد بن الحسين الخمساوي، ومحمد بن القائد البشير، ومبارك الحسين بشام الهصباويين وغيرهم[6]، الذين أخبروه بما جد على الساحة العسكرية من أحداث، كحادثة سوق الثلاثاء في بلاد الأخصاص، وما فعلته محلة فرنسا فيها: «وقصوا علي ما

(1) – الرحلة، الورقة: 7.

(2) – وهي من المسالك الطبيعية الصعبة الاختراق (انظر الخريطة في ملحق هذا البحث).

(3) – "الرحلة"، الورقة: 8.

(4) – نفسه، الورقة: 9.

(5) – يظهر أن القيادة الفرنسية لم تكن على علم بخروج الشيخ مربيه ربه إلا بعد وصوله مصب وادي درعة. لذا نجدها تتخذ عدة إجراءات لقطع الطريق أمامه، وذلك بقتبلة أنصاره.
ومهما يكن، فإن هذا الحدث كانت له مضاعفات في غاية الأهمية، أهمها أنه كان منطلقا لاحتواء القبائل غير الخاضعة.

(6) – يبدو أن غياب الإشارة إلى قواد بعض القبائل التي مر بها قد يفسر إلى حد كبير تأرجح مواقفها بين المساندة الفعلية لحركته من جهة، واستسلامها لإغراءات الحماية من جهة ثانية. وكيفما كان الحال، فإن أغلب قواد آيت باعمران والأخصاص مازالوا متمسكين بدعمهم اللامشروط للشيخ.

فعلته محلة فرنسا في موضع سوق الثلاثاء من بلاد الأخصاص» [1]، مما يعبر عن مناصرتهم وتأييدهم له. وليس هذا بجديد على قبائل آيت باعمران الخاضعة لإسبانيا، التي كانت دائما تكن العداء لفرنسا، وخاضت معها صراعات ومواجهات متعددة كان آخرها كما أشرنا سابقا معركة "تيزي".

وبعد يوم كامل قضاه الشيخ مربيه ربه بين هذه القبائل وقياداتها، أعلمهم أنه «قاصد الطرفاية، ففرحوا فرحا شديدا» [2].

بعد هذا التوقف في منطقة أباينو توجه إلى هصباوة (اصبويا) [3]، حيث مكث يومين مع خليفته سيدي عثمان بن حسن [4]، ثم توجه عن طريق البحر إلى طرفاية. وقد وصف مختلف الأماكن والقرى التي مر بها موكبه كأساكا عند مقطع (مكطع)، مرزوقة (مرزوكة)، وفم واد إسافن، وفم الزويوي، ومقطع (مكطع) لمعيطرف، وفم سهب الحرشة، وفم الشبيكة، ووادي العقيق (لعكيك)، ووادي أم فاطمة الغرد الأحمر [5]. ثم نزلوا قرب مدينة طرفاية في منطقة تسمى "تيدرارت" في ضيافة أحد أشياخ قبيلة ازرقيين، وهو "رمضان بن علوات"، حيث قضى يومه وليلته هناك [6]، وأرسل من يخبر أهل طرفاية بقدومه، فجاءه أخوه العلامة الشيخ محمد الأغظف بن الشيخ ماء العينين مع بعض أعيان الدولة، وأبلغه فرح الحاكم العام والدولة عموما، وهنأه بقدومه وسلامته.

---

(1) - "الرحلة"، الورقة: 10.

(2) - يبدو أنه لم يفصل القول كثيرا في تبيان الأسباب والدوافع التي جعلته يختار طرفاية دون غيرها. إلا أنه يبدو أن الاحتماء بالمنطقة يكتسي دلالات كثيرة لعل أبرزها:

- أنها كانت تشكل القلب النابض للمنطقة (الوجود الأوربي - حصن ماكنزي).
- احتضنت سنة 1895 البعثة السلطانية الرسمية التي بعثها السلطان المولى عبد العزيز لاستخلاصها من الإنجليز.
- موقعها باعتبارها نقطة اتصال بين منطقتي نفوذ فرنسا وإسبانيا.
- علاقته المتميزة مع سكان المنطقة، فضلا عن كون الصحراء المغربية تشكل مهد أسرة أهل الشيخ ماء العينين.

(3) - انظر حول علاقته بقبيلة اصبويا:

- Bernard (M.). La Zone d'Ifni. Le problème de la pacification du Sud marocaine. La Géographie 1934, p. 97.

(4) - كان خليفة الشيخ مربيه ربه بمنطقة آيت باعمران، وقد ساهم بدور فعال في حركته الجهادية.

(5) - انظر الخريطة في ملحق هذا البحث.

(6) - وردت تفاصيل دقيقة كذلك في مذكرات الحاج عمر أصبايو الباعمراني، وكان ضمن الوفد المرافق للشيخ نحو طرفاية، مخطوط خاص.

بعد ذلك توجه إلى مدينة طرفاية التي توجد آنذاك تحت النفوذ الإسباني، فدخلها يوم الخميس 28 ذي القعدة 1353هـ بعد صلاة العصر، حيث خصص له سكانها استقبالا شعبيا كبيرا يجل عن الوصف، وخصصت له الدولة استقبالا رسميا بقيادة الحاكم العام "خوسي غونصالو دي ليما"، يقول: «وأرسلنا من يخبر أهل طرفاية بنا، فلم نلبث إلا يسيرا حتى أتانا أخونا وخليفتنا الشيخ محمد الأعظف على خيل الدولة مع بعض أصحابها، وبلغوا لنا فرح حاكم الدولة بنا، وأقمنا ذلك اليوم ثمة، وبتنا، فلما قرب العصر من يوم الخميس 28 ذي القعدة 1353 توجهنا إلى الطرفاية ودخلناها بعد صلاة العصر، حيث قوبلنا بالفرح وضرب البارود على عادة الأفراح»[1]. وكان لهذا الحدث صدى واسعا في أوساط الإسبان والفرنسيين على السواء.

وقد أقام الحاكم العام لمدينة طرفاية حفلا يليق بمكانته الروحية والسياسية والدينية، بعد أن قدمت له تشكيلة من الحرس البلدي التحية العسكرية، ألقى فيه كلمة ترحيب بمقدمه هو وموكبه، وهنأه على سلامته وعلى عيد الأضحى، وتمنى له مقاما طيبا. بعد ذلك تناول الشيخ مربيه ربه الكلمة ليبادل عبارات المجاملة بمثلها، ثم قال: «المسلمون أحرار في بلادهم، يفعلون ما ظهر لهم في إصلاح دينهم ودنياهم. كما أن الدول تفعل ما يصلح بها، وكل دولة تنظر ما يليق بها، ولم تعب دولة على دولة فعلها».

ونلاحظ من خلال هذا المقطع أن موقفه من الاستعمار لم يتغير رغم ما واجهه من محن وصعوبات، وأنه مازال ثابتا في هذا الموقف الرافض للنصارى، فرنسيين كانوا أم إسبان، كما يؤكد فيه مبدأ الحرية والاستقلالية لكل شعب من الشعوب[2].

كما ذكر في هذه الكلمة بالدور الكبير الذي لعبه الشيخ ماء العينين في الصحراء المغربية، من خلال التأكيد على العلاقة المتميزة والروابط الأصلية الأصيلة التي تجمعه بالملوك العلويين، والمكانة الكبيرة التي حظي بها عندهم، حيث أسندوا له أمور المنطقة، وكان خليفتهم ونائبهم يستشيرونه في مختلف القضايا، ويأخذون برأيه وتوجيهاته. وهذا يدل على تقديرهم لشخصه وسمعته وتاريخه ومركزه ونفوذه الديني والفكري والاجتماعي والسياسي، نظرا لما أحدثه من تغيرات محلية في عدة مجالات منها:

- بناء مدينة السمارة التي دشنت أول مشروع حضاري في المنطقة.

---

(1) - "الرحلة"، الورقة: 15.

(2) - قد يذكر هذا بميثاق هيئة الأمم المتحدة المتعلق بحريات الشعوب الذي ظهر معها سنة 1945هـ.

• تهييئه التربة لإنعاش الفلاحة من خلال حفر المياه وغرس النخيل.
• بثه الاستقرار في النفوس الساكنة بالمنطقة من خلال توحيد القبائل الصحراوية.
• تعاونه مع المخزن في محاربة المستعمر الأجنبي الفرنسي والإسباني.

ونشير إلى أن تذكيره بهذا الماضي يبين العلاقة الحميمة مع هذه المنطقة بصفة عامة، وبأنه ليس غريبا عنها، ومن ثم فإن عودته إليها تشكل عودة إلى منبعه وموطنه الأصلي وهو الصحراء المغربية، يقول:

«إن أبانا الشيخ ماء العينين قدم على هذه البلاد منذ قرن في عهد السلطان مولاي عبد الرحمن، والتقى معه ومع أبنائه من بعده كسيدي محمد ومولاي الحسن ومولاي عبد العزيز ومولاي عبد الحفيظ، وعرفوا له حقه وحرمته وقدره ورفعة رتبته... وكانوا يستضيفون برأيه، وفعلوا معه من التبجيل والتعظيم والإكرام ما يعلمه الخاص والعام، حتى إنه لم توجد مدينة من شنجيط إلى وادي نون إلى الصويرة إلى مراكش إلى فاس إلا وله فيها الأملاك والأبنية المعتبرة.

ومولاي الحسن أسند له النظر في بلاد الساقية ونواحيها وجميع الثغور من الداخلة إلى الحيدي بكل ما يلزمه في ذلك ويصلحه، وكان مولاي الحسن رحمه الله لا يعمل في هذه المواضع إلا بمشورته، من تولية وعزل وغير ذلك، فاستقر والدنا وشيخنا على ذلك، وأحيا تلك البلاد التي كانت مواتا، وبنى فيها، وحفر المياه.

ثم لما تولى مولاي عبد العزيز، أكد ما كان قبله من أمور والدنا، وزاد ذلك أضعافا مضاعفة، وعمر ثغر الطرفاية، وجعل أمرها في يد والدنا، فكانت ترد لها الفتن لتلك الشؤون، إلى أن أرسل ابن عمه مولاي إدريس أوان دخول فرنسا للبلاد الصحراوية، بأن يقابلهم ويكونوا عمدة في تلك الجهة لتنظيم الجهات، يدافعون فرنسا عن بلادهم، والسلطان مولاي عبد العزيز إذ ذاك بفاس. فتوجه من عنده مولاي إدريس المذكور، وركب من الصويرة في البحر إلى أن وصل الطرفاية، وأتانا بدارنا في السمارة، وعنده كتب لوالدنا بأنه يوجه معه بعض أبنائه، فوجه معه الشيخ حسن المتوفي في فاس وابنه الشيخ الولي، ولبث الجميع يجاهد ما شاء الله»[1].

لكن التساؤل الذي يطرح في الأخير هو: لماذا قبل الشيخ مربيه ربه الاحتماء بالإسبان في طرفاية في الوقت الذي كان يدعو فيه إلى مقاطعة الأجانب؟

أكيد أن رفضه لفكرة الاتصال بالأجانب لم يمنعه من الدخول من حين لآخر في

(1) - "الرحلة"، الورقة: 20.

مفاوضات غير رسمية مع الفرنسيين والإسبان على السواء، إلا أن هذا لم يغير شيئا من عزمه الأكيد على مواجهة الاحتلال، إلى جانب إيمانه بالتباين في الوسائل والأهداف بين الاستعمارين[1].

لذا تراه من جديد يواصل جهاده في مجال السياسة والعلم والتأليف ومناظرة العلماء، وهذه الروح العلمية جعلته يحرص على ربط علاقات متميزة مع فعاليات محلية ووطنية وعربية[2].

---

(1) – لم تتقبل فرنسا هذا اللجوء، فأبرمت بعد شهور من وصوله اتفاقا مع إسبانيا من أجل تسليمه هو وعائلته، وبعثت بسفينة إلى شاطئ طرفاية من أجل نقله، إلا أن السفينة أصيبت بعطب لم تستطع معه الحركة وبقيت هناك. وبذلك فشلت المؤامرة المدبرة. وكان الشيخ مربيه ربه قد علم بهذا التآمر قبل مجيء السفينة فقال:

إنـا لفـي حمايـة السـلام * وهـو الـذي يحمي علـى الـدوام
ولا نبـدل حمايـة السـلام * حسبي ونحن في حمى السـلام

وبعد وقوع الحادث وفشل الخطة قال قصيدة طويلة نختار منها ما يعبر عن هذا الحدث، يقول:

قـد لجأنـا لربنـا وكفانـا * غـدر قـوم ولا يـزال المعـين
قـد لجأنـا لربنـا وكفانـا * ظلـم ليـل سـفينة وشـؤون
أيهـا الملتجـي لربـك أبشـر * بـالمرجى ولـو رمتـك الظنـون
حسبك الله ثق بـه لا تخـف مـن * حـادث إنـه القـوي الأمـين
يرسل الخـير يمسك الشـر عمـن * لـيس يأويـه غـيره ويصـون

(2) – انظر مقالنا في صحيفة العلم، مصدر سابق.
انظر: ماء العينين النعمة علي: "الشيخ مربيه ربه: الوطني الوحدوي زعيم الجهاد والمقاومة في الجنوب المغربي"، صحيفة أنوال، العدد 1332 – 11 ماي 1994.
وانظر كذلك كتاب "العقد الثمين في المفيد من السجال الشعري والنثري الرصين" للشيخ مربيه ربه، ورقة: 95، مخطوط خاص.

ملـحــق

الخـرائـط والوثـائـق
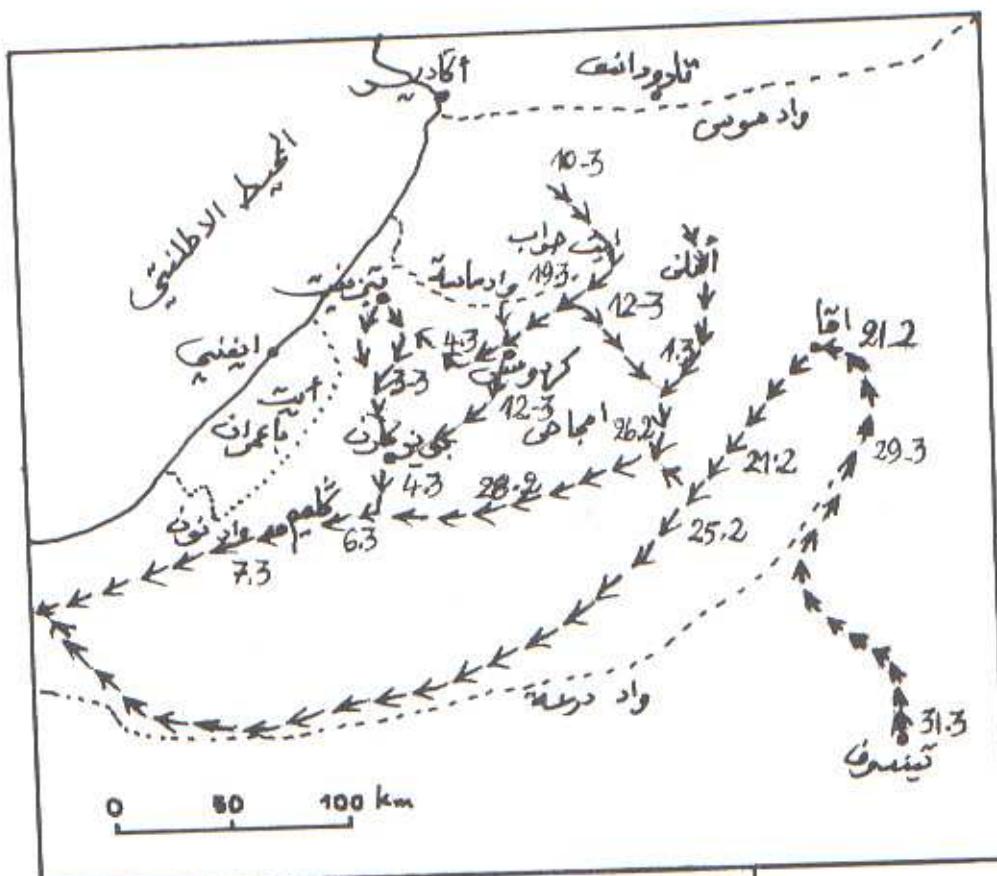
عمليات احتواء الأطلس الصغير (فبراير – مارس 1934م)
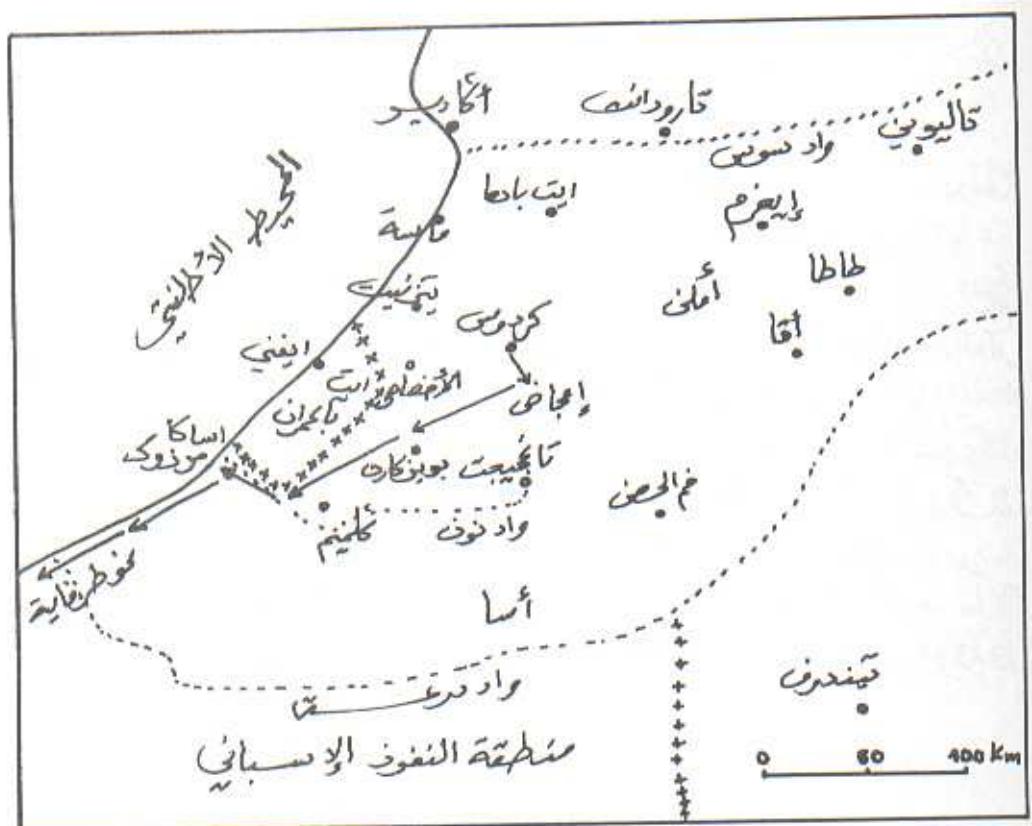
مسار الشيخ مربيه ربه بعد خروجه من كردوس نحو طرفاية 1934

الحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبي بعده

وبعد فالسلام الاسنى والتحيات المباركات الحسنى الى
الجماعة الزكية الذكية الرضية الراضية المرضية جماعة
تيزنيت امنكم الله ورعاكم ولا خيب مسعاكم وموجبه الينكم اعلامكم
انا فرا [illegible] كم على غيبتكم لانا [illegible] اهل الفضل والنا تلك الدار
التي بركتها انكم فلا تلغيبوها بالغبول والتوقف والاحتشام والله
يعود علينا وعليكم بفتوحات الدنيا والاخرة والا فاملاك الفضل كثيرة وكل
بلد يحب اهله ان يكون زاوية لنا فيه وانما ملأوكم فلو اهدى لنا كل
لم نقبل منه قط ولا يحتاج لنا بمال ملكه وما نحبه الا لكم والله لا يرزقنا
الا حبنا والله يعطفنا اليكم ويعطف علينا وعليكم من انعامه ما لا
يدركه قلب بشر بالتمام والسلام في 28 من شعبان عام 1323

[illegible]

احمد الهيبة بن شيخه الشيخ ماء العينين
كان الله له ولجميع المسلمين امين

رسالة من الشيخ أحمد الهيبة إلى أهل تزنيت (نسخة خاصة)

الحمد لله وحده — وصلى الله على من لا نبي بعده

إلى محبنا الأرضى الأغر الأنجب الأشهر الأتقى الفقيه النبيه
النزيه السيد محمد بن عبد الله بن القاضي أمنكم ورعاكم
الله عليكم سلام عام تام ورحمة الله تعالى وبركاته
ما دام الكون وحركاته وسكناته موجب البراء إعلامكم
أننا وردنا [illegible] القدوم علينا تبيين نيته في اثنين وعشرين
من [illegible] للمعاوضة مع جمع من الفقهاء والمحتجين
فلكم جميعا شأن [illegible] في البلاغ وجوابنا إلى الله
أن يعرج عن هذه النوازل ببركة جمعكم فشأن
[illegible] الغني بالإحسان علينا وعليهما جازاكم الله
عنا بأحسن الجزاء وكمل علينا وعليكم جميع النعماء
بالتمام على الصحة والسلام في 2 من شوال عام
132[illegible]
أحمد الهيبة بن الشيخ ماء العينين
كان الله له ولأحبته آمين

رسالة من الشيخ أحمد الهيبة إلى السيد محمد بن عبد الله بن القاضي (نسخة خاصة)

رسالة من الشيخ مربيه ربه إلى قبيلة "آيت الخمس" بآيت باعمران (نسخة خاصة)

الحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبي بعده

الى محبينا قبيلة أهل أملن رعاكم الله عليكم سلام

تام ورحمة الله تعالى وبركاته موجبه اليكم

اعلامكم اننا امرناكم بالحركة صحبة خليفتنا الشيخ

النجيب المختار وهاذه الحركة فلا [illegible] عنها [illegible]

ولا تتأخروا وكونوا [illegible] [illegible] الله كما هي

عادتكم بالتمام والسلام في [illegible] من ذي القعدة عام [illegible]

رسالة من الشيخ مربيه ربه إلى قبيلة آملن (نسخة خاصة)

المديرية العامة للأوقاف الإسلامية

بالمنطقة الخليفية

(رسمي)

رقم ....

تطوان 23 من شهر المحرم عام 1354 موافق 27 ابريل سنة 1935

الحمد لله وحده — وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

حضرة صاحب الفضيلة الشريف الجليل السيد مربيه ربه المحترم

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته

أما بعد: فقد توصلنا بالكتب المهداة من فضيلتكم لمكتبة مدرسة لوقش بتطوان وهي: الأجزاء من المستلاك على البخاري 1-3-4-4 [illegible] الرابع من المستلاك على الموطأ، الجزء الثاني [illegible] وجانب [illegible] مجموع [illegible] في النحو [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] [illegible] بالمجموع.

ومن وجدنا من الكتب للمدرسة المذكورة وضعناه في مكتبتنا العمومية ليستفيد الطلبة من مطالعتها وإن مدرسة [illegible] تشتمل على تلك [illegible] العلمية وحرصكم على تشجيع المكاتب العمومية ليحصل للطلاب النفع العام وتكونوا مذكورة لخيركم في هذا السعي المبرور جزاكم الله أحسن الجزاء.

وتفضلوا بقبول فائق احترامي.

المدير

عبد الخالق الطريس

رسالة من السيد عبد الخالق الطريس إلى الشيخ مربيه ربه (نسخة خاصة)

التمازج الاجتماعي والثقافي
بين سوس والصحراء المغربية

شيبة ماء العينين(*)

****

لبسم الله الرحمن الرحيم. وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه.

في البدء أريد أن أوجه الشكر إلى كل من ساهم في تنظيم هذا اليوم الدراسي الثقافي الفكري، وأخص بالذكر:

- المجلس البلدي لمدينة تزنيت.
- مؤسسة الشيخ مربيه ربه لإحياء التراث والتبادل الثقافي.
- السلطات المحلية.
- كلية الآداب والعلوم الإنسانية بأكادير.
- وجميع الأساتذة المشاركين.

إن هذا اليوم مظهر من مظاهر التمازج الثقافي والفكري ما بين الصحراء المغربية وسوس العالمة، والذي يصعب حصره في زاوية ووقت محدد؛ لأنه متعدد الأبعاد والأهداف، فهو تمازج ثقافي وروحي، وسياسي وجهادي، واقتصادي وتجاري، من هنا يصعب أن يفصل الإنسان بين ما هو سوسي وصحراوي في إطار العمل الوطني بشكل عام، بحكم التقارب والجوار.

وقد بلغ هذا التمازج ذروته عندما احلولك الجو بالمغرب في أصعب المراحل؛ لأن خلفية مواجهة المد الاستعماري كانت من سوس، فقبل الحماية تصدت قبائل سوس للباخرة الألمانية وللمحاولات الإسبانية في الجنوب، وهذا التحرك كان له بعد جهادي وسياسي وعلمي وديني.

لذلك أقول: إن تاريخ هذه المنطقة لازال لم يكتب بالطريقة التي ينبغي له أن يكتب بها، لكون أول منطقة انطلقت منها الرصاصة الأولى لمواجهة المستعمر هي سوس. وتزنيت التي نوجد بها اليوم تعتبر ممرا ضروريا وحتميا لكل من يريد أن يدرس المقاومة المغربية وتصدي العرش والشعب المغربي للمستعمر الأجنبي.

(*) - محام - الرباط.

تزنيت والقبائل السوسية بصفة عامة هي أول من حمل السلاح، ثم هي آخر من وضع السلاح أيضا، وما يؤكد ذلك هو أن معركة بوغافر كانت سنة 1932، وبلقاسم النكادي التحق بسوس بعد نهاية مقاومته سنة 1932، وحركة موحا أوحمو الزياني انتهت سنة 1919، وعبد الكريم الخطابي سنة 1926. في حين ظلت المقاومة هنا في سوس متواصلة حتى شهر مارس 1934.

إلا أن ما يميز حركة المقاومة داخل المغرب بصفة عامة هو كونها حركة جهادية صرفة في مواجهة الاستعمار، أما في سوس والصحراء فنجدها حركة جهادية مسلحة، وحركة علمية أيضا. فقد كانت هناك مدارس علمية متعددة تخرج منها علماء كبار، كما كانت حركة روحية؛ لأن الطابع الديني والروحي كان مهيمنا على المنطقة بصفة عامة، باعتباره يعكس الشعور الوطني الحاد في هذه الجهة الجنوبية من وطننا.

هذا التمازج الذي ظهر به الشعب المغربي في الصحراء والشعب المغربي في الشمال، ممثلا في قبائل سوس، أثمر لنا ملحمة نضالية خاضها الشعب المغربي في وجه المد الاستعماري وفي وجه تمزيقه إنسانا وفكرا.

بالإضافة إلى هذه المدرسة الجهادية والفكرية والدينية، هناك كذلك مدرسة اجتماعية حصل فيها تمازج كامل من المفكر إلى المجاهد إلى المطرب إلى رجل الشارع العادي.. فكل من كان في كردوس من قبائل الصحراء تعلموا اللغة الأمازيغية، وقد كان عند جدتي دفاتر يكتب فيها النساء هذه اللغة، ويُذكر لنا أن الرايس الحاج بلعيد كان يغني بالشعر العربي الفصيح، ومن جملته البيت المشهور للمتنبي:

ومن يجعل الضرغام بابا لصيده * تصيده الضرغام فيما تصيدا

يضاف إلى هذا أن بعض أبناء الصحراء أدخل اللغة الأمازيغية إلى الشعر الحساني، فنظموا قصائد تتضمن أبياتا بالحسانية والأمازيغية، وهذا يبين أن التمازج الفكري والحضاري والثقافي وقع على جميع المستويات، ويعطينا الدلالة على أن هذه النهضة الحضارية والجهادية التي عرفتها منطقة سوس كانت لها جذور في نفوس كل المواطنين وظلت مستمرة إلى اليوم.

وإذا كان العديد من رجالات الصحراء قد جاهدوا وحملوا السلاح في سوس، فإننا نجد في بداية المقاومة وجيش التحرير رجالا من سوس ذهبوا إلى الصحراء لقيادة جيش التحرير وحمل السلاح في مواجهة المد الاستعماري. وهذا التلاقح والتمازج في إطار العمل السياسي والفكري ظل مستمرا دون انقطاع.

وإذا وصلنا إلى سنوات الستينيات نجد الكثير من المهاجرين من الأقاليم الجنوبية (الساقية الحمراء ووادي الذهب) في منطقة سوس، في تزنيت أكادير إفني إفران بويزكارن الأخصاص تافراوت شتوكة ماسة. وهذا كله يعكس واجهة من تلاحم الشعب المغربي الموحد من طنجة إلى الكويرة.

أما التمازج على المستوى الاقتصادي، فنحن نعرف أن الصحراء ضعيفة من هذه الناحية، والتجار الأساسيون الذين قاموا بدور كبير في ازدهارها كانوا من منطقة سوس، سواء أيام الاستعمار أو في ظل الاستقلال، وهذا معناه أن هذا التمازج السياسي والاقتصادي والبشري ظل مستمرا ومتواصلا بشكل يصد المستعمر من جهة، وبشكل ينمي العطاء الفكري والثقافي والاقتصادي لبناء الوطن من جهة أخرى.

وقد شيد هذا بفضل رجالات جديرين بالتقدير والإكبار وجديرين باتخاذهم قدوة للشباب الصاعد والجيل الواعد حتى يترسموا خطاهم، ويعرفوا تاريخ بلادهم، ويطلعوا على الدور الذي لعبه رجال هذا الوطن، هذا الدور الذي لازال لم يتناول بالشكل الكافي من الدارسين والباحثين.

وهنا لابد أن نذكر بالجهد الهام الذي قام به المختار السوسي في جمع الكثير من تاريخ هذه المنطقة، بالرغم مما قد يقال عن بعض الروايات، ولكنه جمع لنا حصيلة أساسية، ورصيدا مهما لكل الباحثين لهم أن يرجعوا إليه وينقحوه ويحللوه. ولكنه حفظه من الضياع، وضمن لنا معه عدم ضياع الرواية الشفوية بشكل حافظ به على اسم منطقة سوس والصحراء. إنه رصيد ثقافي فكري، علينا جميعا أن نرويه ونسطره، وننهل من معينه، لنعرف المراحل التي مرت بها بلادنا على مختلف الملاحم.

وفي الوقت نفسه، لا يمكن أن تكون تظاهرة من هذا النوع دون أن نذكر المجهود الهام الذي تقوم به كلية الآداب والعلوم الإنسانية بأكادير، وكذلك الدكتور عباس الجراري الذي يرجع له الفضل في توجيه الباحثين والدارسين والطلبة –ومعنا العديد من طلبته– إلى دراسة أدب الجنوب بصفة عامة، والأدب السوسي والصحراوي بصفة خاصة، بشكل قربه من الأذهان، وبعثه من مرقده، ونفض الغبار عنه، بعد أن كادت يد البلى أن تعصف به.

لذا، على الجيل الحاضر أن يرجع إلى هذه المرحلة ليبعث تلك الصفحات المشرقة من تاريخ بلادنا، التي تعكس مدى تمازج الشعب المغربي واتحاده جهاديا وسياسيا واقتصاديا وروحيا وثقافيا، بشكل يحصنه من الدعايات المغرضة التي أصبحت للأسف تنخر جسم وطننا الموحد.

إن مثل هذه التظاهرات الثقافية والفكرية من مثل هذا اليوم تشكل لبنة من اللبنات الأساسية التي تبنيها الطبقة المثقفة في بناء فكر الأجيال الصاعدة، وتحصين مستقبلها من الاجتثاث والبتر عن ماضيه.

وبالمناسبة، لابد من التذكير بأن هذا التوجه هو الذي ركز عليه جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله عندما طرح مسألة الجهوية، وأكد على أهمية التراث الجهوي والإقليمي والمحلي، وضرورة بعثه والالتفات إليه. لذلك نحن مطالبون بالبحث عن قيمنا لإحيائها في عهد العولمة والغزو الثقافي والحضاري الذي بدأ يدخل بيوتنا وكياننا، ويحاول أن يبعدنا عن مصالحنا وذواتنا.

فلنتحصن جميعا بالرجوع إلى قيمنا وما تركه الإسلام لنا من مفكرين ومجاهدين وعلماء وأولياء وصلحاء، الذين كانوا فعلا الحصن الذي حصّن الإسلام في هذه الربوع التي تعرضت للغزو الأجنبي: البرتغالي، والإسباني، والإنجليزي، والفرنسي، ومع ذلك ظلت وظل المغرب محصنا بفضل رجالاته الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فمنهم من قضى نحبه، ومنهم من ينتظر، وما بدلوا تبديلا.

وأؤكد من جديد على أن هذه التظاهرات تعتبر ضربة لخصوم وحدتنا الترابية الذين يحاولون أن يفصلوا ماضي الصحراء وماضي رجالاتها وسكانها عن ماضي وتاريخ الشعب المغربي من طنجة إلى الكويرة، فتنظيم أيام دراسية من هذا النوع، وعمل ثقافي أو سياسي له أكثر من بعد يتجاوز بعده الثقافي والجهوي إلى بعده الوطني والقومي والروحي، ويثبت أن الشعب المغربي موحد في ظل الدولة العلوية الشريفة، من طنجة إلى الكويرة، قام بمواجهة المد الاستعماري في القرن التاسع عشر في معركة الداخلة سنة 1884، وقام بمعارك هنا في تزنيت وأكادير وإفني وفي جميع الجهات الأخرى، كما تصدى للاستعمار في موقعة إسْلي وموقعة تطوان...

وظلت معارك المغرب مستمرة، شارك فيها أبناء الصحراء، كما شارك فيها أبناء سوس، وأبناء الشمال، وأبناء الأطلس؛ فتاريخنا ملحمة مستمرة، وسنظل في خندق الكرامة واقفين ثابتين، ومدافعين عن وحدتنا الترابية وعن ديننا وحضارتنا وقيمنا، مخلصين لما ورثناه من أجدادنا، حتى نظل جميعا مواطنين أحرارا في وطن حر هو المغرب الموحد من طنجة إلى الكويرة.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

سبيل الاقتناع بوجوب الوحدة والإجماع

قراءة في كتاب الشيخ ماء العينين: "دليل الرفاق على شمس الاتفاق"

محمد عيناق (*)

****

السيد رئيس المجلس البلدي المحترم.

السيد رئيس مؤسسة الشيخ مربيه ربه لإحياء التراث والتبادل الثقافي المحترم.

أسرة الفقيد علي بن الشيخ مربيه ربه المشمول برحمة الله.

السادة آل ماء العينين الشرفاء.

الحضور الكريم.

يسعدني غاية السعادة أن أشارك في هذا الملتقى الثقافي الذي تنظمه مؤسسة الشيخ مربيه ربه لإحياء التراث والتبادل الثقافي، بتعاون مع المجلس البلدي لمدينة ترنيت، تكريما للفقيد الأديب والمقاوم ماء العينين علي مربيه ربه، وعرفانا بدوره العلمي والجهادي في سبيل وحدة الوطن... وهي مناسبة غالية لصلة الرحم بين أبناء هذه المنطقة الجنوبية من جهة، وإخوانهم في باقي جهات المملكة المغربية من جهة ثانية، وهي سنة حميدة دأب عليها الآباء والأجداد، وسوف نحرص على التمسك بها إن شاء الله تعالى إلى ما شاء عز وجل.

وأود في هذا السياق التذكير باللقاءات التي كانت تتم -خلال مختلف حقب تاريخ هذا الوطن- بين علماء وأعيان المراكز الثقافية الجنوبية وإخوانهم في مختلف المراكز العلمية بشمال المملكة، بدءا من سوس حتى أقصى الشمال، مرورا بالصويرة ومراكش والرباط وسلا وفاس وتطوان وغيرها... كما أذكّر في السياق ذاته بالمراسلات العلمية والأدبية والفقهية والإخوانية التي كان يتبادلها هؤلاء وأولئك.

إن مثل هذه اللقاءات -إضافة إلى ما سبق- تعد حلقة من حلقات عمل وطني واع وصادق يتغيى استكمال تحقيق الوحدة الثقافية بين مختلف جهات المملكة، خاصة بين شمالها وجنوبها، بعد أن تحققت الوحدة الترابية.

(*) - أستاذ باحث - آسفي.

في هذا الإطار سأدلي بمساهمة متواضعة سميتها: "سبيل الاقتناع، بوجوب الوحدة والإجماع"، وهي عبارة عن قراءة تفصيلية وتركيبية لعنوان ومقدمة كتاب قيم في الفقه، ألا وهو: "دليل الرفاق، على شمس الاتفاق"، للشيخ ماء العينين بن الشيخ محمد فاضل بن مامين الذي يتصل نسبه الشريف بإدريس الأكبر، ثم بعبد الله الكامل، فالحسن المثنى، فالحسن السبط بن علي وابن فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم.

والشيخ ماء العينين «من كبار الشيوخ البارزين الذين عرفتهم الصحراء المغربية في أواسط القرن الثالث عشر الهجري، وسارت بذكره الركبان في كل مكان حله أو نزل به في طول البلاد وعرضها، فطبقت شهرته الآفاق، وسمع بذكره الداني والقاصي، والحاضر والبادي على السواء، فتألق اسمه في سماء العلم والمعرفة بين الناس، كشيخ وعالم وفقيه ومحدث وأديب ومتصوف وقائد في ميدان الحرب ومجاهد على رأس المجاهدين في ساحة الوغى والقتال، ورائد إسلامي لا يشق له غبار في حلبات العلم والمعرفة وفوق منابر الخطابة والتوجيه والإفتاء وفي حلقات الوعظ والإرشاد والتربية، وصاحب كرامات ظاهرة... يضاف إليها ما عرف عنه وبه عند الناس من فضل وكرم وسمو أخلاق وسخاء وبذل وعطاء... الخ» [1].

ولد الشيخ ماء العينين في أقاصي بلاد الجنوب المغربي بعاصمة الحوض من أبوين عظيمين في الحسب والنسب... ونشأ في أحضانهما فتعلم من العلم ما تعلم، وتثقف وتتلمذ على والده الشيخ محمد فاضل، وانقطع إليه انقطاعا كليا، فأمضى الشطر الأول من حياته في الأخذ والتلقي بين أهله، وأمضى الشطر الثاني في النظر والمطالعة لمختلف الكتب، مع التدريس والتأليف، إلى أن توفي -رحمه الله- بعد عمر مديد ليلة الثلاثاء 21 شوال الأبرك من سنة 1328هـ في الجنوب المغربي بمدينة تزنيت، بعدما صلى المغربين مع الناس، ولم يكن يشكو ألما، أو حل به مرض قبل الوفاة.

رحم الله الشيخ، وسقى قبره بهاطل رحماته.. لقد كان عصاميا، نابغا في كل فن من فنون العلم التي التفت إليها.. يدل على ذلك ما خلفه -رحمه الله- من كتب أغنت الخزانة الإسلامية يصعب حصرها ويطول تعدادها، ويعتبر كتابه "دليل الرفاق على شمس الاتفاق" أهم كتب الشيخ في باب الفقه والأصول..

---

(1) - "دليل الرفاق على شمس الاتفاق"، تحقيق: أحمد يحظن البلعمشي: 1/ص (ج).

فالدليل في الاستعمال اللغوي هو الهادي والموجه والمرشد الذي تحصل باعتماده المعرفة بالمقصود، وبواسطته يتجنب الضلال والتيه والزيغ والزلل[1]... وما إلى ذلك.

فمعاني اللفظة -وهي الأولى في صيغة العنوان- يطغى عليها المنحى التوجيهي، وهذا شيء طبيعي لاعتبارين:

الأول: لأن المصنف في الفقه يوضح الحلال والحرام، والمباح والمكروه، والجائز والمستحب، وما إليها من أحكام شرعية، وهي كلها أمور تهم المعاملات.

والثاني: لأن المصنف يندرج في إطار المشروع الإصلاحي العام للشيخ ماء العينين الذي يتغيى تجديد الوضع الديني في الساقية الحمراء ووادي الذهب، وبث الإشعاع الإسلامي بين ربوعها، «فلما أقام بها الشيخ ماء العينين وجد الدين غريبا، والحق نكرة لا تعرف، والسنة مهجورة، وأركانها مهيضة مكسورة، قد خفيت آثارها، وخبت أنوارها، فالفرض فيها مرفوض، وعهد الله على عباده منقوض، والندب فيها غير مندوب إليه، والباطل موثوب عليه، والصلاة فيها ضائعة، والبدع فاشية شاسعة، والهوى متبوع، وذكر الله غير مسموع، فتدارك شيخنا (رضي الله عنه) الدين الغريب، وأحيى السنة فيها، وأقام أركانها وقواعد مبانيها، وأوضح طامس آثارها، واقتدح زناد أنوارها»[2].

إن مشروعا كهذا لا يستطيع شخص بمفرده أن يقوم به، بل لابد في البداية من تكوين خلية من الرجال وجعلها نواة يمكن الانطلاق منها والاعتماد عليها في تقوية وتعميق امتدادات حركة هذا المشروع وتوجهاته.. وهنا أصل إلى المفردة الثانية في صيغة هذا العنوان، ألا وهي: "الرفاق".

والرفيق في اللغة: الصاحب في السفر خاصة، والرفقة يسمون كذلك ماداموا منضمين في مجلس واحد ومسير واحد، فإن تفرقوا ذهب عنهم اسم الرفقة، والرفقة: القوم ينهضون في سفر يسيرون معا وينزلون معا ولا يفترقون[3].

هذه الدلالات التي تحبل بها المفردة لا يمكن فهمها بمعزل عن السياق العام وعن التوجهات الأساس لدعوة الشيخ ماء العينين الإصلاحية، فقد أسس -رحمه الله- زاويته في الصحراء للمؤاخاة بين القبائل وبين الأفراد دون أن يعتمد على «عصبية قبلية أو سند

---

(1) - "لسان العرب"، دار صادر، مادة: دلل.

(2) - "سحر البيان في شمائل شيخنا الشيخ ماء العينين الحسان"، ماء العينين بن العتيق، الورقة: 94.

(3) - "لسان العرب"، مادة: رفق.

احتماعي خاص، بل اتخذ من كل القبائل سندا لزاويته دون مراعاة لأي اعتبار سلالي أو عرقي، هدفه في ذلك خلق نوع من التآخي والتآلف بين الجميع» [1].

فانضم إليها جم غفير من أهالي الصحراء لا يعلم عددهم إلا الله عز وجل، ولا أبالغ إذا قلت: إن أغلب أهل الصحراء كانوا من مريدي الزاوية المعينية، منهم طامح إلى علم الشيخ، ومنهم طامع إلى عطائه.. وقد تتلمذ على يديه -رحمه الله- جم غفير من فطاحل الصوفية في الجنوب وطلاب العلم والمعرفة والمريدين الذين يعدون بعشرات الآلاف، وتخرج على يده من كلا الصنفين عدد كبير من أكابر العلماء في الشريعة والحقيقة، فكانت حلقات الدرس والتربية والوعظ عنده عامرة طوال السنة، تؤمها جموع الوافدين من مختلف طلاب العلم الآتين إليها من كل حدب وصوب عبر مسالك الصحراء الوعرة..

كما كانت تغشى تلك الحلقات أيضا الألوف المؤلفة من المريدين العاكفين على حلقات الذكر التي يملأ صداها الخافقين.. لاكتظاظ هذه الحلقات بالمريدين والطالبين المقيمين عند الشيخ والنازلين في ضيافته، فهو يقوم بشؤونهم جميعا من مأكل ومشرب وملبس ومسكن وتربية وتعلم، لا فرق عنده في ذلك بين هؤلاء المقيمين دوما وبين أولئك الذين يقومون زمنا، ثم يرحلون.. وبين خاص وعام من كل الذين سالت بهم إليه تلك الأباطح الصحراوية» [2].

لقد استطاع الشيخ ماء العينين -طيب الله ثراه- أن يجعل من هؤلاء جميعهم رفاقا بكل ما تحمله الكلمة من معنى ومغزى، وقد تأتى له ذلك:

أولا: عن طريق إقناعهم واقتناعهم بوحدة المصير الذي تؤول إليه جميع المخلوقات، ذلك أن الإنسان فوق هذه البسيطة مسافر -لا محالة- نحو دار البقاء والخلود في رحلة قد تطول وقد تقصر.

ثانيا: عن طريق إقناعهم واقتناعهم بوجوب ملازمته باعتباره شيخا، في الحل والترحال، وذلك راجع إلى طبيعة الحياة في الصحراء من جهة، وراجع من جهة أخرى إلى ما تستوجبه ظروف الدعوة من انتقال إلى الأهالي والإقامة بينهم لمدة من الزمن...

ثالثا: عن طريق إقناعهم واقتناعهم بضرورة الاستمرار في تقوية الصف ونبذ

---

(1) - "الحياة الأدبية في الزاوية المعينية"، رسالة دبلوم الدراسات العليا، لمحمد الظريف، كلية الآداب الرباط، ص: 70-71.

(2) - المرجع السابق، وكذا: "دليل الرفاق"، ص: ح وما بعدها.

الشقاق والتآخي والتكتل والتوحد..

فالكتاب، إذاً، هو دليلٌ للرفاق على "شمس الاتفاق" و"شمس الاتفاق" هو عنوان المنظومة التي يتولى الشيخ شرحها في مصنفه هذا، وتلك العبارة مركب إضافي من لفظتين: الشمس والاتفاق.

فأما الشمس فهي ذلك الكوكب المعروف الذي هو أوضح من أن يستدل عليه بدليل، كما أن لفظة الشمس تفيد في اللغة[1] مجموعة من المعاني، فهي ضرب من القلائد، أو ضرب من الحلي، كما تعني كذلك معلاق القلادة في العنق.

ويستفاد من هذه الدلالات جميعها اشتراكها في الأصالة على النور الساطع، والوضوح القوي، والجمال الأخاذ، والمكانة العظيمة، والدرجة العالية، والمنزلة الرفيعة...

وأما لفظة الاتفاق فتفيد في استعمالها اللغوي[2] الملاءمة والموافقة والالتحام والوحدة، ففي "اللسان": أوفق القوم الرجل: دنوا منه، واجتمعت كلمتهم عليه.

والمركب الإضافي يحيل على مجموعة من المعاني الاستعارية الرمزية والإشارية القريبة والبعيدة.

فمن معانيه القريبة الإشارة إلى ما اتفق عليه العلماء الأصوليون الأجلاء الثلاثة:

- ابن رشد الحفيد صاحب "بداية المجتهد ونهاية المقتصد".
- والإمام الصفدي صاحب "رحمة الأمة".
- والإمام الشعراني صاحب "الميزان الكبرى".

فهذه الكتب القيمة الثلاثة -مع بعض الكتب الأخرى- هي التي اعتمدها المؤلف -رحمه الله- أساسا لصياغة منظومته "شمس الاتفاق"، وقد صرح بذلك في خطبة الكتاب.

ولكن بالنسبة لنا باعتبارنا باحثين، لا نقنع بالوقوف على الأمور الظاهرة فقط، بل نحاول -قدر الإمكان ودون تعسف- الغوص بعيدا بحثا عن الثوابت التي تتحكم في استحضار صيغة معينة للقول دون سواها، وتستدعي تركيبا لفظيا معينا دون غيره.

وفي هذا الإطار يبدا لنا أن لفظة الاتفاق هي الكلمة المحورية التي تدور في فلكها سائر مفردات العنوان موضوع المقاربة، فالاتفاق هو المحجة البيضاء، وهو نهج السلف الصالح التي لا يزيغ عنها إلا هالك.

---

(1) - "لسان العرب"، مادة: شمس.

(2) - "لسان العرب"، مادة: وفق.

والاتفاق نوعان:

الأول: جزئي، وهو ما تواضع عليه عدد قليل من الناس مع احتفاظهم بحق نقضه وإلغائه دون أن يترتب على ذلك ضرر مادي أو معنوي فادح، خاصة إذا كان محكوما بظروف زمانية معينة.

وأما النوع الثاني فهو اتفاق شمولي يلزم الجماعة من الناس مهما قل عددها أو كثر، فلا ينبغي لأحد الخروج عليه أو تجاوزه، وهو الذي اصطلح عليه أئمة الأمة بالإجماع، وقد عرفه أبو محمد بن حزم بقوله: «ما تيقن أنه لا خلاف فيه بين أحد من علماء الإسلام، ونعني بقولنا العلماء من حفظ عنه الفتيا من الصحابة والتابعين وتابعيهم من علماء الأمصار وأئمة الحديث، ومن تبعهم رضي الله عنهم أجمعين»[1].

وعرفه السبكي بقوله: «هو اتفاق أهل الحل والعقد، أي المجتهدين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم على أمر من الأمور»[2].

ويقول أبو العباس بن تيمية: «والتحقيق أن الإجماع المعلوم يكفر مخالفه، كما يكفر مخالف النص بتركه، لكن هذا لا يكون إلا فيما علم بثبوت النص به... فالإجماع مع النص دليلان كالكتاب والسنة»[3].

وإذا كان الإجماع بهذا الموقع العظيم في الدين اعتقادا أو عملا، فإن علماء الأصول قد أفاضوا في مباحثه والتدليل على حجيته، وجعلوا مخالفه متبعا غير سبيل المؤمنين استنادا إلى قوله تعالى: ﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم، وساءت مصيرا﴾[4].

وسبيل المؤمنين هو الاتحاد والوحدة والاتفاق والإجماع، ففي إطار هذه الرؤية. وفي إطار هذا التوجه يمكن فهم المرامي والطموحات الوحدوية المعينية الهادفة إلى بناء مجتمع إسلامي سني قوي يستطيع مواجهة التحديات الأجنبية، ويعيد أمجاد الأمة الإسلامية في عهد صفائها، وقد تجلت هذه الطموحات المعينية على صعيد الفكر، كما تجلت على صعيد الممارسة الحياتية اليومية بشتى مناحيها.

فعلى صعيد الفكر أبرز الشيخ ماء العينين في كتابه هذا "دليل الرفاق"، كما في

---

(1) - "الإحكام في أصول الأحكام"، أبو محمد بن حزم، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثانية 1983: 121/5.

(2) - "الابتهاج"، السبكي: 349/2.

(3) - "الفتاوى"، ابن تيمية، دار عالم الكتب، الرياض 1991: 270/19.

(4) - سورة النساء، الآية: 115.

باقي مصنفاته الفقهية وغيرها، آراءه الوحدوية في المؤاخاة بين جميع الاتجاهات الفقهية، والمساواة بين سائر المدارس والمذاهب التشريعية الإسلامية، وليس هذا فحسب، بل ذهب إلى القول بأن «الشريعة المطهرة لا خلاف فيها البتة، بل إنما نزلت على مرتبتين، لكل مرتبة قوم من الفريقين: مرتبة كأنها مشددة هي للأقوياء، وأخرى كأنها مخففة هي للضعفاء، فلا الأقوياء يرخص لهم في النزول لمرتبة الضعفاء، ولا الضعفاء يكلفون بالصعود لمرتبة الأقوياء. ولا تجد قولا خارجا عن إحدى المرتبتين، ولا شخصا خارجا عن إحدى الحالتين» (1).

وهذا الحسم في مسألة الاختلاف -على الأقل من الناحية النظرية- يدل على معرفة الشيخ العميقة وعلمه الراسخ بقطبي الفقه: الإجماع والاختلاف، فعن سعيد بن جبير قال: «أعلم الناس أعلمهم بالإجماع والاختلاف» (2)، وعن قتادة قال: «من لم يعرف الاختلاف لم يشم أنفه الفقه» (3)، وعن عطاء قال: «لا ينبغي لأحد أن يفتي حتى يكون عالما باختلاف الناس» (4).

وقد نص الشيخ صراحة غير مرة على ما أجمع عليه علماء الملة وفقهاء الأمة، وهكذا نصادف في شرحه عبارات من قبيل: «اتفق المسلمون على كذا...»، و«إنهم اتفقوا على كذا...»، و«أجمعوا على كذا...»، و«لا خلاف في كذا...»، إلى غير ذلك مما يطول استقصاؤه.

أما على صعيد الممارسة الحياتية اليومية، فيمكن رصد طموحات الشيخ ماء العينين الوحدوية من ناحيتين: الناحية الإصلاحية، والناحية السياسية.

ففيما يخص الناحية الأولى -وقد أشرنا سابقا إلى بعض جوانبها- يمكن أن نضيف عنصرين اثنين:

الأول: محاولته جمع كلمة الطرق الصوفية والمؤاخاة بينها؛ يقول: «إن الطرق وإن تعددت واختلفت، فمرجعها كلها لأمر واحد هو الفناء في مشاهدة الله والنظر إليه عن كل ما سواه» (5).

والثاني: قيادته لحركة الجهاد ضد الاستعمار، فقد كان هم الشيخ في بداية

---

(1) - "دليل الرفاق"، ص: 3.

(2) - "الإحكام": 135/5.

(3) - "الموافقات" للشاطبي: 161/4، دار المعرفة بيروت.

(4) - نفسه: 161/4.

(5) - "نعت البدايات وتوصيف النهايات"، الشيخ ماء العينين، ص: 11.

استقراره في منطقة الساقية الحمراء ووادي الذهب أن يوحد القبائل المغربية، ويكون منها قاعدة اجتماعية صلبة تستطيع مواجهة التدخل الأجنبي في المنطقة الجنوبية، وقطع الطريق على المستعمر الفرنسي الذي كان يتحين الفرص للانقضاض على مجموع التراب المغربي، وقد استعمل مجموعة من الوسائل لبلوغ هذه الغاية، منها مساعدة القبائل المستضعفة، ومقاطعة القبائل الظالمة، وغيرها من الوسائل التي أعادت بناء الهيكل الاجتماعي الصحراوي، ومتنت أواصر علاقاته الاجتماعية، وقد استكمل المشروع الاجتماعي المعيني لبناته الوحدوية ببناء مدينة السمارة[1].

وقد ظلت هذه الزاوية في حركتها الجهادية والإصلاحية وفية لالتزاماتها الوطنية، إلى أن تم التحاق الأقاليم الجنوبية بباقي الأقاليم المغربية في الشمال.

إن هذا الالتزام هو محور الطموحات الوحدوية المعينية من الناحية السياسية، فمن المعلوم أن حضور السلطة المركزية في مجموع الأقاليم المغربية -ومن ضمنها الأقاليم الجنوبية- وغيرتها الدينية والوطنية جعلت الشيخ ماء العينين يضع يده في يدها، ويتعاون معها على تنفيذ مشروعها الوطني، فكان بذلك خليفة السلاطين العلويين في المنطقة الخليفية من الجنوب المغربي، ووكيلهم في السهر على ترتيب شؤونها، يمثلهم لدى سكانها، وينقل أوامرهم وقراراتهم إلى قبائلها[2].

وقد كان -رحمه الله- دائم الاتصال منذ فجر حياته بملوك الدولة العلوية الشريفة، فزار السلطان مولاي عبد الرحمن سنة 1274هـ/1857م، والسلطان مولاي محمد بن عبد الرحمن سنة 1290هـ/1871م، والسلطان مولاي الحسن الأول، ثم السلطان مولاي عبد العزيز، ومولاي عبد الحفيظ. وبذلك يكون الشيخ قد اتصل بخمس ملوك من هذه الدولة المصونة، وبايعهم على السمع والطاعة، وتعلق بعرشهم مدى الحياة هو ومن تبعه من تلك الأنحاء من أتباعه، فلقي من الدولة كل تعظيم وإجلال وإكرام يليق بأمثاله... ووقع في إحدى جلساته مع السلطان مولاي الحسن الأول أن سأله السلطان في مجال البسط في الحديث قائلا له: كيف كنت ترى يا شيخنا مكانك قرب الوالد رحمه الله؟ فأجاب الشيخ: أدام الله ملك سيدي، لقد كنت مع جدك السلطان مولاي عبد الرحمن رحمه الله قبل والدك، وكان يجعلني مكان ابنه، ومع والدك فكان يجعلني مكان أخيه، فقال له السلطان مولاي الحسن: وأنا أجعلك مكان

(1) - محمد الظريف، الرسالة الجامعية، ص: 228.

(2) - نفسه، ص: 79.

أبي أيها الشيخ، لشرفك، وعلمك، ودينك، ونصحك لنا، ونصرتك للحق، وجهادك من أجل الدين والوطن ووحدته[1].

نعم، وحدة الوطن كانت الهم الأكبر للشيخ وشغله الشاغل، فقد كان يدرك بعمق أن الوحدة والإجماع مبدآن أساسيان لا غنى لكل مشروع حضاري مستقبلي عن الارتكاز عليهما والتمسك بهما..

لقد ساهم -طيب الله ثراه- ليس فقط في توحيد قبائل الجنوب الصحراوية، ولكن أيضا في توحيد هذه القبائل ومثيلاتها السوسية والحوزية وغيرها، خلال حملاته الجهادية التي قادها بنفسه، وواصلها من بعده خلفه الشيخ أحمد الهيبة، والشيخ مربيه ربه، وغيرهم من أبطال الحركة الجهادية في صراعهم مع المستعمر.

رحم الله شيخنا الجليل برحمته الواسعة، وأمطر عليه وعلى حفيده الأستاذ ماء العينين علي بن الشيخ مربيه ربه، وعلى كل من استشهد مدافعا عن وحدة هذا الوطن شآبيب رضوانه، وأسكنهم جميعا فسيح جنانه، في أعلى عليين مع النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

---

(1) - "دليل الرفاق"، ص: ي.
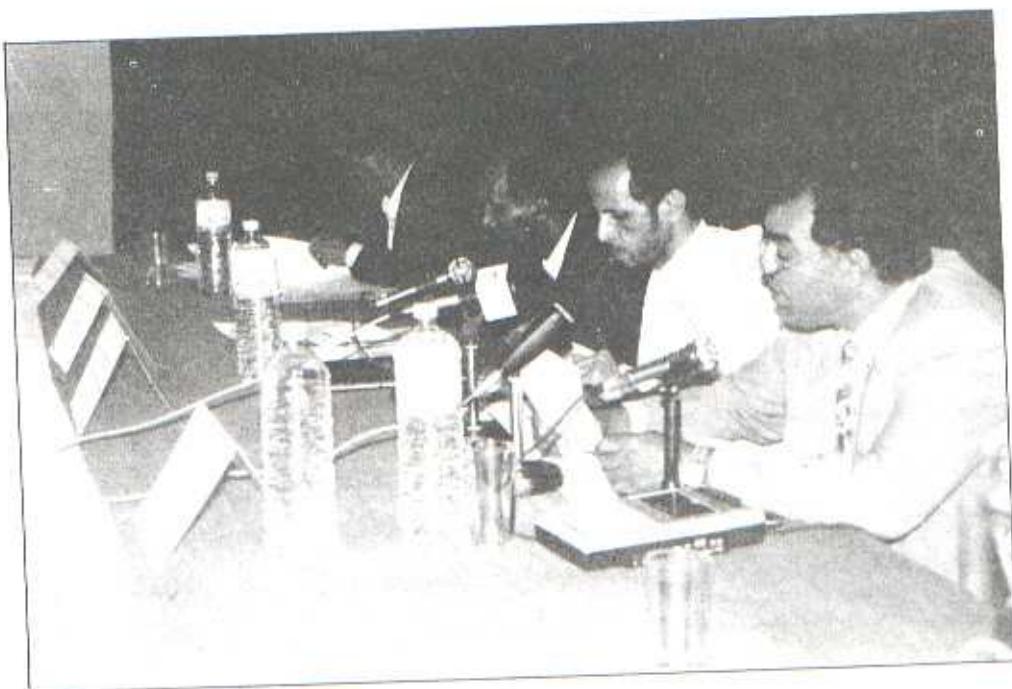
صورة لجلسات المحور التاريخي والأدبي

الرواية الشفوية ودورها في البحث العلمي

محمد ناجي بن عمر(*)

****

إن الحديث عن واقع البحث العلمي في أمة من الأمم، مقياس حقيقي لمدى تفاعلها وتعاملها مع مستجدات أي عصر من العصور في كافة المستويات وعلى جميع الأصعدة، وبه يمكن أن يُحكم على إمكانية التطور، أو الوقوف في محطة من المحطات، مما يعني حتما التأخر والاندحار، ومن ثم مغادرة مسرح الحياة العملية والعلمية.

ومعلوم أن هذا البحث العلمي بمثابة نهر دائم الجريان، تغذّيه روافد عديدة مختلفة في القوة والتأثير. ومن أهم روافد البحث العلمي: الوثيقة المكتوبة والعمران، والرواية الشفوية. وتختلف هذه الروافد من حيث حجيتها، وإجرائيتها، ونتائجُها، وإلزامية خلاصاتها، وانفتاح آفاق تحليلها، وتفسيرها، وتأويلها.

ومادام موضوع هذه المداخلة يتناول دور الرواية الشفوية في البحث العلمي، فإنني سأطرح عدة أسئلة، تحاول محاصرة الموضوع من أي منزلق منهجي. وهذه الأسئلة هي:

1) لماذا الرواية الشفوية؟
2) مَن مِن الباحثين يلجأ إلى الرواية الشفوية؟
3) متى يُلجأ إلى الرواية الشفوية؟
4) لماذا يُلجأ إليها؟
5) كيف يتعامل الباحث مع الرواية الشفوية؟
6) ماهي طبيعة النتائج المتوصل إليها من خلال إعمال الرواية الشفوية؟
7) هل يمكن للرواية الشفوية أن تنسخ أهمية الوثيقة؟

وهل يمكن أن تبنى عليها استنتاجات تشكل قرارات ملزمة بشكل من الأشكال؟

قبل الشروع في الإجابة عن هذه الأسئلة، نشير إلى أن أصول ثقافتنا العربية الإسلامية، بمختلف أشكالها: النقلي والعقلي، والأدبي والكلامي، كتبت عن أصول

(*) - أستاذ جامعي - كلية الآداب والعلوم الإنسانية - أكادير.

شفوية امتدت أربعة قرون، اثنتان قبل الإسلام، أو ما يصطلح عليه بالعصر الجاهلي، واثنتان بعد الإسلام، وتحديدا إلى حدود النصف الثاني من القرن الثاني أو ما يعرف بعصر التدوين، مما يجعل كثيرا من الحقائق والمسلمات اللغوية والعقلية والكلامية والفلسفية التي تداولتها الألسن شفاها قبل أن تصبح أصولا ملزِمة، محط تساؤل. ونضرب هنا مثالا فقط بالثمانين ألف مادة لغوية المبثوثة بين دفتي معجم "لسان العرب" لابن منظور، التي ترجع أصولها كلها إلى الأعرابي سيد الرواة، كما يسميه محمد عابد الجابري.

1) أما لماذا الرواية الشفوية؟ فلأنها مصدر مهم من مصادر الحقيقة العلمية، في كل أضرب العلوم الإنسانية، من ضمن المصادر الأخرى، إلا أنها أثارت النقاش أكثر مما أثارته المصادر الأخرى، بدعوى غياب الموضوعية، وحضور الذاتية. أي أنه، وحسب بعض الباحثين في مجال التاريخ خاصة، لا يمكن اعتمادها؛ لأن نسبة الذاتية تكون طاغية فيها على حساب الموضوعية، مما يفسح المجال للأهواء والانتماءات القبلية والعرقية والحزبية والطائفية والسياسية والاجتماعية، لتظهر وتنتعش على حساب الحقيقة العلمية.

ومن ثم، فإن الرواية الشفوية لا تُعتمد أمام وجود الوثيقة، ناسين أن الوثيقة بدورها تتنازعها تلك الأهواء والانتماءات؛ فالوثيقة في عرف الشارع هي ميثاق وعهد مضروب بين طرفين، ملزم ما بداخلها لكليهما، خاصة أنها تعني في اللغة اسم مفعول على وزن اسم فاعل، فهي موثوقة، وحولت إلى وثيقة كما يفعل بفعيل ومفعول، قتيل ومقتول.

وغالب تلك الوثائق المعتمدة في الكتابة التاريخية خاصة، لا يتوفر فيها هذا الشرط بالضرورة، فهي إما أوامرٌ ونواهٍ أو توصياتٍ أو تحسيناتٍ، الغلبة منها دائما للمرسل بشكل من الأشكال. مما يولد أسئلة كثيرة حول حجية هذه الوثائق، التي غالبا ما تكون هناك روايات شفوية رصينة تطرح الكثير مما ورد في هذه الوثائق محط تساؤلات كبيرة، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى، فإن الباحث في مجال العلوم الإنسانية لا غنى له عن أي مصدر من مصادر الحقيقة أنّى وجدها، وكيف وجدها؛ لأنها عندما تدخل مختبر التدقيق والتحليل، تعطي نتائج قد تكون مهمة وقد تكون استثنائية.

2) أما من هو الباحث الذي يتعامل مع الرواية الشفوية؟ فبكل بساطة هو الباحث المكتوي بحرقة الأسئلة التي تحاصر الظاهرة التي يبحث فيها، والذي لا يستحضر الجواب الواحد الجاهز عن كل سؤال تعذر، أي باحثٌ له تقنيات البحث العلمي لولوج الظاهرة

المراد البحث فيها، من جمع للمادة، ثم تصنيف، ثم تبويب، ثـم شـرح، ثـم تفسير، ثـم تحليل، ثم تأويل...

باحث يحترم بحثه والمبحوث له في محاولة لإعطائه أكبر عدد ممكن مـن المعلومـات بأقل أخطاء ممكنة. إنه باحث غير متسـرع، وغير طـامع في إرضـاء نفسـه، أو قبيلتـه أو عرقه، أو حزبه أو وسطه، على حساب البحث العلمي.

باحث لا يكتفي بترديد ما هـو متعـارف عليـه، بـل سـاع إلى التيقـن مـن بعـض المسلمات التي لا تملك القوة والإجرائية إلا من خلال تداولها في المجالس، وتواتر وجودها في صفحات بطون الكتب المختصة وغير المختصة.

باحث؛ كل شيء يساعده على تبديد عتمـات طريـق البحـث العلمـي المظلمـة، ضالته ضمن تلك المساعدات من الرواية الشفوية التي غالبا ما تكون ناجحـة في توضيـح أشياء هامة، خاصة إذا كانت متوافرة على شروط الصحة والإفادة.

3) أما متى يُلجأ إلى الرواية الشفوية؟ فإن الباحثين يختلفون في إعمالهـا، هـل قبـل الوثيقة؟ أم معها؟ أم بعدها؟ أما من يرى أنه يلجأ إليها قبـل الوثيقـة، فـيرجع إلى أصـول الثقافة العربية الإسلامية، بمختلف أشكالها، ذلـك أن العـرب عندمـا وصلـت إلى مرحلـة التعبير الكتابي المؤسساتي، لم تجد كـل ضالتهـا في تلـك النتـف المكتوبـة هنـا أو هنـاك، مستدلين بكون القرآن الكريـم والسـنة النبويـة لم يكتبـا في وقتهمـا، بـل وثقـا في عصـر لاحق، وفي ظروف خاصة ليس المجال هنا للحديث عنها.

أما الذين يُعملون مكون الرواية الشـفوية بجوار الوثيقـة، فـإنهم لا يعتمدونهـا إلا باعتبارها مكملا في جانب من الجوانب التي يريد الباحث توكيدهـا، إن كـان مشـروع البحث أو الموضـوع يقتضـي ذلـك، أو نقدهـا، إن اقتضـى الأمـر كذلـك. فيلجـأ إليهـا باعتبارها نظما موازيا، وليس نصا أساسا، ويتعـامل معهـا تعـاملا نفعيـا، وليـس تفـاعلا استراتيجيا. لكن أكثر التعاملات تعسفا مع الرواية الشفوية، هـو الـذي يجعلهـا في مرتبـة ثانوية وهامشية، إن لم نقل عدميا، مما يؤثر سلبا على البحث العلمي.

4) أما لماذا يلجأ إليها؟ فلأنها تعد مصدرا مهمـا مـن مصـادر الحقيقـة العلميـة في بعض مجالات العلوم، خاصة الإنسانية، ذلك أننا نجد فيها أحيانـا تصويبـات وتنقيحـات واقتراحات، غالبا ما تكون قوية وصائبة، تعجز الوثيقة التي غالبا ما تصدر عـن جهـة أو قبيلة أو عصبية، عن الالتزام بها، أو على الأقل البرهنة على صحتها إن احتـاج الأمـر إلى الصحة، أو نفيها إن احتاج الأمر إلى النفي.

ثم إن أي بحث علمي لا يستحضر جميع العوامل المساهمة في أسس ومناهج وتصورات الحقيقة العلمية والرواية الشفوية، ومن هذه الأسس -مثلا- كونه يتحرك تحركا بطيئا، وإن كان مسرعا؛ لأنه غير قادر على تغيير نفس مشيه أو جريه كيف يشاء، ومتى يشاء.

أما كيفية التعامل معها، فأعتقد شخصيا أن أسْلَم منهج والأكثر أصالة في ثقافتنا العربية الإسلامية هو منهج الجرح والتعديل عند علماء الحديث، خاصة عندما نقف عند تلك الغرابيل الدقيقة التي يلجأ إليها لأخذ معلومة من المعلومات، بل حتى مفردة من المفردات، كالأمانة، والتثبت، والدقة، والصدق، والمروءة، والنزاهة، والعدل، والعفة. ثم بعد ذلك تأتي عمليات أخرى عند عالم الحديث، كالتضعيف، والترجيح، بعيدا عن كل هوًى، أو تزيُّد، أو تجنٍّ قد تكون نتائجه إما باطلة، أو مضللة لآفاق البحث العلمي.

أما ما عدا هذا العلم، مع تحديده وتكييفه لجميع المستجدات العلمية المعاصرة، فإنه يبدو أيُّ منهج مقارب للرواية الشفوية، في العلوم الإنسانية، غير كفيل بإكسابها الإجرائية والصلاحية المتوخاة.

6) أما عن النتائج المتوصل إليها من خلال الرواية الشفوية، فإنها قد تكون قوية وملزمة، خاصة إذا عرضت أمام العقل، وثبتها المنطق المبني على الفهم والتفسير والتحليل، والمقارنة والاستخلاص والاقتراح.

وبهذا تكون مساوية للوثيقة، إن لم تكن متجاوزة لها، خاصة إذا علمنا أن الكثير من الحقائق التاريخية التي مرت عند بعض المؤرخين الثقات من هذه العمليات هي التي حددت وأكدت الوقائع والمستجدات التالية، من هنا، إذًا، تبدو ضرورة أخذها بعين الاعتبار وعدم التفريط فيها بحال من الأحوال.

7) ثم إنه إذا مرت الرواية الشفوية من كل هذه القنوات، وتحققت منها كل هذه الشروط، فإنها قد تزاحم وثوقية الوثيقة وحجيتها، إن لم نقل إنها قد تتجاوزها وتنسخها، وتغير من وضعيتها، فتصبح الوثيقة هي المستأنس بها لا الأساس.

لكن يبدو أن هذا المطلب الأكاديمي لن يتحقق له النجاح والإجرائية، إلا بعد تضافر مجهودات عدة جهات فاعلة في اتخاذ القرار، بمختلف أشكاله، وحينذاك يمكن القول إن البحث العلمي قد أفاد المجتمع في تقدم حضاري ملموس.

وأعتقد أن إعادة الاعتبار للرواية الشفوية، لا تكفي فيه الأماني والتنظيرات، بل لابد من إحياء ذاكرة علمائنا وشيوخنا ومقاومينا ومجاهدينا، قصد تقصي دقائق

تفكيرها. ومن هذا المنطلق حاولت جمع أكبر عدد ممكن من المعلومات، عن تاريخ المغرب عامة خلال القرن التاسع عشر، خاصة في النصف الثاني منه، ذلك بعدما أقدمت وبتوفيق من الله على ترجمة أحد أهم الكتب التاريخية التي تعتمد الرواية الشفوية، وهو كتاب "زمن المحلات" أو "مغرب ما بين 1860 و1912"، للويس أرنو، وتعزى أهمية الكتاب إلى كونه يعتمد رواية شفوية لضابط عسكري بخاري يدعى الحاج سالم العبدي، ذي ذاكرة قوية ومستقصية وأمينة وموردة لأخبار مهمة حول الأوضاع السياسية خلال هذه الفترة. بل يمكن القول بأنه كتاب تاريخي تفرّد بإيراد بعض هذه الأحداث التي لم ترد في غيره.

ولاشك أن الكتاب عندما ستتداوله أيدي القراء قريبا، إن شاء الله، سيساهم في إضاءة هذه الفترة المهمة من تاريخ المغرب كله، شمالا، وجنوبا، وشرقا، وغربا.

كما حاولت أن أجمع أكبر عدد ممكن من الروايات الشفوية حول منطقة الرحامنة عموما، وموقعة شمال سيدي أبي عثمان سنة 1912 التي واجهت فيها قوى الغدر والخيانة حملة الشيخ أحمد الهيبة بن الشيخ ماء العينين، وسجلت ما حاكته الألسن عنها، بما فيها الأغاني الشعبية التي تتغنى ببطولات تلك الموقعة وأمجادها.

وفي الأخير، أقترح على الباحثين إيلاء الرواية الشفوية، كل في مجال تخصصه، ما تستحقه من العناية والاهتمام، حتى نتوصل إلى نتائج فيها نصيب محترم من العلمية والجدة، والجدية والموضوعية، فبدون الرواية الشفوية لن نغني درس تاريخنا وحضارتنا المغربية العربية الإسلامية الرصينة.

مظاهر التواصل العلمي والروحي بين علماء سوس وعلماء الصحراء المغربية

أحمد بن مبارك أبو القاسم(*)

****

أولا: مقدمة مدخلية:

إن العلاقة بين سوس وصحرائه لا يمكن حصرها في مجال معين، ولا تحديدها في مظهر من المظاهر؛ لأنها علاقة ذات جذور تاريخية عميقة، وذات طبيعة جغرافية لا تحدها حدود؛ فسوس منحدرة من الصحراء، والصحراء منحدرة من سوس، بشريا وطبيعيا. ولذلك فمن الصعب أن نوفي هذه العلاقة حقها مهما بذلنا من جهود، إذ كيف يمكن الفصل بين الأصول والفروع في القبائل المغربية عامة، والقبائل السوسية والصحراوية خاصة[1].

ولهذا، فإن مجال العلاقات بين سوس وصحرائه أوسع بكثير مما يتصور، رغم قلة الوثائق المتعلقة بما قبل الفتح الإسلامي، ولكن لو تضافرت جهود الباحثين على حدة، كل في تخصصه، لأمكن كشف ما لا يحصى من مظاهر التواصل بين سوس وصحرائه عبر تاريخ المغرب العريق.

أما هذا العرض المتواضع فقد اقتصر على ما بعد الفتح الإسلامي بقرون[2]، ولم يفصل القول إلا في مطلع القرن العشرين وقُبَيْله، مع الاكتفاء بجانبين هامين، هما: العلمي والروحي، تاركا المجالات الأخرى للمتخصصين فيها.

ثانيا: ما المقصود بالتواصل؟

التواصل مصدر تَوَاصَلَ، الدال على المشاركة في الوصل، وهو تفاعل بين طرفين أو بين أطراف قصد الالتحام، والاتحاد والتلاقي المستمر.

(*) - أستاذ باحث - تزنيت.

(1) - انظر بحثا لمحمد الغربي في القبائل الصحراوية، مجلة المناهل، العدد: 58، الخاص بالصحراء المغربية، ص: 44 وما بعدها. ونحن معه انطلاقا من مصادر تاريخية كالطبري، وابن خلدون وغيرهما.

(2) - ذلك أن التواصل العلمي والروحي ومظاهرهما لم تبدأ إلا بعد الفتح الإسلامي بزمن طويل، ربما في عهد الأدارسة كما سيأتي.

أما التواصل العلمي والروحي الذي أقصده، فهو التلاقي المستمر، والتزاور المتواصل بين علماء الصحراء المغربية، وبين علماء سوس، للأخذ والعطاء، والإفادة والاستفادة، فهو العلاقة الراسخة التي تربط بين هؤلاء العلماء، إن على مستوى الجماعات أو الأسر العلمية، أو على مستوى الأفراد؛ تلاميذ وشيوخا، وأصدقاء.

وأرجح أن تكون مدينة "تمدولت" التي أسسها عبد الله بن إدريس[1] في العقد الثاني من القرن الثالث الهجري همزة وصل لهذا التواصل، كما كانت كذلك لتواصلات أخرى. غير أن التواصل الكبير الذي آتى أكله ناضجا لذيذا قد تحقق بانطلاق شيخ الإسلام عبد الله بن يسن التمنارتي، من مدرسة "أكلو" إلى قلب الصحراء، لنشر العلم والإسلام بطلب من يحيى بن إبراهيم الكدالي، في قصة أجمعت على صحتها كتب التاريخ. ومن الصحراء قاد عبد الله بن يسن وتلاميذه ومريدوه المسيرة العلمية والروحية لتوحيد المغرب، بالعلم والدين الإسلامي القويم، بل تجاوز الأمر توحيد المغرب إلى تحرير الأندلس من الطغاة المسيحيين، ومن المتلاعبين بشؤون المسلمين من الأمراء اللاهين[2].

أما التواصل الكبير الثاني فقد تم بهجرة الشيخ ماء العينين من مدينة السمارة، التي أسسها في الصحراء، لنشر العلم وتقوية الإسلام وتنظيم الجهاد، إلى مدينة تزنيت، وإلى المغرب كله. بل كانت هجرة من أجل التوعية والجهاد، لحماية البلاد من كيد الكائدين المتآمرين عليها، لتوزيعها بينهم غنيمة مربحة.

فقد رافق الشيخ ماء العينين من الصحراء إلى تزنيت آلاف من العلماء وطلاب العلم، والمريدين، فكيف لا! وهو من هو، علما وتربية وجهادا. ويكفي شهادة على ذلك ما قال فيه أحد معاصريه، وهو العلامة أحمد بن الأمين الشنكيطي، ممثل المغرب في كل العلوم بين علماء الشرق، قال في حقه في كتابه "الوسيط":

«... وكان هذا الشيخ فاضلا كريما، لا يوجد أحسن منه أخلاقا، وقد اجتمعت به حين خروجي من مدينة شنقيط إلى مراكش، في توجهي إلى الحجاز، ورأيت منه ما

---

(1) – الاستقصا: 171/1، تحقيق: ولدي المؤلف، الدار البيضاء 1954. والروض المعطار في خبر الأقطار، لمحمد عبد المنعم الحميري، ص: 128، لبنان، الطبعة الثانية 1984، تحقيق: إحسان عباس.

(2) – الاستقصا: 6/2، والوسيط في أدباء شنقيط، ص: 365، مؤسسة الخانجي، مصر 1958. ومذكرات المتوزي في المعسول: 247/3 و414. وأعلام الزركلي: 144/4، الطبعة 9، دار العلم للملايين، بيروت 1990. وصبابة أندلسية للدكتور عباس الجراري، المحاضرة التي ألقاها في جامعة دكار في 29 مارس 1984 بعنوان:
Les Almoravites: Empire, doctrine, œuvre, p. 8-9.

حيرني، لأنني أقدر من معه في وادي اسمار من الساقية الحمراء بعشرة آلاف شخص...»[1].

إلى أن قال: «مع حسن معاشرته لهم، لا فرق عنده بين ولده والمحسوب عليه»[2].

وفي تزنيت وافاه أجله بعد أن استفاد منه خلق كثير، علما وتربية وسلوكا. وكانت له لقاءات علمية وروحية مع عدد من علماء سوس الأفذاذ، أمثال الحاج الحسين الإفراني، والشيخ علي الدرقاوي، والعلامة علي بن عبد الله الإلغي، والعلامة محمد بن مسعود المعدري، والمؤرخ الإكراري، وغيرهم. فقد توفي في 24 شوال 1328هـ 1910/10/29م. رحمه الله، وجزاه عن العلم والإسلام خيرا[3].

وبين مسيرتي عبد الله بن يسن والشيخ ماء العينين استمرار التواصل بين علماء سوس وعلماء صحرائه، لا يتسع المجال للحديث عنه بالتفاصيل الآن. ولذلك سأنتقل إلى مظاهر التواصل، من غير أن ألتزم بالترتيب الزماني؛ لأن ذلك من الصعوبة التي لا تطاق، لما يحتاج إليه من جهود مضنية، ووقت أطول، وبحوث متعددة...

ثالثا: مظاهر التواصل:

فكما حددت في عنوان هذه الكلمة، هناك نوعان من التواصل بين علماء سوس وعلماء صحرائه، فالأول علمي، أخذا وعطاء ومجاذبة، والثاني روحي، منه ما هو ديني عقيدي، ومنه ما هو إنساني أخوي، فلنبدأ بمظاهر التواصل العلمي أولا:

1- مظاهر التواصل العلمي: يتجلى التواصل العلمي بين هؤلاء العلماء في مظاهر ثلاثة، أولها المشيخة، وثانيها التلمذة، وثالثها المحاورات العلمية والمساجلات الإبداعية.

ففي المشيخة: نجد مثلا الأسرة العلمية السباعية التي مازال صداها يطن في الآذان

---

(1) - الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ص: 365.

(2) - نفسه، ص: 365.

(3) - ترجمته في المراجع الآتية:

- المعسول: 4، وهو خاص به، وببعض بنيه.
- الشيخ ماء العينين وجهاده العلمي والوطني، لشبيهنا ماء العينين حمداتي، دار المعارف الجديدة، الرباط 1995.
- في الأدب والمقاومة: نماذج من زاوية السمارة المعينية لماء العينين ماء العينين، دار وليلي، مراكش 1996.
- الرحلة المعينية، لماء العينين ابن العتيق، تحقيق: محمد ظريف، دار المعارف الجديدة، الرباط 1998 (انظر ص: 49 وما بعدها).

السوسية، ونذكر منهم على سبيل المثال العلامة الشهير محمد بن عبد الله السباعي النحرير، باني "مدرسة الساعدات" بناحية شيشاوة، وما تزال تؤدي دورها العلمي[1]، وكان يدرس فيها بتفان وإخلاص، هو وأبناؤه من بعده، ووالده عبد المعطي: عالم كبير، أخذ عن الشريف الكثيري بهشتوكة. وللمدرسة السباعية دور كبير في تخريج الأفذاذ، والمختار السوسي واحد منهم[2].

ونجد من التجكانتيين الأسرة العلمية البلعماشية، نسبة إلى ابن الأعمش مؤسس مدينة "تندوف"[3]، ومن "تندوف" انتقلت الأسرة إلى أقا. وقد اشتهر من الأسرة ابن الأعمش الأكبر الشيخ أحمد دوكنا، وابنه محمد المختار مؤسس "تندوف" في أواخر القرن الثالث عشر الهجري.. ومن كبار علماء الأسرة عبد الله بن الأعمش العالم الراسخ، توفي في "توزونين" بأقا حوالي 1326هـ. وفي "توزونين" مقبرة تسمى مقبرة تاجكانت، دفن فيها اثنتا عشرة امرأة تاجاكانتية، كلهن حفظ القرآن. ومن علماء الأسرة محمد بن أحمد بن المختار الذي له علاقة وطيدة بالطاهر الإفراني، وبينهما مساجلات شعرية، ومخاطبات علمية. ومنهم العلامة أحمد بن محمد المختار الذي كان شغله الشاغل نشر العلم في "تندوف" و"توزونين"، وله علاقة وثيقة بالعلامة المدرس أبي الحسن الإلغي[4].

وإلى جانب هؤلاء الأفذاذ: صهرهم العلامة سيداتي بن محمد الكنتي التاجكانتي، إمام الزاوية الأحمدية في "تَوْرِيرْتْ" بأقا، ومنه استفاد المختار السوسي كثيرا عن علماء الصحراء المغربية عامة، وآل تاجكانت خاصة[5]، وقد قال في حقه: «وقد أخذ عنه أناس، وعادته الإكباب على المطالعة...»[6].

ولسيداتي هذا علاقة ود وإخاء مع الشاعر الحسن البونعماني، وهما معا جولات في المدن المغربية، وقد زار خلالها العلامة المؤرخ عبد الرحمن بن زيدان[7].

---

(1) – حدثني بذلك مشافهة العلامة محمد الضوء السباعي المعروف بالصاوي، وكتب إلي بخطه معلومات قيمة حول العلماء السباعيين، فجزاه الله خيرا.

(2) – انظر السباعيين في المعسول: 266/8 وما بعدها، وفي الوسيط، ص: 509.

(3) – بنى التاجكانتيون مدينة "تندوف" حوالي 1271هـ بأمر من الشيخ محمد المختار ابن الشيخ أحمد دوكنا المعروف بابن الأعمش، وتحت إشرافه، وأول ما بناه مسجد كبير يدرس فيه. انظر المعسول: 158/8-165.

(4) – المعسول: 163/8-164.

(5) – خلال جزولة: 47/3.

(6) – نفسه: 50/3.

(7) – نفسه: 50/3.

أما الأسرة العلمية الكبرى التي لا يخفى فضلها العلمي على أهل سوس خاصة، والمغاربة عامة، فهي أسرة الشيخ ماء العينين، وسواء الشيخ نفسه، أو أبناؤه. فإذا كان الشيخ همه التدريس والإفتاء والتأليف إلى أن وافاه أجله، فإن أبناءه من بعده، وفي أثناء حياته، ما انفكوا ينشرون العلم، ويوطدون الصلات أينما حلوا وارتحلوا، في سوس وغيرها؛ فالشيخ أحمد الهيبة، والشيخ مربيه ربه، والشيخ النعمة، والشيخ محمد الإمام، والشيخ شبيهنا، والشيخ محمد تقي الله، وماء العينين بن العتيق، كلهم رجال العلم، أفادوا وأفتوا وساجلوا... بسوس وغيرها[1].

وهناك أسرة علمية أخرى نزلت بأيت بويسن بالاخصاص تسمى "اذ البصير"، أي آل البصير، وهي من الركائبيين الأفاضل[2]. وأول من نزل منهم بالأخصاص: الشيخ إبراهيم بن مبارك البصير، وسمي بالبصير -على عادة السوسيين- لأنه أكمه. قال فيه المختار السوسي: «ولد أَكْمَهَ، فعوضه الله ما حَرَمَه من بصر ببصيرة نيّرة، حازت العلم والدين».

وحكى لي الأستاذ يحيى أبو القاسم (أخي)، وهو يعرف بعض علماء الأسرة، أن الكَمَهَ استمر في هذه الأسرة بقدر ابن واحد لكل عالم من الأسرة، ومن ذلك العلامة مبارك بن إبراهيم، فقد ولد كأبيه أَكْمَهَ، ومع ذلك أدى دوره العلمي والروحي كأبيه غاية الأداء. فهو الذي جمع أيت بويسن على بناء مدرستهم المسماة "سيدي علي أسعيد" عام 1292هـ، ولم تكن لهم مدرسة من قبل، ثم اشتهرت هذه المدرسة بالمدرسين الكبار، كالعلامة الحسين بيبس، والمؤرخ الإكراري، والمحفوظ الأدوزي، وابنه عيسى، وغيرهم[3].

هذا عن الجماعات العلمية الصحراوية الشيوخ، أما الأفراد الذين لهم أدوار علمية بين السوسيين فكُثر، نذكر منهم الشيخ محمد بابا الصحراوي الشاعر المشهور، ومحمد سالم بن عبد الفتاح شيخ محمد الإمام[4]، وزوجته مريم الصحراوية[5]، وهي عالمة تربت

---

(1) – انظر تراجمهم في المعسول كما سبق، وانظر كذلك بعض أنشطتهم العلمية في: الرحلة المعينية السابق الذكر.

(2) – راجع المعسول: 12/88–172.

(3) – انظر حولها: المدارس العتيقة لمحمد المختار السوسي، ص: 98. وانظر: المعهد الإسلامي والمدارس العلمية العتيقة بسوس لعمر الساحلي: 4/256. وروضة الأفنان في وفيات الأعيان للمؤرخ محمد بن أحمد الإكراري، ص: 339، تحقيق: حمدي أنوش رحمه الله، نشر كلية الآداب-أكادير 1998.

(4) – انظرهم في المعسول: 3/26–38.

في حضن العالمة الكبيرة زوجة[1] الشيخ ماء العينين، والعلامة القاضي محمد بن عبد العزيز[2]، وغيرهم. وكلهم مبثوثون في ثنايا "المعسول"، و"خلال جزولة"، بإفاداتهم وأشعارهم...

أما الشيوخ السوسيون فيكفي أن نشير إلى العلامة مسعود المعدري البونعماني المشهور، وابنه محمد بن مسعود، وابنه أحمد بن مسعود[3]، وشيوخ إلغ، وخاصة عليَّ بنَ عبد الله، وعبد الله بنَ محمد[4]، وإلى الشريف سعيد بن أحمد الكثيري النحرير[5]، والشيخ الحسن التمكيدشتي[6]. فكل هؤلاء يَفِدُ إلى مدارسهم طلاب العلم من الصحراء، ويكون التنافس بينهم وبين إخوانهم الطلاب السوسيين، فيديرون بينهم كؤوس المساجلات والمطارحات العلمية والإبداعية.

ولا ينبغي أن ننسى المدرسة المتنقلة التي أغنت بعلمها وإبداعها رجال العلم وطلابه، ألا وهي المسماة: عبد الرحمن البويزكارني العلامة الفحل، الذي لا مأوى له إلا مدارس العلم، ولا شغل له إلا التعليم أينما حل[7].

أما المختار السوسي فقد استفاد منه خلق كثير، منهم الصحراويون، في مراكش وغيرها[8].

أما في التلمذة: فمن الصعب أن نحصر العدد، فإذا أمكن أن نقترب من حصر الشيوخ باعتبارهم معلومين يشار إليهم بالبنان. فإن التلاميذ عندما يقضون مآربهم

---

(5) – هي مريم بنت محمد سالم بن عبد الله، كانت تدرّس النساء بإلغ. انظر المعسول: 57/3.

(1) – هي العالمة الجليلة ماجا، والدة الشيخ النعمة. المعسول: 26/3.

(2) – هو كاتب مربيه ربه وقاضيه.

(3) – المعسول: 13/5–187.

(4) – نفسه: ترجمة الأول في: 160/1، وترجمة الثاني في: 156/2.

(5) – العلامة سعيد بن أحمد الكثيري المعروف بسيدي سعيد الشريف، لازم مدرسة "إداوْمْحَمْدْ" المعروفة بالمحمدية بهشتوكة مدة طويلة، فتخرج عنه علماء كثيرون، منهم السباعيون، كما تقدم. توفي 1295هـ. وقد تميز بمنهج علمي تربوي في التدريس ونظامه، وله برنامج دقيق لا يخالفه. انظر سوس العالمة، ص: 162، ورجالات العلم العربي في سوس، ص: 51.

(6) – انظر ترجمته ونشاطه في المعسول: 262/6 وما بعدها. ومن الصحراويين الذين تلقوا عنه بعض التحكاتيين.

(7) – المعسول: 90/10–151. وله مساجلات كثيرة، متفرقة في أجزاء المعسول.

(8) – انظر لائحة بعض تلاميذه في كتاب: المعهد الإسلامي: 434/1–444. أما الذين استفادوا من مؤلفاته من الباحثين الصحراويين وغيرهم، فلا مجال للحديث عنهم لكثرتهم. ويكفي أن كتابه المعسول الآن قيد التحليل والاستنتاج في إحدى الجامعات اليابانية من قبل شاب يبحث في علم الاجتماع المقارن، وقد زار إلغ صيف 1997 لمعاينة مسقط رأس المختار السوسي.

يتفرقون في الأمصار، ولا يكاد يحتفظ إلا ببعض الأسماء، لقلة الاعتناء بالتدوين في هذا الجانب على أهميته، ولكثرة الأفواج، مما يتعذر معه الاحتفاظ بالأسماء، غير أنه لما قيل: «بالمثال يتضح المقال»، نذكر بعض الأسماء من سوس وصحرائه معا:

1- محمد المختار السوسي: أخذ عن السباعيين، كما تقدم.

2- محمد بن عبد الرحمن، ابن القائد عياد الجراري: أخذ عن الشيخ سيديا، وعن ابن العتيق بمدينة إفني، وعن الشيخ مربيه ربه بن الشيخ ماء العينين.

3- الشاعر محمد العثماني: افتتح العلوم على يد الشيخ مربيه ربه بكردوس سنة 1930م، وقد حدثني عن ذلك مشافهة، وأعطاني قصيدة مخطوطة قالها في ذكرى مربيه ربه، مطلعها:

غاب حرا جزاه في الخلد ربه * عن حمى دينه مربه ربه

إلى أن قال:

لي في ذلك الجناب ذمام * لم يذبه طول الزمان وكربه
لست أنسى لوحا كتبت عليه * لي في العلم ما به لان صعبه
لست أنسى ما عشت منك دعاءً * لي به يرغم الحسود وذنبه
وعطاءً مباركا هدأ الطفـ * ـل وقد هابه فيرجف قلبه
نالني من يديك فضل كبير * فارعوى الدهر يوم ذاك وريبه
لست أنسى تقبيل كفيك يوما * وأبي جالس إليك وصحبه
يستشيرون في عدو عقور * نابه في الشعوب دام وخلبه
حينما شاهدوه زحفا ورجفا * يتذر الأطلس المروع خطبه
فتواضعت لا صدى الذكر تبغي * بغية المتقي من الله قربه

4- نساء من إلغ: أخذن عن مريم الصحراوية، كما ذكرت من قبل.

5- الحسن بن الساحي الركاني: أخذ القرآن في الساحل، ثم التحق بمحمد بن مسعود المعدري بمدرسة بونعمان.

6- عبد المعطي السباعي: أخذ عن الشريف الكثيري بهشتوكة.

7- الحسن معطى الله: تتلمذ على عبد الله بن خرباش المشهور[1].

8- عبد القادر الودنوني المشهور، وقد تردد اسمه في كثير من أجزاء "المعسول"، فقد تتلمذ على البونعمانيين.

---

(1) - المعسول: 201/14.

واللائحة مفتوحة، وخاصة إذا علمنا أن العلامة الحسين بن محمد الكاهيا الجراري أحد تلامذة الكثيري، استقر بالحوض في الصحراء، وتزوج بعالمة صحراوية اسمها الغالية، وأبوها العلامة إبراهيم السباعي، وابنها، من زوجها المذكور، عالم كبير اسمه عبد الله كان يدرس بطرفاية قبل أن يتجول في كثير من مناطق العالم. ثم استقر بإنزكان أكادير، وكان هناك مراسلا لجريدة "السعادة"[1].

في الحوار العلمي وما إليه: هذا المجال واسع النطاق[2]، وخاصة في المساجلات التي فصل فيها القول كثير من الباحثين، ويكفي أن نُذَكِّر فيها بما كان يجري في المدرسة الإلغية والبونعمانية، ومدينة تارودانت، بين الباشا الشنكيطي وعلماء سوس، وعلماء الصحراء معا، وأن نذكر بالطاهر الإفراني وابنه محمد مع محمد بابا وابن العتيق. وأن نشير إلى مجالس الشنكيطي الأدبية مع أمثال موسى الروداني، وداود الرسموكي، وإسماعيل السكتاني، والمختار السوسي، وغيرهم. وتجدر الإشارة -في هذا المجال- إلى أن الأستاذ البحاثة ماء العينين النعمة جمع من مساجلات الحسن البونعماني وحده مع بعض شعراء الصحراء أزيد من أربعين مساجلة مخطوطة[3].

فلننتقل الآن إلى جوانب أخرى، وهي:

أولا: المحاورات العلمية: ومنها المناقشة المشهورة بين الشيخ محمد الولاتي، والشيخ محمد بن العربي الأدوزي[4]، وقد فصل فيها القولَ بما فيه الكفاية، الأستاذ محمد الحاتمي.

وهناك مناقشة بعض الأحكام القضائية لنقضها أو تأييدها، كنقض عبد الله الإلغي بعض أحكام لأحمد بن محمد بن المختار الدوكنا. وكقضية إرثية تتعلق بحكم الغائب، فقد أثارها الطاهر الإفراني، فأفتى فيها كل من محمد بن عبد العزيز كاتب مربيه ربه، وماء العينين الحضرامي، وأحمد بوطعم، وماء العينين بن العتيق، ومحمد الإمام، وأصدر مربيه ربه ظهيرا مؤيدا للإفتاء، كما أيد الإفتاء محمد بن عبد الله الأعلاوي، فحكم الطاهر الإفراني في المسألة طبقا لفتاوي هؤلاء، ولكن العلامة أحمد بن محمد

---

(1) - المعسول: 18/109-112.

(2) - انظر مثلا: ثقافة الصحراء للدكتور عباس الجراري، ص: 43 وما بعدها. وانظر شعر داود الرسموكي، تحقيق: اليزيد الراضي، ص: 42، نشر جمعية إيليغ 1992.

(3) - تحدث عن هذه المساجلات في ندوة «الحسن البونعماني» التي نظمتها جمعية الحسن البونعماني، بتنسيق مع مندوبية وزارة الشؤون الثقافية بتزنيت، يوم 15 مارس 1998 بإعدادية بونعمان.

(4) - انظر نص الحوار في رحلة محمد بن يحيى الولاتي الحجازية، ص: 104، تخريج: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي 1990، وانظر مضمونها في المعسول: 8/181-182.

التدارتي، والعلامة عبد الله بن محمد الإلغي، نقضا الحكم والفتاوي[1].

ثانيا: تقريظ المؤلفات: من ذلك ما كتب حول قصيدة لامية في مدح الرسول عليه السلام، وشرحها للقاضي الهاشم الأقاوي، فقد قرظ القصيدة وشرحها كل من ابن العتيق بقوله[2]:

ناهيك عن خير الورى تبجيل * لها عن المدح تفضيل وتبجيل

إلى قوله:

نظم رقيق وشرح رائق حصلا * من ذهن ندب له في العلم تحصيل

تزيين كل مديح له أوصله * إفادة ما لها لولاه توصيل

مازال علمك نور البيضاء به * له بفهمك تقريع وتأصيل

ومحمد سالم بن عبد الله بقوله[3]:

نيل المراد أفاد العلم ناظره * بسيرة المصطفى والصحب والآل

نظم بديع عديم الشكل مختصر * وشرحه عجب عديم أمثال

لله فكر أديب زانه ورع * أحيا العلوم به من منظر عال

محمد الهاشم بحر المكارم من * يتسيك مجلسه في الأهل والمال

تبارك الله في آدابه وعلى * صولات همته في أيما حال

ومحمد بن سالم بن عبد الفتاح بقوله[4]:

نيل المراد أتى فيه من العجب * ما لم يرد قبله في سائر الكتب

إلى قوله:

قد عظم الهاشميُّ الهامشيَّ به * أكرم به قربة من أحسن القرب

ومن المؤلفات الصحراوية التي اعتنى بها علماء سوس، مؤلفات الشيخ ماء العينين، ومنظومة ماء العينين بن العتيق في القضاء[5]، وديوان الشيخ مربيه ربه الذي جمعه العربي الصوابي، وقد اطلعت على نسخة منه عند العلامة محمد العثماني الشاعر، رحمه الله.

---

(1) - راجع القضية في المجموعة الفقهية في الفتاوي السوسية للمختار السوسي، ص: 183-188، إعداد: عبد الله الدرقاوي، نشر: كلية الشريعة بأكادير 1995.

(2) - المعسول: 143/9.

(3) - نفسه: 143/9-144.

(4) - نفسه: 143/9-144.

(5) - انظر نموذجا لها بخط أحد فضلاء سوس في الملحقات من هذا البحث.

ثانيا: مظاهر التواصل الروحي:

أقصد بالروح، كما ألمحت إلى ذلك من قبل، جانبين: الأول الديني المرتبط بالاتجاه الطرقي، أو ما يسمى بـ"التصوف". والثاني الجانب الإنساني العام المرتبط بالأخوة والصداقة. ففي الجانب الأول نجد بعض زعماء الطرق الصحراويين لهم أثر كبير في كثير من العلماء السوسيين؛ فمثلا: مبارك بن إبراهيم البصير الركائبي أسس زاويتين، إحداهما بالأخصاص، والأخرى بالرحامنة، وله علاقة وثيقة بالعلامة الحسين بيبس والمؤرخ الإكراري.

وفي الوقت نفسه تأثر بالتمكدشتيين؛ إذ أخذ عن آل وعزيز بتزنيت الطريقة الناصرية، كما أخذوها عن شيخهم الحسن بن أحمد التمكيدشتي، وكانت علاقة روحية مستمرة بين مبارك البصير والحسن التمكيدشتي، بدون انقطاع[1].

أما الحسين بن محمد الكاهيا الجراري، فكان مقدما للطريقة الناصرية بالحوض، وكان في الوقت نفسه مدرسا هناك كما أشرت من قبل.

أما الشيخ علي الدرقاوي، فلا يخفى ما له من علاقة روحية بالشيخ ماء العينين وغيره، ويكفي أن نذكر ما قاله فيه أحمد الدكنا: «ليس في زماننا هذا مثل الشيخ سيدي الحاج علي، وقد تأثرت بملاقاته، فوجدت في قلبي ما لم أجده مع غيره»[2].

بينما نجد الشيخ ماء العينين قد خطب ودّ كل الطرق بمثل قوله[3]:

إنـي مُخَـاو لجميـع الطـرق * أخـوة الإيمـان عنـد المتقـي
ولا أفـرق للأوليـاء * كمـن يفـرق للأنبيـاء
قـال تعـالى: المؤمنـون إخـوة * وعـدم التفريـق فيـه إسـوة

ولذلك نجده يلقن كل الأوراد كما قال ابنه محمد تقي الله في سيرته[4]:

وكـم لـه كـان مـن الأوراد * مفرقـات يعطـي للعبـاد
يعطـي لـذا لـورد عبد القـادر * وذاك يعطيـه لـورد النـاصري
ويعطـي ذا طريقـة التيجـاني * وذاك يعطيـه لـورد ثـان

---

(1) - انظر المعسول: 12/97-99 و8/99.
(2) - نفسه: 18/164.
(3) - الشيخ ماء العينين وجهاده العلمي والوطني، ص: 100.
(4) - مذكرة الموارد، بسيرة ماء العينين ذي الفوائد، لمحمد تقي الله بن الشيخ ماء العينين، ص: 5، طبعة حجرية 1316هـ.

ويعطي للخلوتي والدرقاوي * وللشبنتري والعيساوي

وغير ذا من طرق أهل الله * يعطيه كله بلا تناهي

ومن العلماء الطرقيين الذين ارتبطوا بالشيخ ماء العينين الحاج الحسين الإفراني، مقدم الطريقة الأحمدية بسوس، فكان كل منهما يتمنى أن يموت سابقا ليصلي عليه صاحبه، فمات الإفراني، فصلى عليه الشيخ ماء العينين، وليس بينهما غير أيام معدودات. وقد نظم الطاهر الإفراني وفاتهما في قوله:

مات الإمام الشيخ ما العينين * بعد وفاة الإفراني الحسين

وكان ذاك عام حط الشرف * وأصبحت عين العلوم تذرف

وحط الشرف، بحساب الجمل: رمز لعام 1328هـ.

ومن أقطاب الطريقة التجانية الذين لهم صلة مباشرة بالشيخ ماء العينين وأبنائه العلامة الطاهر الإفراني، وابنه محمد، والشيخ محمد الحبيب البوشواري، وشيخ الدرقاويين بسوس الحاج علي بن أحمد الإلغي الذي أثنى عليه الشيخ ماء العينين، وأعجب بسلوكه، كما أن جميع الطرقيين بسوس يُكنّون التقدير والإعجاب للطريقة الفاضلية ولقطبها الشيخ ماء العينين.

وأخيرا الجانب الروحي الثاني، وهو علاقة أخوة وصداقة بين علماء الصحراء وعلماء سوس، وخاصة المدرسين منهم، ويتجلى هذا المظهر فيما يلي:

1- المراسلات التي لو أمكن جمعها، لَتَكَوَّنَ منها ديوان ضخم يغني المكتبة الأدبية المغربية.

2- نزول كثير من علماء الصحراء على علماء سوس ضيوفا، وخاصة في المدارس.

3- إصحار بعض علماء سوس كمحمد المنوزي الذي تحدث في مذكراته عن علاقته الخاصة بالصحراويين، وأثنى على علمائهم وعالماتهم[1].

4- العلاقة الفضلى التي جمعت بين عدد من علماء الصحراء، وخاصة آل ماء العينين بالإلغيين والبنعمانيين والإفرانيين والإكراريين[2]، وغيرهم.

---

(1) - انظر مذكرات محمد بن أحمد المانوزي في ترجمته آخر الجزء الثالث من المعسول.

(2) - لمحمد بن عثمان الإكراري كناش مخطوط جمع فيه مساجلاته، ومناقشاته مع الصحراويين، وخاصة آل ماء العينين.

نموذج من التقاريظ نقلها الناسخ لنفسه اعتناء بها

السجال العلمي بين سوس والصحراء
من خلال رحلة الولاتي

محمد الحاتمي (*)

****

لم تنقطع العلاقات بين الصحراء وباقي المناطق المغربية عامة، وسوس على وجه الخصوص. وقد تنوعت هذه العلاقات إلى:

- علاقاتٍ دينية تجلت في انتقال المذهب المالكي والطرق الصوفية من شمال المغرب ووسطه إلى صحرائه.

- علاقاتٍ اجتماعية تجلت في المتاجرة والمصاهرة التي تتم بين الأسر السوسية والأسر الصحراوية.

- علاقاتٍ علمية وهي التي تهمنا في هذا العرض.

إن الناظر إلى العلاقات الثقافية بين الصحراء وباقي المناطق المغربية -ومنها سوس- سيلاحظ أنها كانت أكثر حضورا في الربط بين هذه المناطق، وقد توطدت هذه العلاقات وتَمتّنت مع المرابطين الصنهاجيين الذين قدموا إلى الشمال من منازلهم بأقصى الصحراء[1]. وقد قرر الدكتور عباس الجراري، عند حديثه عن ثقافة الصحراء أن أُولى خصائص هذه الثقافة هي: «أن ثقافة الصحراء كانت دائما ثقافة تواصل، حيث نجد العلماء والأدباء الصحراويين يتوافدون على أقاليم الشمال، إما للدارسة والتدريس، وإما للاتصال بالملوك ومدحهم، أو الكتابة لهم» [2].

وليس معنى هذا أن حبل التواصل الثقافي كان دوما ينطلق من الصحراء تجاه الشمال، بل إننا نجد بموازاته خطا آخر «يسير من الشمال إلى الجنوب، ويتمثل في الرحالة الذين اتصلوا بالصحراء وكتبوا عن أقاليمها.. كما يتمثل في الوفود الرسمية التي كانت تزور أقاليم الصحراء... وكذلك يتمثل في الشعراء الذين مدحوا الشيخ ماء

(*) - أستاذ جامعي - كلية الآداب والعلوم الإنسانية - أكادير.

(1) - "الحركة الفكرية بالمغرب على عهد السعديين"، محمد حجي: 635/2.

(2) - "ثقافة الصحراء"، ص: 35.

العينين، كالطاهر الإفراني، وأحمدَ بنِ المواز، وعبدِ الرحمن بنِ زيدان»[1].

هكذا نرى، إذًا، أن حبل التواصل الثقافي والعلمي بين المغرب وصحرائه كان يسير في خطين متوازيين: أحدهما يمتد من الصحراء، والآخر يمتد إليها، بيد أن الأول، أي الممتد من الصحراء، كان أقوى وأجلى.

وقد حظيت سوس بنصيب غير قليل من هذا التواصل الثقافي عبر قنوات متعددة كالتعليم والتعلم، والمراسلات، والإجازات، والمساجلات التي تتم بين علماء سوس وعلماء الصحراء.

وقد كانت رغبتي في أن أرصد كل هذه الأشكال من التواصل الثقافي بين الصحراء وسوس من خلال كتب الرِّحلات التي يدون فيها الرحالة، غالبا، لقاءاته العلمية، ومناظراته للذين ينزل بهم أو يلقاهم من العلماء والفقهاء والأدباء، وهي بهذا تكون مرآة تجلو هذه العلاقات العلمية التي يربطها المؤلف الرحالة مع غيره، كما تجلو المظاهر الثقافية التي يقف منها المؤلف موقفا إيجابيا أو سلبيا.

تلك كانت رغبتي، بيد أن هذه الرغبة لم تتحقق نظرا لزحمة الأشغال وقلة الوقت والإمكانات، فاقتصرت على مظهر واحد من مظاهر هذا التواصل هو المساجلات العلمية، وفي رحلة واحدة هي رحلة الولاتي محمد يحيى الحجازية، وتركت الباقي لمن له من الوقت أوسع مما عندي، ومن الإمكانات أوفر مما أملك.

وفي هذه الرحلة نجد الولاتي قد بسط وقائع مساجلة علمية وقعت بينه وبين فقيه سوسي هو محمد بن العربي الأدوزي. وهذه المساجلة هي التي سأقف عندها قصد النظر في موضوعها وكيف عرض كل مساجل وجهة نظره فيه، ثم إلى ماذا انتهت المساجلة؟

وقبل ذلك أرى من المفيد أن ألم إلمامة وجيزة بحياة المتساجلين حتى نقف على مكانة الرجلين العلمية.

فمحمد بن العربي الأدوزي (ت. 1323هـ)[2] هو أحد أعلام المدرسة والأسرة الأدوزية التي تسلسل فيها العلم عدة أجيال. دَرَس بالمدرسة الأدوزية وبها درَّس خلفا لأبيه، وقضى بها كل عمره مدرسا ومفتيا وعالما مشاركا في ميدان التأليف بما تركه من مؤلفات عديدة في مختلف المجالات المعرفية، قال فيه الإكراري: «شيخ الجماعة بسوس، رجل الدنيا وواحدها، ومنكر خصال البخل وجاحدها، طَلْق اللسان، مطبوع على

---

(1) – "ثقافة الصحراء، ص: 45 وما بعدها.

(2) – انظر ترجمته في: "روضة الأفنان" للإكراري، ص: 174 وما بعدها، وفي "المعسول": 149/5 وما بعدها.

الإحسان، محبَّب إلى كل إنسان، شاعر مطبوع، يقتدي به في الصناعة التابع والمتبوع، سلّمت له الأماثل، وقبلت إشارته الأفاضل، قرأ بأدوز، وأخذ عن أبيه علمه المكنوز، فهو البدر التمام، والزهر المنشق عن الأكمام...» [1].

ووصفه العلامة محمد المختار السوسي بأنه كان: «رجل الصراحة، مِكَرًّا مِفَرًّا، مقبلا مدبرا، يقبل ويرد، ويهاجم ويدافع، لا تأخذه في الله لومة لائم، ولا يعرف الهوادة في الذي يراه حقا» [2].

وتكفي هاتان الشهادتان للتدليل على مكانة الفقيه الأدوزي العلمية.

أما محمد يحيى الولاتي (ت. 1330هـ) [3] فهو أحد علماء الصحراء المشاركين، وأدبائها المرموقين. قال فيه الأستاذ محمد حجي محقق رحلته: «كان عالما مشاركا، محدثا حافظا، فقيها أصوليا، أديبا شاعرا ناثرا، مالكي المذهب، أشعري العقيدة، تجاني الطريقة، منفتح العقل، حاد الذكاء، طويل النفس في الحوار والمناظرة، واسع الاطلاع، قوي الذاكرة» [4].

إذًا، هذان عالمان كبيران، أحدهما سوسي، والآخر صحراوي، وكل منهما له مكانته العلمية المرموقة في وسطه، ستقع بينهما مساجلة علمية، ولاشك أن أيًّا منهما لا يرضى أن يُفْحِمَه صاحبه.

وسبب هذه المساجلة أن الفقيه الولاتي أعمل الرحلة إلى الديار المقدسة سنة 1311هـ فعرج على سوس، وكان من بين المناطق التي نزل بها منطقة إيليغ. وكان حلول عالم مشهور كالولاتي بأحد المراكز العلمية بسوس حدثا هاما يحتفل به، فيقصده العلماء والفقهاء للسؤال أو للاستجازة أو للتبرك... فلما نزل الولاتي بإيليغ قصده محمد بن العربي الأدوزي للسؤال والمناظرة. وهناك دار بينهما سجال علمي شفوي تطور بعد ذلك إلى سجال كتابي بعد رحيل الولاتي. وقد بسط الولاتي وقائع هذه المساجلة في رحلته على امتداد خمسين صفحة[5]، كما ألم محمد المختار السوسي بأطراف منها في ترجمة الأدوزي من "معسوله"[6].

---

(1) – "روضة الأفنان"، ص: 174.

(2) – "المعسول": 159/5.

(3) – ترجم له: عبد العزيز بنعبد الله، "معلمة الصحراء"، ص: 188.
محمد حجّي في تقديمه لـ"الرحلة الحجازية"، ص: 7 وما بعدها.

(4) – مقدمة "الرحلة الحجازية"، ص: 8.

(5) – من ص: 104 إلى ص: 155.

(6) – المعسول: 173/5-175.

إن الفقيه الأدوزي لما قصد الولاتي لم يكن مستفتيا، ولا مسترشدا، بل كان مناظرا[1] سعى إلى مناظرة هذا العالم الكبير في قضايا علمية مختلفة، وهدف هذه المناظرة عند الأدوزي ليس علما يكتسب، ولا جهلا يرفع، بل ما يمكن أن يحققه له إفحام العالم الصحراوي من رفعة ومكانة وذيوع صيت[2].

وقد فطن الولاتي إلى هذا الهدف غير المصرح به والمغلف بالرغبة في المعرفة، فأشار إليه بقوله: «فسألني عن أشياء، ظاهر سؤاله أنه سؤال تثبت، وهو في نفس الأمر سؤال تعنت»[3] يسعى إلى الإقناع بصواب رأيه وخطل رأي الولاتي بكل ما أوتي من قوة.

بعد هذا نتساءل: ماهي القضايا التي يريد الأدوزي مساجلة الولاتي فيها، والتي يظن أنه يملك فيها من العلم ما لا يملكه الولاتي مما سيحقق له تفوقا عليه؟

إن عدد الأسئلة التي وجهها الأدوزي للولاتي ستة يمكن تصنيفها ضمن مجالات معرفية ثلاثة هي:

أ) المجال الديني الفقهي، وفيه ثلاثة أسئلة:

1- هل لمن قلده العوام أن يجريهم على مشهور مذهبه، أو يجريهم على القول الذي يناسب حالهم؟

2- هل لمن أجاز شرب الخمر وجه؟

3- بأي شيء عرف النبي صلى الله عليه وسلم أنه نبي: أبعلم، أو بحس، أو بوجدان؟

ب) المجال النحوي، وفيه سؤال واحد:

4- محمد يحيى قلت: إنه مركب من علمين تركيب مزج، هل ذلك مطرد أم لا؟

ج) مجال الثقافة العامة، وفيه سؤالان:

5- كيف علم العاقل أنه عاقل؟ أبعقل آخر عرف عقله؟ أم بغيره؟

6- هل لكلام أبي مسلم محمل صحيح؟[4]

يتبين من خلال هذه الأسئلة رغبة الأدوزي في إفحام نِدّه، فجره إلى مجالات معرفية مختلفة، وطرح قضايا معقدة وشائكة، كما أنها تبين نوعية المعارف التي كان العلماء يتداولونها ويهتمون بها وبمناقشتها، وهي كما نرى تحتاج إلى زاد معرفي لا

---

(1) - «السائلون ثلاثة: مُستفت، ومسترشد، ومُناظر»، "أعز ما يطلب"، ص: 205، (تح: عمار طالبي).

(2) - المساجلة في معناها اللغوي تعني: المباراة والمفاخرة.

(3) - "الرحلة"، ص: 104 وما بعدها.

(4) - نفسه.

يتيسر إلا لمن هم الرسوخ في العلم والفقه أمثال الأدوزي والولاتي.

إن الولاتي لم يتقاعس عن الجواب عن أسئلة الأدوزي كلها «بالحق الواضح الذي لا غبار عليه» [1] مع اقتناعه أن طرح بعض الأسئلة إنما هو مضيعة للوقت والجهد، وصرْفُهما إلى ما لا طائل تحته. وقد صرح بهذا غير ما مرة، يقول بعد أن أجاب عن السؤال الرابع: «مع أن السؤال عن مثل هذا لا يفيد علما، فألسنة أهل العلم وأقلامهم مصونة عن السؤال عما لا طائل تحته» [2]، ويقول بعد الجواب عن السؤال السادس: «وأما البحث في بيانه فمما لا يُجدي ولا يُفيد، كما أن السؤال عنه من العبث الذي لا يُغني ولا يَزيد» [3]. ويقول في نهاية جوابه عن السؤال الخامس: «وهذا كله من الخوض الذي لا طائل تحته، ولا برهان عليه من كتاب ولا من سنة» [4].

ورغم التنصيص المتكرر من قبل الولاتي بعدم جدوى أسئلة الأدوزي، فإنه أجاب عنها كلها، وكان بإمكانه أن يعرض عن الجواب مادام السؤال لا طائل تحته، بيد أنه لم يفعل لأنه ربما خاف أن يكون إعراضه عجزا عن الجواب وانتصارا للفقيه السوسي.

لقد أجاب الولاتي عن الأسئلة سؤالا فسؤالا، وهو في أجوبته يعتمد الأدلة الشرعية ويفسرها حسب مقتضى اللغة العربية والشرع الإسلامي، وإذا نقل فإنما ينقل عن علماء ثقات.

بيد أن أجوبة الولاتي لم ترض الأدوزي، وهكذا راجعه في قضيتي ابتداء النبوة، وكيف عرف العاقل أنه عاقل؟ فأجابه الولاتي عن القضية الأولى بما مفاده أن النبي صلى الله عليه وسلم عرف أنه نبي بالوحي، ولا علم له قبل الوحي بأنه نبي، وعن الثانية بما مفاده أن ماهية العقل غير معقولة للإنسان حتى يتعقل الدليل الذي عقل به ماهية عقله.

ولما وصل الجوابان إلى الأدوزي اعترض على جواب الولاتي في القضية الأولى بأحد عشر اعتراضا حاول من خلالها أن ينسف رأي الولاتي وأن يثبت رأيه الذاهب إلى أن النبي عليه السلام عرف أنه نبي قبل بدء الوحي. ويبدو أن هذا الرد وهذه الاعتراضات هما الكتاب الذي ألفه في هذه القضية وسماه "العروس المجلوة، في ابتداء النبوة"، انتصارا لرأيه.

ويبدو من خلال حديث محمد المختار السوسي عن هذا الكتاب أنه وقف عليه،

---

(1) - "الرحلة"، ص: 105.

(2) - نفسه، ص: 108.

(3) - نفسه، ص: 114.

(4) - نفسه.

إذ نقل منه مفتتحه، ثم قال معلقا عليه: «ثم أطال النفس في الموضوع، وأكثر النقول، ولكن غالب ما ينقله ينقله عن كتب الصوفية، رحمهم الله، وقلما يُعَرج على غيرهم»[1]. ولما وصل هذا المؤلف إلى الولاتي رد على اعتراضات الأدوزي، وبين بطلان ما يدعيه مستندا في رده إلى الكتاب والسنة، وإلى أمهات الكتب الفقهية والتفاسير المعتمدة، ولم يُعرج على أقوال الصوفية إلا مرة واحدة حين استشهد بكلام شيخه التجاني في تفسير آية استدل بها[2].

وقد بين منهجه في الرد والاستدلال حين قال: «فأجبت عن اعتراضاته كلّيا، تتبعتها كلمة كلمة بالنقض والإبطال بالأدلة الشرعية النقلية التفصيلية، والأدلة الكلية الإجمالية، والقواعد الشرعية القطعية، لا بالأدلة العقلية، ولا بالأدلة العادية، ولا بالكشوفات، ولا بالمرائي والخوارق، ولا بالإلهامات»[3]؛ «إذ لا حكم للعقل ولا للحس، ولا للوجدان في الشرعيات» [4].

من القولة السابقة يتضح أن الولاتي في ردوده سلك طريقة الفقهاء بالاعتماد على الأدلة الشرعية النقلية، وهذا ما خالف به مُناظره الأدوزي الذي لم يسلك المهيع ذاته، بل اعتمد في التدليل على صواب رأيه وخطل رأي الولاتي على آراء الصوفية وكتبهم، وقد سبق ذكر إشارة المختار السوسي إلى هذا المنزع: «ولكن غالب ما ينقله ينقله عن كتب الصوفية..»، وهذا المسلك لم يقبله الولاتي لأنه -في نظره- لا تُبْنَى عليه الأحكام الشرعية، بل إن الولاتي وَاخذَه على سلوك هذا المسلك لما قال له: «فالحاصل أنك أيها الأخ شحنت كتابك بكلام أهل التصوف الذي لا يوافقه دليل من كتاب ولا من سنة؛ وإنما هو من طرق الكشف المنبوذة شرعا، وشحنته أيضا بحكايات كشفهم وخوارقهم تستدل بذلك على نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى وقت علمه بها، وما به علمها. وقد اتفق الفقهاء على أن ذلك لا عبرة به، ولا اعتداد به في شيء من الشرعيات، فأحرى أمر النبوة ودلائلها» [5].

إن مسلك الأدوزي في الاستدلال مرفوض لدى الولاتي رفضا مطلقا، ولهذا حذره من سلوكه مرة أخرى في مُحَاججته فقال له: «فإياك إياك يا أخي إن أردت أن

(1) - "المعسول": 174/5.
(2) - "الرحلة"، ص: 133.
(3) - نفسه، ص: 114.
(4) - نفسه، ص: 112.
(5) - "المعسول": 174/5.

تكتب لنا شيئا في هذه المسألة، أو في غيرها من المسائل الشرعية أن تورد لنا فيه كلام أهل الكشف والتصوف الذي لا دليل له من كتاب أو سنة. وإذا أوردت آية أو حديثا فلا تفسرهما إلا بكلام الفقهاء الذي تقتضيه اللغة، فإنه لا عبرة به شرعا. وقد اتفق الفقهاء على أن تفسير القرآن أو الحديث بما لا يقتضيه من حيث اللغة اعتمادا على كلام أهل الكشف من المتصوفة إلحاد في الدين» [1].

فهل استجاب الأدوزي لتحذير الولاتي وعدل عن مسلكه؟ كلا، بل أجابه بقوله: «هذا الرجل قد نادى على نفسه بالجهل وقلة المعرفة، لأنه رام أن يُنبذ علم التصوف بأسره لأنه عن أهل الكشف وأرباب القلوب أُخذ. وهذه حماقة، كمن أراد رَدَّ نور الشمس في كبد السماء، والاستدلال على مثل هذا تحصيل الحاصل الذي يضيع معه العمر» [2].

إن رد الأدوزي هذا فيه تحامل على الولاتي وتقويله ما لم يقل، لأن الولاتي لم يدع إلى نبذ علم التصوف جملة وتفصيلا، بدليل أنه متصوف على الطريقة التجانية، وإنما رفض الاستدلال بآراء الصوفية وكشوفاتهم ومرائيهم في المسائل الدينية فقط.

وإذا تأملنا جيدا كلام الأدوزي السابق سيبدو لنا فيه تعنّته وهدفه المضمر من مساجلة الولاتي. هذا الهدف الذي يتجلى في إظهار جهل الولاتي وقلة معرفته، تأمل معي هذه العبارة: «هذا الرجل قد نادى على نفسه بالجهل وقلة المعرفة..». إنها الهدف المنشود، وقد وصل إليه الأدوزي في النهاية حسب رأيه. ويعضد هذا ما نقرأه في عبارة أخرى يظهر منها أن الأدوزي لم يَرُقه ما تمتع به الولاتي من صيت ذائع ومكانة عالية في العلوم والمعارف، يقول: «لما رأيت غلو الناس في مدح علوم هذا الإنسان قبضت له رجلي، ثم أقول اليوم: الآن يمد أبو حنيفة رجله» [3]. ألا ترى معي أن الأدوزي غاظه ما يتمتع به الولاتي من ذيوع صيت من غير استحقاق لأن الناس إنما يغالون في مدح علوم هذا الرجل الذي لم يسمه الأدوزي إلا بـ"الإنسان" تنكيرا له وتحقيرا، ثم إن الأدوزي لما خبر علمه ومعرفته مد رجله إحالة على من كان يظنه أبو حنيفة عالما فقبض له رجله احتراما، فلما تبين جهله مد أبو حنيفة رجله.

وإضافة إلى ما سبق، فإن الأدوزي كان ينوي تأليف كتاب آخر للرد على الولاتي، واختار له هذا العنوان: "صخرة العصر على بعض أهل العصر" الذي يدل على

(1) - "المعسول": 174/5.
(2) - نفسه: 175/5.
(3) - نفسه.

هذه الرغبة الجامحة في التحطيم، تحطيم الآخر لإظهار تفوق الذات.

ننتهي بعد بسطنا لأطرافٍ من هذه المساجلة العلمية بين عالم سوس وعالم الصحراء إلى أن المتساجلين يقفان على طرفي نقيض؛ لأن الأول -العالم السوسي- يسير في مهيع التصوف، والمنزع الصوفي هو أحد الجوانب البارزة في شخصيته، إن لم نقل إنه كان الطاغي عليها[1]، بينما كان الثاني -العالم الصحراوي- ينزع منزعا فقهيا رغم كونه صوفيا تجانيا. وأنّى لهذين الطريقين أن يلتقيا؟ أو يتفقا على رأي واحد. وهكذا بقي الأدوزي والولاتي متشبثين برأييهما، وانتهت المساجلة دون تحقيق أي هدف سوى استعراض كل من المتساجلين لما لديه من بضاعة وما يملكه من طرق المحاججة والاستدلال.

ونخلص في النهاية إلى أن رحلة محمد يحيى الولاتي الحجازية قد أوقفتنا على جانب مهم من جوانب التواصل العلمي بين سوس والصحراء، هذا الجانب تجلى في المساجلة القيمة والممتعة التي بسط الولاتي وقائعها في رحلته والتي دارت حول قضايا علمية مختلفة أهمها مسألة ابتداء النبوة، وانتهت إلى ما وقفنا عليه سابقا.

المراجع:

- الارتباط الثقافي بين المغرب وصحرائه، منشورات جمعية رباط الفتح. (أعمال ندوة نظمتها الجمعية في نونبر 1991)، المطبعة الملكية، الرباط 1998.
- ثقافة الصحراء، د. عباس الجراري، دار الثقافة، الدار البيضاء 1978.
- الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، د. محمد حجي، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، 1978.
- الرحلة الحجازية، محمد يحيى الولاتي، تخريج وتعليق: د. محمد حجي. منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط، الطبعة الأولى 1990.
- روضة الأفنان في وفيات الأعيان، محمد بن أحمد الإكراري، تحقيق: حمدي أنوش، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أكادير، 1998.
- مدينة تزنيت وباديتها، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أكادير، 1996.
- المعسول، محمد المختار السوسي، الطبعة الأولى.
- الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية: معلمة الصحراء، عبد العزيز بنعبد الله، مطبعة فضالة، 1976.

---

(1) - "شخصية محمد بن العربي الأدوزي العلمية من خلال شرحه لرحلته"، محمد الخاتمي، ندوة: تزنيت وباديتها، ص: 272.

أدباء صحراويون في المدرسة الإلغية

المهدي السعيدي(*)

****

مقدمة:

بين سوس والصحراء علاقات وطيدة في كل الميادين، فمن سوس دخل ترسيخ الإسلام إلى الصحراء، وانتشر على عهد المرابطين وزعيمهم عبد الله بن ياسين التمنارتي الجزولي، ومن الصحراء انطلق المرابطون ليوطدوا دولتهم في المغرب كله. وترجع العلاقات السياسية والاقتصادية إلى قرون قبل ذلك في عهد حكم الولاة للمغرب، واستمرت بتكاثر الهجرات القبلية من منطقة إلى أخرى لأغراض مختلفة خاصة طلب العيش الرغيد، ولأغراض علمية حيث يستوقفنا في القرن الثامن الهجري مظهر من مظاهر التواصل العلمي وهو خبر عن هجرة خمسة من أبناء مدينة تارودانت إلى منطقة شنقيط، حيث تعاهدوا على الاستقرار هناك والصبر على نشر الإسلام والعلم[1]، كما تواصلت خلال القرون التالية وفادة العلماء الصحراويين على سوس، ولعل أكثرها أهمية في العصر الحديث هجرة الشيخ ماء العينين -رحمه الله- أوائل القرن الرابع عشر الهجري.

وتبعا لهذا التواصل العلمي نشأت صلات علمية وأدبية بين علماء الإقليمين نتيجة اهتمامهم بالأدب وولعهم به دراسة ومطالعة وإبداعا، فكانت لقاءاتهم مناسبات لمعاطاة كؤوس الآداب ولإقامة نواد أدبية حافلة بفنون القول.

وقد طاب المقام للأدباء الصحراويين في المراكز العلمية السوسية خاصة المدارس الأصيلة، حيث كانوا يستقبلون خير استقبال، ويحتفى بهم، ويستقرون ما طاب لهم الاستقرار.

ومن المراكز العلمية التي أقام بها الأدباء الصحراويون حتى صاروا كأهلها المدرسة الإلغية[2] التي زارها أو استقر بها مدة من الزمن عدة أدباء صحراويين، نذكر منهم محمد

(*) - أستاذ جامعي - كلية الآداب والعلوم الإنسانية - أكادير.
(1) - "بلاد شنقيط: المنار والرباط"، خليل النحوي، ص: 98، تونس 1987.
(2) - "شعر داود الرسموكي"، تحقيق: الراضي اليزيد، ص: 42-43، نشر جمعية إيليغ 1992.

يحيى الولاتي ومحمد بابه الصحراوي والشيخ سيديا ومحمد سالم العلوي الصحراوي ومحمد الإمام بن الشيخ ماء العينين وماء العينين بن العتيق والمحفوظ الحضرمي وسيدي محمد بن عبد العزيز(1). وقد استقر هؤلاء الأدباء بإلغ مددا طويلة حتى صاروا من أهل ذلك البسيط، وكذلك اعتبرهم الإلغيون فأشركوهم في أفراحهم وأتراحهم. وقد أعجب الأدباء الصحراويون بدورهم بالإلغيين وباهتمامهم بالأدب وبإجادتهم لفنونه، من ذلك تفضيل الشيخ أحمد الهيبة بن الشيخ ماء العينين الأستاذ الأديب علي بن عبد الله الإلغي عن كل معاصريه في الكتابة النثرية، وذلك بقوله: «.. إن الأستاذ الإلغي في النثر أبرع ولا يشق له فيه غبار، وليس دون وادي أم الربيع إلى شنقيط من يوازيه في الترسل»(2).

1- أسباب اتصال الصحراويين بالإلغيين:

لاتصال الصحراويين بالإلغيين وتوطد أسباب المحبة والصداقة فيما بينهم عدة أسباب يمكن إجمالها فيما يلي:

- قرب المدرسة الإلغية من الصحراء، فهي تقع جنوب الأطلس الصغير في منطقة مطلة عليها تبعد حوالي 100 كلم شمال يمي أوكادير (فم الحصن)، من ثم كان القرب مساعدا على الاتصال.

- اشتهار المدرسة الإلغية رغم كونها من المدارس المتأخرة في التأسيس، إذ بنيت سنة 1297هـ، لكنها بلغت شأوا كبيرا بجد مؤسسها الفقيه الأديب الأستاذ محمد بن عبد الله الإلغي، ثم خلفه من بعده أخوه علي، وخرّجت عشرات الطلبة الذين انتشروا في سوس والصحراء، بل في مناطق المغرب، ناشرين ذكرها، ومنوهين بها، مما شوق علماء هذه المناطق إلى زيارتها ولقاء أساتذتها.

- اشتهار المدرسة الإلغية بنزعتها الأدبية التي أسست عليها من أول يوم، فكانت دراسة الآداب ومطالعة كتبه وعقد ندوات لتداوله وتشجيع الإبداع عبر المراسلات والمساجلات من عادات الإلغيين الراسخة، وقد استرعى ذلك انتباه الصحراويين الذين كانوا مغرمين بهذا النهج ميّالين إلى أهله بميلهم إلى الأدب سجيّة، قال الشيخ محمد الإمام في كتابه: "الجأش الربيط": «وأما فنون الآداب في سائر أنحائها والأشعار والمحاضرات فهي جبلّة في كثير منهم، لا يحتاجون فيها كثير معاناة، فهي من باب

---

(1) - "المعسول"، المختار السوسي: 26/3 وما بعدها، و284/4 وما بعدها.

(2) - المرجع نفسه: 349/1.

السجايا والغرائز»[1]. وهكذا كان لقاء الصحراويين بالإلغيين واتصالهم بهم لقاء الأديب بقرينه والصديق بخِلّه.

– مشاركة الإلغيين وخاصة أساتذة المدرسة في الحركة الجهادية للشيخ أحمد الهيبة، ومساندتهم لها بالنضال العسكري وبالمناصرة بلسان الأدب في إطار ما واكب ذلك الجهاد من حركة أدبية نشيطة، كانت مناسبة لبروز أدباء المدرسة الإلغية: «ففجرت قرائحهم، وشحذت أذهانهم، وألهمتهم قصائد شعرية جيّدة»[2]. فكانت هذه الحركة الجهادية مناسبة أدبية لفت فيها أدباء المدرسة الإلغية وتلاميذها أنظار الصحراويين إلى أدبهم وإبداعاتهم. وممن شارك في هذه الحركة من تلاميذ المدرسة الإلغية نذكر الشاعر الطاهر الإفراني الذي كان: «... بلبل هذه الحركة الصّداح، فقد تغنى بمجد الأسرة المعينية، وأشاد بالهيبة وخليفته من بعد، ووشّح صدريهما بأوسمته الشعرية الرائدة، وخلّد مآثر هذه الأسرة بقصائده الطّنانة»[3]. ثم محمد التونلي التملي ومحمد بن علي الإلغي وأحمد أبناو الإيغشاني وأحمد بن سعيد الإكماري والفقيه الأستاذ علي بن عبد الله الإلغي. وقد سجّل إبداعات كل هؤلاء الشعراء الأديب ابن العتيق في كتاب له بعنوان: "بحور البدائع المحتوية على درر الأشعار المصطفوية"[4].

2– الأدباء الصحراويون النازلون بالمدرسة الإلغية:

نزل بإلغ، كما أشرنا من قبل، عدد من الأدباء الصحراويين مددا متفاوتة، استضافهم فيها الإلغيون مكرمين وفادتهم، ومن هؤلاء الصحراويين:

– العلامة محمد يحيى الولاتي (1260–1330هـ): ينتسب إلى قبيلة ولاتة في الحوض جنوب شنقيط، أخذ عن علماء بلده، ثم زاول التجارة والتدريس، وعند ارتحاله للحج في شهر صفر 1312هـ مر بإلغ، فاستضافه الإلغيون مدة خمسة عشر يوما، واستغلوا مقامه لأخذ البيان عنه، قال عن ذلك في "رحلته": «... فآوانا الليل إلى بيت سيدي علي، ففرح بنا ورحّب، وأنزلنا في مكان وطيء طيب، فأقمنا عنده ست عشرة ليلة، فوجدناه يدرس علم المعاني والبيان لبعض طلبته وهو لا يحسنهما، فأصلحنا له بعض ما اختل في نصاب الدرس الذي يفسر لطلبته. فأقبل إلينا، وصار يتعلم هو وطلبته

(1) – "الجأش الربيط"، الشيخ محمد الإمام، ص: 40، مطبوعات دار العلم، 1957.
(2) – "شعر داود الرسموكي"، ص: 43.
(3) – المرجع نفسه، ص: 44.
(4) – "خلال جزولة"، المختار السوسي: 187/2.

منا علم المعاني، فتعلموا منا ما أمكنهم تعلمه في المدة المذكورة»[1].

– الشيخ سيديا الديماني الصحراوي (1295–1373هـ): من بني ديمان القبيلة التي انتشر فيها العلم، درس بين أهله ثم على الشيخ ماء العينين في السمارة، وبقي ملازما له، ثم صحبه في هجرته إلى سوس حيث تنقل بين تزنيت وأيت رخا وإلغ وتالعينت بأيت جرار، وقد استقر بإلغ بضع سنوات في ضيافة علي بن عبد الله الإلغي. ولسعة علمه وعمق معرفته اللغوية كان الإلغيون يستعينون به في درس المسائل العويصة[2].

– محمد بابه الشنكيطي: مريد الشيخ ماء العينين، وناسخ كتبه أديب أريحي وشاعر مفلق، استقر بإلغ عند الأستاذ علي بن عبد الله الإلغي مشاركا في الندوات الأدبية، قال عنه العلامة السوسي: «كان للمترجم ذكاء وقاد، وقريحة أدبية علمية، فكان يشارك في كل ما يعن في المجالس الإلغية من البحوث. فكان مما يشارك فيه إرسال القوافي..»[3].

وقال عنه محمد الإمام بعدما وصف حسن خطه وحقه للقرآن الكريم حفظا ورسما وحسن أداء: «... وهو فوق ذلك شاعر مفلق، حسن الأخلاق، رقيق الحاشية، لذيذ المفاكهة، عزوف عن سفاسف الأمور، مهذب الطباع. يتوقد ذكاء، كرس حياته على علم يفيده أو يستفيده، مع انقباض عن سوى ذلك. لا يطيب له المقام في كثير من الأوقات إلا في إلغ لما رأى في أهله من الدين المتين والفضل، ولهم به حفاوة وإعجاب كبير»[4].

– محمد سالم الصحراوي (1322–1364هـ): من قبيلة إداوعلي نزل أبوه على الشيخ ماء العينين وصحبه، وهناك نشأ ودرس على يد محمد بابه والشيخ النعمة وعن غيرهم من علماء الصحراء كما درس اللغة والأدب شأن الصحراويين. ثم لازم الشيخ النعمة حتى وفاته فعاد إلى الصحراء ثم رجع إلى سوس، وسكن بإلغ ضيفا على الفقيه المدرس المدني بن علي الإلغي: «... يقاسمه ما تيسر، مع ضيق ذات اليد... نحو ثلاث سنوات»[5]. كان أديبا مفوها، قال عنه العلامة السوسي: «هذا شاعر فطري مفوه

---

(1) – "الرحلة الحجازية"، محمد يحيى الولاتي ص: 31–32، تخريج وتعليق: د. محمد حجي، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط، الطبعة الأولى.
(2) – "المعسول": 26/3.
(3) – المرجع نفسه: 29/3.
(4) – نفسه: 29/3.
(5) – نفسه: 36/3.

عبقري، يعرف كيف يسبك وكيف يصوغ، ولم يلفت نظري مما يقوله الصحراويون النازلون بسوس بعد الفحلين الفذين محمد الإمام وابن العتيق إلا أقوال المترجم»[1].

- محمد الإمام بن الشيخ ماء العينين (1311-1389هـ): درس على الشيخ الحضرمي والأمجد الأبياري ومحمد البيضاوي وعن الأديب محمد بابه وعلى والده الشيخ، برز في الأدب حتى قال فيه السوسي: «شاعر مفوه، لا أقدم عليه وعلى ابن العتيق.. أحدا من أهلهما في الفصاحة»[2]. كان يفد مرة بعد مرة على إلغ في وفد من الصحراويين ينزلون على الأستاذ علي بن عبد الله الإلغي، فيستقبلهم بالقصائد الرائقة مرحبا، ويجيبونه على العادة الجارية في مقابلة القرى الأدبي بأفضل منه.

- ماء العينين بن العتيق (1310-1376هـ): درس على أستاذه زيني وعلي محمادو بن سيدي وعن خاليه الشيخين الهيبة والنعمة، وأنهى دراسته على جده الشيخ ماء العينين، فصدر عنه عالما محصلا أديبا متفوقا، وقد رأينا قول العلامة السوسي فيه حين جعله قرين خاله محمد الإمام، كان يفد على إلغ زائرا رفقة خاله المذكور، فيشارك في الندوات الأدبية الإلغية[3].

- محمد بن عبد العزيز (1290-1370هـ): درس على الشيخ ماء العينين ولم يأخذ عن سواه، ولزم أبناءه من بعده، فكان كاتبا للشيخ الهيبة وقاضيا في حضرته ثم مع أخيه الشيخ مربيه ربه، اشتهر بتقواه وورعه، كان يزور إلغ أحيانا ضمن الوفد الصحراوي[4].

- المحفوظ بن الحضرمي: سبط الشيخ ماء العينين، كان ولوعا بالأدبيات حفظا وجمعا لآثار أهله منها، وكان يفد على إلغ مع وفد الصحراويين[5].

3- مظاهر التواصل الأدبي بين الإلغيين والصحراويين:

رأينا أن الصحراويين يعشقون الآداب وأنها فيهم جبلّة، وذكرنا شغف الإلغيين بالآداب وتشبعهم بالأريحية، فكان طبيعيا أن تنفق سوق الآداب عند لقائهم، وتروج الأشعار والرسائل فيما بينهم، وقد برز ذلك في عدة مظاهر هي:

- المظهر الأول: الوفد الأدبي:

ازدهرت المدرسة الإلغية فخرّجت التلاميذ النابغين الذين انتشروا في سوس،

(1) - "المعسول": 36/3.
(2) - "المعسول": 284/4.
(3) - المرجع نفسه: 294/4.
(4) - المرجع نفسه: 299/4.
(5) - نفسه: 299/4.

وجعلوا من المدارس التي أقاموا بها للتدريس حدائق أدبية غناء انتشر عبيرها في المغرب كله، و لم ينقطع اتصال التلاميذ بأساتذتهم، بل كانوا يزورونهم مرة بعد مرة، واتخذت هذه الزيارات طابعا أدبيا صرفا؛ حيث كان الوافدون أفرادا أو جماعات ينظمون قصائد في مدح شيوخهم؛ لأنهم كانوا يعلمون أن أفضل ما يقدّم للأديب هو الإبداع الأدبي، وكان الشيوخ المضيفون يردون على تلك القصائد بما يماثلها وزنا وقافية، في مساجلات متتالية ترفع للأدب رايته، وتنفق بها أسواقه.

وهكذا نشأ تقليد الوفود الأدبية والقِرى الأدبي، و لم تقتصر هذه العادة في الاحتفاء بالوافدين على تلاميذ المدرسة، بل تجاوزتهم إلى كل وافد أديب يعرف للأدب قيمته، ومن هذه الوفود التي كانت تتردد على إلغ نذكر الوفد الإفراني ورئيسه الشاعر الفحل الطاهر الإفراني، وكان هذا الوفد يضم أدباء مدرسة تانكرت ووادي إفران، كما كان للأدباء الصحراويين وفدهم الذي كان يرأسه الشيخ محمد الإمام ويضم الأدباء: ماء العينين بن العتيق والمحفوظ بن الحضرمي وغيرهم، وقد وفد الأولان مرة على إلغ فقال الفقيه الأديب عبد الله بن محمد الإلغي يستقبلهما[1]:

أهلا أسيدنا الإمام والعلم * ما العين من بهما قد ضاعت الظلم
أقبل والله لي السعد المبين بطلـ * ـعة محييكما وزالت الغمم
فمرحبا بكما خير الورى كرما * فأنتما خير من وفّت لهم ذمم

فأجابه ابن العتيق:

جزيت بالخير يا من دأبه الكرم * لا يعتريك ونى عنه ولا سأم
فمن ينخ بك عبد الله راحلة * عن قلبه ينزح الإيحاش والغمم
دامت بنا وبكم موصولة رحم * وإنما رحم الآداب ذي الرحم

وأجابه كذلك محمد الإمام مغيرا الوزن والقافية:

فبوركت عبد الله نجل محمد * كريم السجايا طيب الأصل ماجده
تلقيتنا بشرا فتلكم فيكم * أيا آل عبد الله الزم قاعده
أبوك الذي عمّت مزاياه في الورى * ولا عجب أن شابه النجل والده

– المظهر الثاني: الندوات الأدبية:

كان من عادة الأدباء الإلغيين عقد ندوات أدبية لتداول ما جدّ من إبداعات

---

(1) – "المعسول": 286/4.

خاصة إذا كان هناك ما يستدعي ذلك كميلاد مولود أو زواج أو أوبة من سفر أو حج... أو غير ذلك، وكان الأدباء الصحراويون يحضرون هذه المجالس، ويشاركون فيها، فتمتزج أقوال أدباء الصحراء بأدباء سوس في انسجام وتآلف حتى سماها بعض المؤرخين ندوة الأدباء العرب والعجم[1]، وكانت هذه الندوات مجالا لعدة أنشطة منها:

• **المباحثات اللغوية**: كان الإلغيون مفتونين باللغة وبالبحث فيها وضبط معانيها[2]، فكانت مجالسهم لا تخلو من بحث في كتب اللغة، وكان الصحراويون يساهمون بما لديهم من معرفة لغوية عميقة، ومن هؤلاء الشيخ سيديا الديماني، ففي بعض المجالس جرى ذكر كلمة لغوية وحار المنتدون فيها، «... فقال الأستاذ علي بن عبد الله الإلغي: أيفتى ومالك في المدينة؟! أيمكن لأحد أن يقول وهنا الشيخ سيديا الذي إليه الأعنة؟! فكل الصيد في جوف الفرا». كما جرى مرة أخرى ذكر كلمة إلغ، هل تصرف؟ أم تمنع من الصرف؟ فأتى سيديا ببيتي السيوطي في "الفريدة":

وابن البلاد والقبيل والكلم * على الذي تقصده كما رسم

ومقصوده أن لك صرفه وعدم صرفه، وهكذا يكون علمه معه رحمه الله»[3].

• **المساجلات الشعرية**: تعتبر الندوات الأدبية مناسبة للمساجلات وإثارة القرائح لتعاطي الأشعار وحث الحاضرين على المشاركة في ذلك الجو الأريحي الإخواني، وقد كان الصحراويون النازلون بإلغ يشاركون بارتجال القصائد والمقطعات في مخاطبة الإلغيين وفي الرد على الوفود النازلة هناك.

ومن المساجلات التي شاركوا فيها تلك التي بدأها الشاعر محمد بن الطاهر الإفراني، وقد وفد على أستاذه علي بن عبد الله الإلغي بقصيدة رائعة مطلعها[4]:

سيري مطية واقطعي البيداء * فعسى يبلغك المسير رجاء

فأجابه الأستاذ الإلغي بقصيدة مطلعها:

هذي بروق في الحمى تتراءى * أم ثغر مَهْدَدٍ في البراقع ضاءا

---

(1) - "المعسول": 286/4.

(2) - بل هذا ديدن كل المغاربة، ومما يحكى من طرائف هذا الشغف باللغة والحرص على صحتها أنه عندما انتهى الدكتور طه حسين في بعض زياراته للمغرب من إلقاء محاضرة، سئل بعض العلماء المغاربة ممن كان حاضرا عن رأيه فيما قال، فأجاب وهو يبدي أصابعه المعقودة: لقد لحن سبع عشرة مرة، وهاهي ذي أصابعي لازالت معقودة على أخطائه.

(3) - "المعسول": 27/3.

(4) - "المعسول": 30/3.

فقال الشاعر الأديب محمد بابه وقد هزّته الأريحية:

عهود الصبا ذكّـرت يا هبّة الصّبا * فلا حرج إن حنّ ذو الشوق أو صبا
ويا نسمات القرب هل مـن وسيلة * إلى معهـد الأحباب في زمـن الصبـا
ويا نسمة الأسـحار هـل لـك لـمة * بقلـب مشـوق بـالغرام تلهبـا
ويا سلسبيل الوصـل هـل لحشاشتي * شفاء مـن أشـفاء إلى القـبر قربـا
ويـا بـارق الـبرق المموج معارضـا * شتيت لـمى ألـمى المؤشر أشـنبا
كفاك فقد حرّكت ما كـان سـاكنا * وحاكيت لكـن كـان أضـوا وأعذبا
رعـى الله أيـام الصبـا وصفاءهـا * مـن أكـدار واش أو رقيـب ترقبـا
تقلبت الأحـوال من طول عهدهـا * ولا عجـب فـالدهر مـا انفـك قلبـا
لحى الله دهرا راعني بفراق مـن * أود وأبلـي بالوشـاة وعذبـا
وصـيّر قلـبي لا يفـارق محنـق * رقيـب تبـدى أو حبيـب تغيّبـا
فيا دهر مهلا قد تسنمت نفحة * بوفـد لهـا لابـد أن أتأهبـا
بوفـد حبانـا مـا حبـا بقدومـه * ألا مرحبا أهـلا وسـهلا ومرحبـا

ومن هذه المساجلات تلك التي خاطب بها محمد سالم الصحراوي أحمد بن الشيخ علي الدرقاوي يطلب رفده، فأجابه نيابة عنه الطاهر بن علي الإلغي مداعبا، قـال الصحراوي في مطلعها[1]:

مـني إليـك مـع المدائـح أحمـد * أسمـى سـلام لا يـزال يجـدد

فأجابه الطاهر بن علي الإلغي يداعبه متجاهلا قصده:

يا مـن يطيـب بـه الزمـان الأنكـد * ويطيـب منـه مصـدر والمـورد
أنـس الحزيـن ونجعـة للمعتفـي * ذاك الإمـام ابـن الإمـام الأمجـد
منا علي صـوغ غـدوت بـدره * ما الشعر يصيبنـا سـلام يحمـد
هـذا وإن شـعركم في قلبنـا * معنى يكـاد مـن اللطافـة يعقـد
ما فيه من عيـب وحقـك غير مـا * يبـدو لحضرتكـم إذا مـا ينشـد
لم نـدر مـا قصـد الأديب بشعره * أمـن النـوال بـه يقـام ويقعـد؟
إن كان ذلك مثل ذاك فـلا يكـن * طـول الزمـان مـن المياه توقـد
أو كـان مدحـا خالصـا فجوابـه * مـا قـال سـيدنا النـبي محمـد

(1) - انظر المساجلة كاملة في "منزعات الكؤوس في آثار طائفة من أدباء سوس"، مخطوط لدي نسخة منه، ص: 351-352، وفي "المعسول": 36/3.

أحثوا التراب بأوجه المداح ذا * ك جزاء مثلك يا فصيح محمد
أو قلت إني ما أقول لغير وجه * الله والمجد الصميم يشيّد
فجزيت عما قلت من رب الورى * خير الجزاء به تسود وتسعد
منا عليك مع الجواب تحية * كالروض يشذى مع الحمام يغرد
لا تأخذن الشعر في إيطائه * فنظير شعرك في الورى لا يوجد
أنى يرى أبناء ممس في القوافي * في مثل أبناء لعبنة مجّد

وقال العلامة محمد المختار السوسي عن تلك المداعبة السجالية: «انتهت المداعبة التي فاكه بها الإلغيان ذاك الأديب الشنكيطي اللطيف الفكه، فإن كانت الهنهة في هذا الشعر زيادة على الإيطاء والإقواء قذاة في عين القارئ، فذلك كله مقصود عمدا، وإلا فلا يُقَعْقَعُ لأديب إلغي في ذلك بشنآن، والصحراويون يقولون في السوسيين ومن إليهم أبناء ممس من أعلام النسوة عندهم كعبنة عند العرب»[1].

– **المظهر الثالث: المراسلات:**

لم يكن التواصل الأدبي متحققا بين الصحراويين والإلغيين بالتلاقي في إلغ أو في حضرة الشيخ أحمد الهيبة، بل كان مستمرا بالمراسلات الأدبية التي كانت تنتقل بين إلغ وتزنيت أو أيت ارخا أو كردوس، وهي مراسلات كثيرة يغلب عليها الطابع الأدبي البياني، حيث الاحتفاء بالسجع والجناس والطباق، والترصيع بالأبيات المحكمة، ونقل القصائد الطنانة، ومنها رسالة من محمد بابه إلى الأستاذ علي بن عبد الله الإلغي يعتذر فيها عن تأخره في القدوم إلى إلغ قال فيها:

«... حدث حادث، وهجمت إحدى الكوارث، فتأخرت عن الموعد، إلى أن يمر عيد المولد، ثم أفي بقدومي عاجلا، راكبا وإن لم يأتني منكم مركوب آتيكم راجلا، وسيدنا الإمام يسلم عليكم وهو يشتاق إليكم، وطالما أفاض عنكم أيها الإلغيون من دعواته، لتبقوا دائما مفخرا من مفاخر ندواته، وقد أنشدني يوما وقد اعتذرت له عن تخلفي عنه بلزومكم وهو يقصد أحوالكم وكيف يكون الضيف عندكم:

نزلت على آل المهلب شاتيا * غريبا عن الأوطان في زمن المحل
فما زال بي إحسانهم وافتقادهم * وبرهم حتى حسبتهم أهلي»[2]

---

(1) – "مترعات الكؤوس في آثار طائفة من أدباء سوس"، ص: 352، (مخطوط).
(2) – "المعسول": 31/3.

– المظهر الرابع: تقدير الصحراويين للإلغيين:

تأثر أدباء الصحراء بما لقوه من الإلغيين من حسن ضيافة وكرم غامر وبر ومن قرى أدبي ممتع، فعبروا عن تقديرهم لهذا الخلق ولأصحابه، ومن أوائلهم محمد يحيى الولاتي الذي قال[1]:

يا أهل تحت الحصن أنتم فوقه * معنى وحصنكم بعلم يشرف
ما ضر من بالفوق معنى وصفه * إن كان في حسن بتحت يوصف
فارقوا بجد واجتهاد للعلا * ترقوا معالي حدها لا يوصف

ثم محمد بابه، الذي قال[2]:

بنو إلغ أهل العلم والمجد والفضل * يصدق فيهم كل ما مسهب يملي
علوم وآداب وجود وخلة * صفت كرحيق كأس أو شهدة النحل
ودين ودنيا والشهامة كلما * يشار إذا حد النضال إلى النصل
وجود فمن يلمم بهم ير أنه * وإن لم يكن من أهلهم أحد الأهل
نسيم الصبا سلم على إلغ من فتى * يرى كل إلغي له مخلص الخل

ثم ماء العينين بن العتيق الذي قال[3]:

يا آل تحت الحصن إن يقع النوى * فبحفظ ودكم الفؤاد زعيم
لازلتم مأتى الوفود وإن دهت * سنة وناب من الخطوب عظيم
إنا بلوناكم فألفيناكم * ما منكم في النائبات مليم
أنتم مناخ بني السبيل وحيكم * أبدا بقارعة الطريق مقيم
(إن امرءا جعل الطريق لبابه * طنبا وأدى حقه لكريم)

إلى غير ذلك من القصائد والمقطعات الدالة على ما بين الفريقين من المحبة الثابتة المتأصلة المبنية على إجلال العلوم وعشق الآداب مما اشتهر وانتشر في سوس ووصل صداه إلى آذان محبي الآداب في كل مكان، وقد سجّل أثر هذا الاتصال بين أدباء إلغ

(1) – "المعسول": 64/1.
(2) – المرجع نفسه: 66/1.
(3) – المرجع نفسه: 65/1، والبيت الأخير بيت قديم مضمنا بعد تعديل، وأصله:
إن امرءا جعل الطريق لبابه * طنبا وأنكر حقه للئيم

والصحراء الشاعر الفذ الحسن البونعماني بقوله[1]:

حييت إلغ فما أحلك مجمعا * لوفود شعر أين من يستكف
علماء صحراء الفسيحة جددوا * فيها عكاظا للنهى تستوقف
أحيا الولاتي في الموات حدائقا * غلبا بفكر في المعارف تقطف
وابن العتيق مطرب بقريضه * وعليه أعلام البيان ترفرف
وعليهما نبغاء إلغ أغدقوا * كرما وآدابا وما يستظرف
هم أفعموا من كل فذ أكؤسا * للوافدين وبالنوادر أتحفوا
صف بالمفاخر إلغ فهي جديرة * وأنا بإلغ في المفاخر أعرف

هذه، إذًا، بعض مظاهر التواصل الأدبي بين الصحراويين والإلغيين تعبر عن عمق الترابط الثقافي والفكري بين سوس والصحراء، وهذا التواصل في حاجة إلى دراسات أكثر عمقا بالاستناد إلى ما يجد من وثائق ومخطوطات تبرزها الدراسات المتعلقة بإسهامات هذين الإقليمين في النهضة الثقافية والفكرية التي شهدها المغرب خلال تاريخه الحافل.

(1) - "ديوان الحسن البونعماني"، جمع وتحقيق ودراسة: الحسين آفا، ص: 475، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط 1996.

العالم الشيخ محمد الإمام بن الشيخ ماء العينين
وعن يمينه محمد بن الشيخ مربيه ربه، وعن يساره الفقيد

المساجلات الشعرية بين
شعراء سوس وشعراء الصحراء المغربية

ماء العينين النعمة علي (*)

****

عرفت الصحراء المغربية نهضة ثقافية متميزة، عمت سائر المجالات الأدبية والعلمية، وساهمت في إغناء حركة التأليف والبحث. فنبغ فيها علماء وأدباء كبار، خلفوا أعمالا أدبية وعلمية غزيرة، استطاعت أن تنهض بالتراث الأدبي، وأن تخرجه من الانغلاق والجمود الذي كان يعيشه.

ويعتبر الشعر أبرز وجوه هذه النهضة، فقد ازدهر ازدهارا كبيرا في الصحراء، وظهر سامقا على الألوان المعرفية والفكرية الأخرى، ولا نكاد نجد قطرا من أقطار البلاد العربية برز فيه من الشعراء الفحول، مثل ما نجده في الصحراء المغربية.

وتتجلى معالم هذا الازدهار، فيما خلفه أدباء هذه المنطقة من ثروة شعرية غزيرة، وتركوه من دواوين ضخمة كبيرة، مما يدعو إلى القول بأن الحركة الشعرية الصحراوية، لم تكن متخلفة عما شهدته باقي المراكز الثقافية في شمال المغرب، من رقي فكري وأدبي، ولكنها توازي في تراكمها الكمي، وتعبيرها عن واقع المرحلة التاريخية التي عاشتها، ما عرفته سائر الأقاليم المغربية، من نشاط شعري، إن لم نقل تفوقها، كما وكيفا.

ولا غرو فيما ذهب إليه العلامة الشنقيطي من أن الصحراء المغربية «يسكنها الشعراء وعشاق الشعر» [1]. أو ما قاله المختار السوسي من أن قول الشعر كان «أسهل على الصحراويين من شرب الماء» [2]. وهذا ما يؤكده الدكتور عباس الجراري قائلا: «الصحراء بطبيعتها شعر، وأهل الصحراء يكادون أن يكونوا كلهم شعراء، بل إنهم يقولون الشعر كما يتنفسون الهواء» [3].

(*) - أستاذ باحث - تزنيت.

(1) - "الوسيط في تراجم أدباء شنقيط"، محمد الأمين الشنقيطي، ص: 4.

(2) - "خلال جزولة"، المختار السوسي: 20/1.

(3) - "شعر الصحراء"، عباس الجراري، مجلة دعوة الحق، العدد: 273، السنة: 30، يناير - مارس 1989، ص: 113.

ولم يكن شعر الصحراء شعرا منعزلا منغلقا يتحرك في بيئته، ولكنه كان وما يزال وسيلة تواصل بين الشمال والجنوب: «يمد أطرافه إلى الوطن ليندمج فيه، وينصهر داخل بوتقته، في عملية أخذ وعطاء مستمرين» [1]. سيما وأن التواصل الثقافي والعلمي والأدبي ظل قائما غير منقطع، يتجلى في إقبال علماء الصحراء على أقاليم الشمال، يأخذون من علمائها وأدبائها، ويساجلونهم، كما أن كثيرا من علماء هذه الأقاليم، كانوا يرحلون إلى الصحراء ليأخذوا عن علمائها وأدبائها[2].

وقد حظيت منطقة سوس بنصيب وافر وكبير من هذا التبادل الثقافي والأدبي لعوامل متعددة، أهمها:

أولا: العلاقة القديمة والعميقة بين سوس والصحراء، منذ هجرة عبد الله بن ياسين التمنارتي من أغلو إليها لنشر العلم والدين.

ثانيا: سوس كانت وما تزال محطة رئيسية لعلماء الصحراء وأدبائها، يتوقفون بها وهم في طريقهم إلى أقاليم الشمال، أو لأداء مناسك الحج، فيلتقون بعلمائها وأدبائها، مما أفضى بهم إلى محاورات ومساجلات أدبية وفكرية.

ثالثا: انتقال الشيخ ماء العينين إلى مدينة تزنيت واستقراره بها كان له دور كبير في نهضة الأدب بالمنطقة؛ فقد رافقته جماعة من الشعراء والأدباء الصحراويين، الذين تجاوب معهم أدباء سوس وشعراؤها، مما جعل الصلات الأدبية تتقوى وتشتد، دون أن تعرف انقطاعا. فعرفت الساحة الأدبية تعاونا كبيرا بين الأدباء السوسيين والصحراويين عن طريق المساجلات الشعرية، فانثالت القصائد والمقطوعات، تمجد الشعراء والأدباء، وتثني على براعتهم الأدبية، وملكتهم الشعرية، وتنوه بمكانتهم العلمية، مما ساهم في ازدهار الحركة الشعرية الأدبية السوسية والصحراوية.

والمساجلات تشمل مجموع الأشعار التي كان الشاعر يوجهها إلى غيره، فيجيبه على نفس البحر والروي، أو يتداولها في مجالسه ومسامراته، كوصف الشاي، وبث الأشواق للإخوان والأحباب، وغيرها من المواضيع، التي تعبر عن امتلاكه لناصية الشعر وقدرته على البديهة والارتجال.

---

(1) - "شعر الصحراء"، عباس الجراري، مجلة دعوة الحق، العدد: 273، السنة: 30، يناير - مارس 1989، ص: 115.

(2) - "الشعر العربي في الصحراء المغربية: جذوره التاريخية - ظواهره وقضاياه"، أحمد مفدي، دكتوراه الدولة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط: 3/568، السنة 1990.

وقد ساعدت الفترة التاريخية الممتدة ما بين 1910 و1960 التي عاش فيها شعراء الصحراء وسوس، على ازدهار هذا اللون من الشعر «وهو الذي تدفع إليه الظروف أكثر من غيره، والملاحظ أن هذا الشعر يحظى بعناية المغاربة منذ قرون»[1].

كما أن العلاقات الاجتماعية والثقافية التي تحيط بهم، ساهمت في توجيههم هذه الوجهة الأدبية؛ فقد وجدوا أنفسهم أمام ثلة من الأدباء والعلماء والشعراء، الذين يشيدون بأعمالهم وفضائلهم، وينوهون بأخلاقهم وآدابهم، ويعترفون بفضلهم ومكارمهم، ويزورونهم من حين لآخر، يتبادلون معهم ملح الأشعار ونوادر الأخبار، فكانوا يكرمونهم، ويحسنون إليهم، ويشيدون بهم وبخصالهم وأفكارهم ومكانتهم الأدبية الرفيعة، ويتخذون الشعر وسيلة لذلك، فيسجلون فيه انطباعهم عنهم، وشعورهم تجاههم، وما يحسون به من انشراح واطمئنان وحبور بينهم.

بالإضافة إلى هذا، فإن «انعدام الجمهور المثقف الذي يتقن العربية الفصيحة، ويفهم الشعر ويتذوقه، جعل الشعراء يميلون إلى الأغراض التي تجعل شعرهم موجها إلى من يفهمه ويقدره»[2].

ومن بين هذه الأغراض شعر المساجلات الذي «لا يوجه إلى الجمهور، بقدر ما يوجه إلى الأديب أو الفقيه المخاطب به، فالعمنية لا يبعد أن تكون احتيالا من جانب الأدباء، الذين أعوزهم الجمهور المثقف، فمالوا إلى الإخوانيات والمساجلات التي ينتجها الأدباء، في محاولة لتحقيق اكتفاء ذاتي من نوع جديد، ولعل ذلك هو سر كثرة الإخوانيات كثرة مفرطة في الأدب المغربي»[3].

وأهم ما تنطوي عليه هذه المساجلات هو:

1- إعجاب الشعراء بالشعر الذي يجيبون عنه، وإشادتهم بالفكر الذي نظمه وأبدعه.

2- التنويه بعلم وأدب وأخلاق ومكانة المخاطب.

3- توجيه السلام إلى المخاطب وإرشاده ونصحه والدعاء له بالرفعة والسمو والعلو.

وهذا ما سيظهر لنا من خلال النماذج الآتية:

---

(1) - "شعر داود الرسموكي"، اليزيد الراضي، ص: 133؛ منشورات جمعية إيليغ للتنمية والتعاون، السنة 1992.

(2) - المرجع نفسه: 133.

(3) - نفسه: 133.

- قال عبد الله بن محمد الإلغي يخاطب ماء العينين بن العتيق لما وفد على إلغ هو وأصحابه[1]:

أما العين بل يا نور إنسانها الذي * جلوت بـه السـراء لائحـة النقـش
أنخ مرحبا أهلا وصحبك من بهـم * أتتنـا المنـى تختـال مسـرعة تمشـى
وقـروا عيونـا إنهـا دار سـيد * يلاقـى الـنزيل بالمسـرة والهـش
فأبقـاه مـن أرقـاه حصـن سـعادة * يقينا صروف الدهر ذي المكر والبطش

فأجابه ماء العينين بن العتيق[2]:

أتخنـــا بكـــم لله در أبيكـــم * فبـادرتم بـالرحب والبش والهـش
بـدار مـن اعتـاد القـرى فكأنـه * يضيق بـه ذرعـا فراحتـه تفشـى
وإنـى أرى سيم السيادة والعـلا * أيـا آل عبـد الله داركـم تغشـى

فأجابه أيضا عبد الله[3]:

عروس غدت فوق الأرائك والعرش * تتيـه دلالا في غلائلهـا الرقـش
أم الشمس في برج السماء تبرجت * أشعتها وسـط الهـواء وفي الفـرش
أم الزهـر في روض الرياحين جـاده * لـدى سحر سح الغمامـة بـالرش
نعـم إنهـا ألفـاظ در تـروق إذ * ترق وصافي الود من ضمنها تفشـى
إمام الهـدى مـا العين سيدنا الـذي * أتتـه حسـان المجـد سـافرة تمشـى
عليكـم سـلام الله مـا جـن غاسـق * على عاشق فجـن مذكـرا ينشـى

- وقال أيضا يرحب بماء العينين بن العتيق والشيخ محمد الإمام بـن الشـيخ مـاء العينين[4]:

أهـلا وسـهلا بالإمـام ومـا الــ * ـعينـين مـن ضيفـين قـد وفـدا
ونـــازلين مـــنزل القلـــب في * ضلـوع هـذا العبـد طـول المـدى
بشـــراكما عيـــنى قـــد وردا * ماءكمـــا الزمـــزم عذبـــا ردا
لازلتمـــا ولا أزال أنـــــا * معكمـا علـى بسـاط النـدى

(1) - "المعسول"، المختار السوسي: 184/2، مطبعة فضالة المحمدية، المغرب، السنة 1960.
(2) - المرجع نفسه: 185/2.
(3) - نفسه: 185/2.
(4) - نفسه: 185/2.

فأجابه ماء العينين بن العتيق[1]:

أمن كان لأركان الندى شيدا * واعتاد ما من فضله عودا
وأذهب الوحشة إيناسه * وأبهجت رؤيته المنتدى
وروح السروح وجثمانها * وأحسن المنشأ والمنشدا
ساعدك الدهر لقد سرنا * يوم بلقياك لنا أسعدا
أتحفك الله بنيل المنى * وكف عن نيلك كف العدا

- وقال عبد الله الإلغي يخاطب الشيخ محمد الإمام وماء العينين بن العتيق[2]:

أهلا أسيدنا الإمام والعلم * ما العين من بهما قد ضاءت الظلم
أقبل والله لي السعد المبين بطلـ * ـعة محييكما وزالت الغمم
فمرحبا بكما خير الورى كرما * فأنتما خير من وفت لهم ذمم

فأجابه ماء العينين بن العتيق[3]:

جزيت بالخير يا من دأبه الكرم * لا يعتريت ونى عنه ولا سأم
فمن ينخ بنت عبد الله راحلة * عن قلبه ينزح الإيحاش والغمم
دامت بنا وبكم موصولة رحم * وإنما رحم الآداب ذي الرحم

- وقال الشيخ محمد الإمام وقد خرج عن الروي[4]:

فبوركت عبد الله نجل محمد * كريم السجايا طيب الأصل ماجده
تلقيتنا بشرا فتلكم فيكم * أيا آل عبد الله الزم قاعده
أبوك الذي عمت مزاياه في الورى * ولا عجب إن شابه النجل والده

- وقال أبو الحسن الإلغي يخاطب الشيخ محمد الإمام[5]:

طلعتم طلوع الشمس بعد غمام * فأبرء جرح القلب بعد كلام
حللتم محلا مستطيرا بنزلكم * فأشكر دهري إذ رعي لذمامي

---

(1) - "المعسول": 185/2.
أشير إلى أن الكثير من هذه المساجلات ورد في كتاب "تحلية الطروس" لابن العتيق، مخطوط، ورقة: 150 وما بعدها.
(2) - "المعسول": 286/4.
(3) - نفسه: 286/4.
(4) - نفسه: 286/4. وانظر كذلك: "تحلية الطروس"، ورقة: 168.
(5) - "المعسول": 287/4.

أتاني بخير الفاضلين على جوى * إليهم وشوق ضاق عنه حزامي
فلم يك أحلى من وصال أحاير * محياهم في العين بدر تمام
أنيخوا أنيخوا فالديار دياركم * وهذا العبيد خادم كغلام
عليكم سلام الله ساعة وصلكم * أيا من لقاهم كان كل مرامي

فأجابه الشيخ محمد الإمام[1]:

أزهر نجوم أم بدور تمام * أزهر أكام ذا أصب غمام
أم الدر من بحر الهدى قذفت به * قريحة حبر لا يرام همام
على أنه أبهى من الدر منظرا * ويفعل بالألباب فعل مدام
عليّ المقام اسما على مثل وسمه * كريم الفروع ينتمي لكرام
حوى فضلهم مع فضله ولو أنهم * سواهم لسودته نفس عصام
فكن لأمير العارفين موازرا * فقد قل من يدري حقوق إمام
فلازلت في عين العدو قذى لها * ودمت لجنب الدين خير حسام

- وقال محمد يحيى الولاتي[2]:

يا أهل تحت الحصن أنتم فوقه * معنى وحصنكم بعلم يشرف
ما ضر من بالفوق معنى وصفه * إن كان في حس بتحت يوصف
فارقوا بجد واجتهاد للعلا * ترقوا معالي حدها لا يوصف

- وقال ماء العينين بن العتيق في غير الروي[3]:

يا آل تحت الحصن إن يقع النوى * فبحفظ ودكم الفؤاد زعيم
لازلتم مأتى الوفود وإن دهت * سنة وناب من الخطوب عظيم
إنا بلوناكم فألفيناكم * ما منكم في النائبات مليم
لم تفجروا فطباعكم محمودة * والعرض مما يستذم سليم
أنتم مناخ بني السبيل وحيكم * أبدا بقارعة الطريق مقيم
إن امرأ جعل الطريق لبابه * طنبا وأدى حقه لكريم
فعليكم أسمى التحايا ما شدت * ورق على أيك وهب نسيم

---

(1) - "المعسول": 4/286-287.
(2) - مجموع المرحوم ماء العينين علي مربيه ربه، مخطوط خزانته، الورقة: 10.
(3) - المرجع نفسه، الورقة: 25.

فأجابهما الحسن البونعماني[1]:

لله مـا قـد هـاج ذاك الموقـف * وعيون إلغ من الوداع تكفكف
نظموا دموعهم قصائد وهي في * حسن أجل من العقود وأشرف
كم توجوا قبل الرحيل مجالسـا * ولكم بشعرهم المسامع شنفوا
ذهل المودع والمودع للنوى * فكأنما دارت هناك القرقف
حييت إلغ فما أجنك مجمعا * لوفود شعر أين من يستنكف
علماء صحراء الفسيحة جددوا * فيها عكاظا للنهى تستوقف
أحيا الولاتي في الموات حدائقا * غنبا بفكر في المعارف تقطف
وابن العتيق مطرب بقريضه * وعليه أعلام البيان ترفرف
وعليهما نبغاء إلغ أغدقوا * كرما وآدابا وما يستطرف
هم أفعموا من كل فن أكؤسا * للوافدين وبالنوادر أتحفوا
صف بالمفاخر إلغ فهي جديرة * وأنا بإلغ في المفاخر أعرف

ولم تقتصر هذه المساجلات على منطقة سوس وحدها، بل تعدتها إلى مناطق الشمال، ففي سنة 1938 قام الشيخ مربيه ربه بن الشيخ ماء العينين. برحلة إلى الديار الحجازية لأداء مناسك الحج، وفي طريقه توقف بمدينة تطوان، وقام فيها بنشاط علمي وأدبي وسياسي وديني قبل توجهه إلى الحج وبعد عودته منه. وقد مدحه العديد من الشعراء في هذه المدينة، ذاكرين مَقْدَمَه، ومرحبين به وبجميع وفده، من بينهم الشاعر إبراهيم الإلغي بن الحاج علي الدرقاوي الذي خاطبه بقصيدة طويلة مطلعها[2]:

خطر النسيم مبشرا بالأسعد * ويد الصباح تبل وجه الأنجد

إلى أن قال:

هذي الوفود النازلون برحبنا * لبوا نداء الله دون تردد
يحدوهم الشوق الكمين على النوى * كيما يحجوا بيت عتق سرمد
فلحجهم من غير شك حطة * فهمو أتوه من مكان أبعد

(1) - "ديوان الحسن البونعماني"، تحقيق: الحسين أفا، ص: 475، السنة 1996، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط.

(2) - "مع أدباء الصحراء المغربية"، رضا الله إبراهيم الإلغي، مجلة دعوة الحق، العدد: 5، السنة 19 ماي 1978. وانظر كذلك: "تحلية الطروس" لابن العتيق (مخطوط)، ورقة: 215، وديوان "مركز الإمداد ومصبه فيما قاله أو مدح به الشيخ مربيه ربه"، لماء العينين أبو بكر بن الشيخ مربيه ربه (مخطوط خاص)، ورقة: 61.

إلى أن قال:

هـــذا أمــيرهم مربيـــه ربـــه * أنعم بـه مـن قـدوة للمقتـدي

بصروا بـه علمـا أشـم وشـامخا * إرشاده يهدي الجميع فيهتـدي

علموا مكانته العليـة في الـورى * علمـا وأخلاقـا ورفعـة محتـد

يكفيه فخـرا أنـه الحصـن الـذي * حرس الديانة في الجنوب الأبعد

فالسـوس يعـرف فضلـه ويجلـه * ولـه عليهـم عهـدة المتقلـد

قـد قـاوم الدخـلاء في طغيـانهم * وأذاقهـم شـر الوبـال الأسـود

لا غـرو إن كـرم الهزبـر وإنمـا * أقدامـه طبعـا نجابـة فرهـد

أسلاف هذا الشيخ كـانوا حجة * في الدين والعلم الصحيح المسند

أعظم بهم أعلام قطـر مـا وسعوا * إلا لرفـع الديـن فـوق الفرقـد

فـابن العتيـق الفحـل بـازل قومـه * يرمـي بفكـر كالقسـي مسـدد

أمـا معانيــه فوحـي ملهـم * واللفـظ منـه كلؤلـؤ وزمـرد

إلى أن قال:

الـداء كـل الـداء في تفريقنـا * فمتى نسير إلى الوفـاق المنجـد

لله عهـد نحـن فيـه ووحـدة * والقطـر تحـت أوامـر لموحـد

لا شـيء يصلح حالنـا كتعـارف * وتـزاور وتعـاون وتـودد

فأجابه ماء العينين بن العتيق، وذكر معه الشاعر إدريس الجاي[1] بقوله[2]:

الشـعر في يـد الخليـل بمقـود * يلقى وللنجائي نجي طوع اليـد

---

(1) - كان الشاعر إدريس الجاي قد نظم قصيدة في مدح الشيخ مربيه ربه لما حل بمدينة تطوان، وهذا ما جعل ابن العتيق يذكره في قصيدته مع إبراهيم الإلغي، مطلعها:

نفى عن جفوني النوم بُعد سعاد * وهل بعدها يوما يطيب رقادي

إلى أن قال:

وإن تنزلوا تطوان أعظم بفخرها * ألا طاولي تطوان كل بلادي

فقد حل فيك العلم والفضل والتقى * بمن ربه ربـاه وهـو لـه هـاد

ومن هو للإسلام أكبر ناصر * وللعلم والآداب خير عتاد

- انظر القصيدة كاملة في ديوان: "مركز الإمداد ومصبه، فيما قاله أو مُدح به الشيخ مربيه ربه"، ماء العينين أبو بكر بن الشيخ مربيه ربه، مخطوط خاص، الورقة: 65.

(2) - المرجع نفسه، الورقة: 66. وانظر كذلك: "تحلية الطروس" (مخطوط)، الورقة: 190.

فحـلان فكـر كليهمـا لم ينبعـث * إلا إلى نظـم القريـض الجيـد
في السؤدد اصطحبا اصطحاب الفرقدين * ـن فأدركـا فيـه منـاط الفرقـد
في سـادة مـن تلقـه منهـم تقـل * مـا أبصرت عيني كهـذا السـيد
أهـدى لنـا الندبـان في النـادي ابتـي * فكـر كسـمطي لؤلـؤ وزبرجـد
نفثـا عـن الجفـن الأسـى إذ منهمـا * خطـر النسـيم مبشـرا بالأسـعد

بالإضافة إلى هذه المساجلات الشعرية التي تدخل في باب التعبير الإخواني المتميز، هناك مساجلات أخرى هي عبارة عن أبيات كانوا ينظمونها، ويتبادلونها وهم يشربون الشاي، مما يعبر عن سرعة بديهتهم وارتجالهم. ومن أمثلة ذلك قول الشيخ مربيه ربه بن الشيخ ماء العينين[1]:

نعـم الأتـاي أتـاي القـائد المدنـي *

فقال الطاهر الإفراني:

* موافـق شـهوات الـروح والبـدن

وقال الشيخ مربيه ربه:

يـا حبـذا صفـو كاسـات لطافتهـا * أرق مـن هبـة الأسـحار في وهـن

وقال الشيخ عبد الله الإلغي:

مازلت أطـرب والكاسـات دائـرة * حتـى كـأنّي بـالأفراح في عـدن

وقال أيضا الشيخ مربيه ربه[2]:

يطيب الشرب من طيـب الأنيـس *

فقال الطاهر الإفراني:

* وتطفـى في الحشـا نـار الرسـيس

وقال الشيخ مربيه ربه:

وتنبسـط القلـوب بذكـر حـب * مليـح الثغـر كـالدر النفيـس

---

(1) - مجموع محمد بن الطاهر الإفراني، مخطوط، الورقة: 20، خزانة الأستاذ المحترم أحمد أبو القاسم، تزنيت.
(2) - نفسه، الورقة: 26.
وردت هذه المساجلات كذلك في كتاب "العقد الثمين في المفيد من السجال الشعري والنثري الرصين" للشيخ مربيه ربه، مخطوط خاص، الورقة: 200 وما بعدها.

وقال الطاهر الإفراني:

به تجلى هموم القلب مهما * تراكم حادث الدهر الخسيس

وقال الشيخ مربيه ربه:

إذا ما رئ ملتفتا تداعت * إليه غلبة همم الجليس

وقال الشيخ عبد الله الإلغي:

يغار لحسنه بدر منير * ويسبي قبه قلب الرئيس

وقال الطاهر الإفراني يخاطب الشيخ مربيه ربه:

كأن لحاظه سيف نضته * يمينك عند محتدم الوطيس

فأنت البحر في الجدوى ومهما * سطوت تهيبت آساد خيس

فبارك فيك ربك يا إمام الـ * ـمكارم ما حدا الحادي بعيس

ونشير أخيرا إلى أن هناك الكثير من القصائد والمقطوعات، التي خاطب بها شعراء سوس أدباء الصحراء وعلماءها، والشيء نفسه يقال بالنسبة لشعراء الصحراويين الذين خاطبوا علماء سوس وأدباءها، إلا أننا لم نعثر على أجوبة لهذه القصائد والمقطوعات، وكمثال على ذلك نسوق هذه النماذج:

- قال سيدي عبد الله الإلغي يخاطب العلامة سيدي محمد بن عبد العزيز[1]:

يا قادما فضله في العلم والعمل * قد كان أسير من طيف ومن مثل

وسيدا عمت الدنيا صنائعه * أنخ فقربك أضحى غاية الأمل

أحييت بالوصل حيا قد نزلت به * نزول قطر بقطر سيم بالخلل

يا نجل عبد العزيز يا إمام هدى * لم يرض مذ شب أن يرعى مع الهمل

لازلت يا خير طب ماهر فطن * تشفي برأيك ما بالدين من علل

أصفيتك الود في الرحمن حين صفت * منك الخواطر من غش ومن دخل

عليك مني سلام الله ما طلعت * شمس وما غربت عن غارب الطفل

- وقال محمد بن الطاهر الإفراني يخاطب الشيخ محمد الإمام[2]:

سلام يزدري زهر الكمام * على مثوى محمد الإمام

(1) - مجموع الأستاذ المحترم ماء العينين مربيه ربه حامي، وجان.

(2) - "المعسول": 4/287-288.

علـى فـرد حـوى كـل المعـالي * وسـاد فمـا لـه أبـدا مسـام
سليل الشيخ ما العينين قطب الـ * ـمكـارم والعـلا شمس الظـلام
وبعـد فـإن ودك في فـؤادي * رسـا فلـه بـه أسـنى مقـام
أدام الله فضلـك في اعـتزاز * وصيتك يـزدري مسـك الختـام

- وقال المحفوظ بن الحضرامي يخاطب المختار السوسي[1]:

أمن سـلك النصيحة في الـدروس * ويـا زيـن الدفـاتر والطـروس
ومـن حـاز الفضائل مـن صباه * بنشـر العلـم في فـاس وسـوس
وفي مراكـش الحمـراء تبـدي * عنومـا جملـة وسـط الـدروس
فـأنت الحـافظ الأسـتاذ مـن لا * يسـامى في الفهـوم لـدى الجلـوس
جليـس العـالم المختـار أبشـر * فيـا لله درك مـن جليـس
هـو العقـد النفيـس مـن اللئـالي * فشـديدا علـى العقـد النفيـس
فـدم للعلـم والعليـا جميعـا * لتخليـد المفـاخر مـن طـروس

- وقال الشيخ محمد الإمام يخاطب الطاهر الإفراني[2]:

يا طاهر العرض يا كنز الـوداد ألم * يأن الوصـال فبـالقلب الغـرام ألم؟
فالقلب بعدكم ما انفك ذا وصب * رهين شـوق لقياكم وحلـف ألم

- وقال ماء العينين بن العتيق يخاطب محمد بن الطاهر الإفراني، ومحمد بن علي الإلغي، وقد ورد هو والشيخ محمد الإمام إلى المدرسة التانكرتية بإفران[3]:

ألا يـا حبـذا سـفر حدانـي * إلى مـن يدعيـان محمـدان
رضيعـي ثـدي آداب وعلـم * بتقصـار العـلا متقلـدان
نجيـي طـاهر العـرض المحلـى * فمـن ذا في الرهـان لـه يـدان
أخـا عنـده فقـرى وثنـى * وكانـا للـنزيل يسـاعدان
فباتـا في نـوادر كـل فـن * شـهيّ بيننـا يتـواردان
فـإن تنشـدهما استمعا ومهمـا * أصخـت يحدثـان وينشـدان

(1) - "المعسول": 300/4.
(2) - "المعسول": 286/4. وانظر كذلك مجموع المرحوم ماء العينين علي مربيه ربه، الورقة: 97، مخطوط.
(3) - نفسه: 287/4. وانظر كذلك: "تحلية الطروس"، مخطوط، الورقة: 340، ومجموع ماء العينين علي مربيه ربه، مخطوط، الورقة: 115.

سمــاء المجــد مــذ يتقارنــان * تقــارن في الســماء الفرقــدان
ولا عجــب إذا الولــدان يومــا * أشــادا مــا بنــاه الوالــدان

ونخلص إلى أن هذه المساجلات الشعرية قد أدت دورا كبيرا وفعالا في ازدهار الأدب العربي عامة، والشعر خاصة، بمنطقة سوس والصحراء؛ لأنها ذاعت وانتشرت لرقتها وجمالها وروعتها، وطبقت شهرتها الأدبية آفاق المغرب، وساهمت بقسط كبير من النشاط الأدبي، ليس في سوس والصحراء وحدهما، بل في سائر مناطق المغرب.

كما ساهمت في إبراز مظهر مهم من مظاهر التواصل الأدبي المتميز بين سوس والصحراء الذي يعبر عن متانة الترابط الفكري والعلمي، والتفاعل الثقافي الرصين بينهما الذي لم تزده الأيام إلا قوة وصلابة، والذي يعبر عن وحدة المغاربة، ليس في منطقة سوس والصحراء فحسب، بل في مختلف ربوع الوطن المغربي الموحد.

جلسة الشهادات والقصائد الشعرية

شهادات
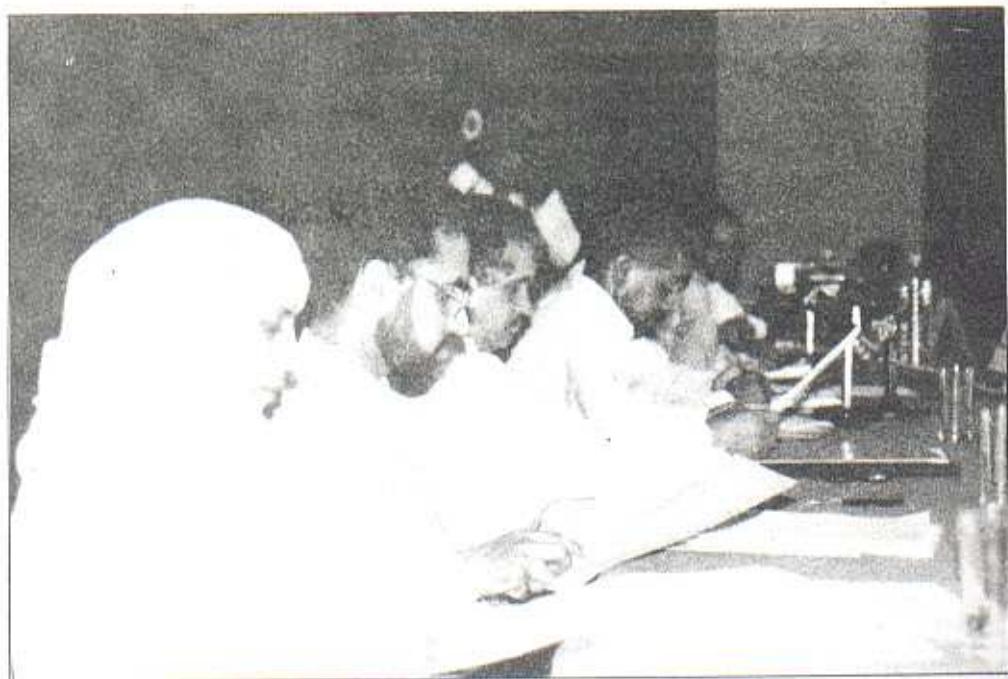
السيد علي كما عرفته

ماء العينين محمد بن الشيخ الجيه (*)

****

لبسم الله الرحمن الرحيم. والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد خاتم النبيئين وإمام المتقين.

يسعدني أن أتناول الكلمة في هذا اليوم الدراسي الثقافي، الذي ينظم لتكريم السيد ماء العينين علي بن شيخنا الشيخ مربيه ربه، لإلقاء شهادة في حقه رضي الله عنه وأرضاه.

لقد عرفت السيد علي منذ زمن بعيد، ومنذ عرفته لم ألمس و لم أسمع و لم أنظر فيه إلا ذلك الشاب المثالي، المستقيم، الوطني، المخلص لدينه ولوطنه ولملكه، هذا الشاب كما سمعنا من الكلمات السابقة، جزى الله أصحابها خيرا، يعد قدوة ومثالا يحتذى، رغم أن ما قالوه في حقه ليس في الحقيقة إلا النزر القليل، لأنني أنا شاهدته وشاهدني، وعايشته وعايشني –والحمد لله– مدة طويلة.

قبل أن يكون موظفا في وزارة العدل، كان رضي الله عنه وأرضاه عصامي النفس، متشبثا بجميع الأخلاق الفاضلة قولا وفعلا، ومن أحسن شباب عقبه وعصره. كان مقاوما ومدافعا عن الوطن بكل ما يمكن من عمل باليد، ودعوى باللسان، لا يأل جهدا في هذا.

توظف في وزارة العدل هذه المدة الطويلة من سنة 1961 إلى سنة 1997، و لم نشهد أحدا يقول عنه: قال لي فلان، أو أخذ مني فلان كذا، بل كان مستقيما ومخلصا في عمله رضي الله عنه وأرضاه. فلا أحد يستطيع أن يقول إنه سمع كلمة سوء من السيد علي، بل إنه كان بشوشا في وجه زائريه، سخيا بكل ما تسمح به الظروف، متفانيا في الإخلاص في العمل، لا يأل جهدا فيما كلف به.

ونحن هنا نشكر بهذه المناسبة كل من ساهم في إنجاح هذه التظاهرة، وعلى رأسها السلطات المحلية، ثم بلدية تزنيت وعلى رأسها رئيسها ، ومؤسسة الشيخ مربيه

(*) - عضو المجلس العلمي لأقاليم تزنيت كلميم طاطا.

ربه لإحياء التراث والتبادل الثقافي، وكل من ساهم من بعيد أو قريب في تحضير وتنظيم هذا الملتقى الفكري الهام.

ونحمد الله تبارك وتعالى على أنه إذا مات علي، فإنه خلف لنا من يحل مكانه، فالمثل يقول: «ما مات من خلف»، والله تبارك وتعالى يستحي أن ينزع البركة من موضع قد جعلها فيه، فنحن نضع البركة، ونأمل الخير على الأستاذ النعمة بن علي بن شيخنا الشيخ مربيه ربه، ولا غرو أن يحذو الولد حذو أبيه، فالبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه طيبا.

نرجو الله تبارك وتعالى أن يوفقنا جميعا لما فيه الخير والسداد، ويعيد هذه الذكرى، ذكرى عيد الشباب المجيد، على مولانا أمير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله، وأن يقر عينه بولي عهده الأمير الجليل سيدي محمد، وصنوه مولاي رشيد، وسائر الأمراء والأميرات، إنه على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير. والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

في ذكرى الأستاذ ماء العينين علي

مربيه ماء العينين بن سيدي محمد(*)

****

بسم الله الرحمن الرحيم. وصلى الله وسلم على النبي الكريم.

أيها الحضور الكريم.

إننا نجتمع هنا اليوم قاطبة، في هذه القاعة المباركة، التي تحمل اسم الشيخ ماء العينين، أحد رموز العلم والتصوف والنضال. في هذه الربوع الغالية من وطننا الحبيب. لنستحضر ذكرى أحد أحفاده الأجلاء، الذين بصموا تاريخ الأسرة المعينية ببصمات واضحة لا ينكرها إلا جاحد، وساهموا في إثراء رصيدها الفكري والأدبي بشكل جلي، ذلكم هو قريبي، وأخي في الله، الأستاذ المجاهد ماء العينين علي، الذي جمعتني به صداقة متينة، وأخوة حميمة، لمدة تنيف على ثلاثة عقود.

وكان لاهتماماتنا الأدبية المشتركة أثر كبير في توطيد هذه العلاقة، ونسج لحمتها بوشائج لا تنفصم، ولا أنكر هول الفراغ الذي خلفه رحيله في نفسي؛ فقد كانت رسائله الغنية، منهلا لي أطّلع من خلاله على ما جدّ من بحوث، وإنتاجات أدبية، وأشعار ظهرت أخيرا لأعلام المدرسة المعينية، كما أن زياراته المتعددة لوجان بين الفينة والأخرى، كانت النسيم الذي يلطف حرارة الجو، نظرا لما عُهد فيه من أريحية، وحسن خلق، فضلا عن حلاوة حديثه، وحسن معاشرته.

ولا أنسى زيارته الأخيرة لي في وجان، رفقة نجله البار الأستاذ ماء العينين النعمة أشهرا قليلة قبل وفاته رحمه الله، على الرغم من مرضه، لصلة الرحم، وإحياء ذكرى الأجداد، متمثلة في مجالسهم الأدبية، وحزنه الشديد على ما أصاب سوق الأدب والشعر من كساد، وما لحق هذا الجيل من فتور، بله إقباله على السفاسف والقشور.

وما تشبث المحتفى به بزيارة أصدقائه ومسامرتهم، إلا رغبة منه في إحياء سنة الأسلاف، خاصة وأنه عايش كردوس رفقة والده حين كانت في أزهى أيامها مدرسة متألقة بين قمم الجبال تهوي إليها الأفئدة، وملتقى لجهابذة سوس والصحراء، حيث كانت تعبيرا مكثفا عن هذا التواصل الحضاري الذي لم ينقطع عبر تاريخنا المجيد بين

(*) - عالم وفقيه بوجان.

سوس والصحراء من جهة، وبين الصحراء والوطن الأم الذي هو المغرب من جهة أخرى. فكان الأستاذ ماء العينين علي كثيرا ما يستحضر، بحنين وشوق، تلك الحقبة الزاهية، شاكرا ربه أن جعله أحد شاهديها.

ولعل ما يوضح أهمية هذه المرحلة في حياته، هما هذان البيتان، وكان قد أنشدهما في معرض حديثه عن كردوس أثناء لقائي الأخير به في وجان:

مني سلام إلى الغر الأوداء * أربابُ كردوس أموات وأحياء

من مات في جنة لا زال منزله * والحي لا زال في عز ونعماء

والبيتان عبارة عن تحية مفعمة بالحب إلى رفاق، كان المحتفى به شديد الاعتزاز بهم، لا يملأ المجلس إلا بذكرهم، والتغني بأشعارهم. وقد كانت ذاكرة الأستاذ ماء العينين علي تحفظ الكثير من أدب الزاوية المعينية، لذلك كنت حريصا على الاستفادة منها كلما أتيحت لي الفرصة، كما استفاد منها أغلب الباحثين في أدب الصحراء.

واسمحوا لي بعد هذا الحديث عن بعض ذكرياتي مع الفقيد، أن أحاول رسم صورة مختصرة عن حياة هذا الرجل الفذ، الذي ظل، طوال حياته، يعمل عمل المجدين في صمت، بعيدا عن الأضواء، محتسبا عمله لله عز وجل؛ لأنه كان يرى في ذلك واجبا منه نحو آله وأساتذته.

ولد الأستاذ ماء العينين علي في 11 شتنبر 1934 بقرية كردوس التي تقع شرق إقليم تزنيت، أيام كانت مركزا علميا، وجهاديا تزدحم بأفواج المجاهدين والعلماء، يتزعمهم والد المحتفى به، العالم العلامة الشيخ مربيه ربه بن شيخنا الشيخ ماء العينين الذي كان يولي لأبنائه عناية كبرى، رغم مهامه العديدة، وانشغاله اليومي بالحروب والمعارك ضد المستعمر.

وكان أن اجتمع لهذا الجيل في كردوس نخبة من الأساتذة والعلماء قلما تجتمع في جامعة ما، فيكفي أن نذكر العلامة سيدي علي بن عبد الله الإلغي، والشاعر سيدي الطاهر الإفراني، وابنه النبيغ سيدي محمد، والفقيه سيدي الحاج محمد الحبيب بن الحاج إبراهيم البوشواري الملكي، والشيخ سيدي محمد بن عبد العزيز، والعلامة الشيخ محمد الإمام، والأستاذ العلامة ماء العينين بن العتيق، وغيرهم كثير، لندرك كم كان حظ المحتفى به وفيرا، وهو ينهل مع زملائه من هذه النخبة العظيمة.

لذلك لا نبالغ إذا قلنا بأن المحتفى به كان محصِّلة ونتيجة لهذا التفاعل الذي حدث في كردوس بين الصحراء وسوس، حين وحّدت هموم الوطن الواحد، والدفاع عن كلمة الله، هذه الثلة العاملة في تلاحم رائع.

هذه الثلة المباركة كانت تتناوب على إلقاء الدروس والمحاضرات، وعقد المساجلات الشعرية بين فطاحل الشعراء، على مسمع من الطلبة الذين كانوا يتتبعونها بالتدوين والحفظ، وكان الأستاذ ماء العينين علي، رغم صغر سنه، ملازما -بشهادة جل زملائه- هذه الدروس، حافظا نهما لأشعار أساتذته وآله. كما كان كثير الملازمة لوالده الشيخ مربيه ربه الذي ما فتئ يرعاه، ويوجهه لما لمس فيه من رغبة أكيدة في طلب العلم، وظل على دأبه ذاك إلى أن أجازه والدي القاضي الشيخ سيدي محمد بن عبد العزيز في علوم اللغة والأدب، وبعض الأوراد، وذلك بتاريخ 1373هـ الموافق 1953م.

ولم يكن طلب العلم الهاجس الوحيد الذي شغل الأستاذ ماء العينين علي. ولكن همًّا آخر كان ينازع اهتمامه، وهو همّ المستعمر الذي كان المغرب يرزح تحت وطأته. متأثرا بالجو والبيئة التي نشأ فيها، فالوسط الذي نشأ فيه الأستاذ ماء العينين علي كان متكونا من علماء وأدباء آلوا على أنفسهم جعل الجهاد في سبيل طرد المعتدين هدفهم الأسمى، فكان القلم رفيق السلاح.

لذلك نشأ الخلف على نفس المنوال. فكان المحتفى به رفيقا دائما لوالده في كل تنقلاته الجهادية. ثم انضم بعد ذلك إلى صفوف المقاومة الوطنية، متكبدا في ذلك كل الصعاب. سيرا على نهج والده المجاهد، إلى أن بزغت شمس الحرية على الوطن الحبيب، لينخرط في سلك الوظيفة العمومية بوزارة العدل بإقليم طانطان، وليواصل جهادا آخر تمثل في جمع إنتاج والده الزاخر، من شعر ورسائل، وتآليف عديدة، منكبا عليه، تحقيقا وتنقيحا.

وقد كنت شاهدا على عمله ذاك أثناء زيارتي له بطانطان سنة 1981، فوجدته منشغلا في هذا العمل الجليل، الذي جعله فيما بعد مرجعا أساسيا لا غنى عنه لكل باحث، سواء في حياة والده أو في أدب الزاوية المعينية، يشهد بذلك كل الباحثين الذين اتصلوا به، فوجدوا قلبه مفتوحا قبل باب بيته.

وتعد خزانته العلمية العامرة ملجئا لكل دارس، لا حاجب ولا حائل دونها، والمتصفح للدراسات التي أنجزت حول أدب الصحراء المغربية يجد اسمه حاضرا بقوة في أغلب صفحاتها كمصدر من مصادر البحث الأساسية، وظل على عمله ذاك حتى وفاته رحمه الله، ويشهد ابنه الأستاذ ماء العينين النعمة بمدى أهمية عمل والده، فقد وجد التربة مهيأة، والمادة الخام جاهزة، ليواصل بدوره عمله الأكاديمي، في إخراج كنوز جده الأدبية.

ولم يقف عمل الأستاذ ماء العينين علي عند هذا الحد، بل سعى في سنواته الأخيرة، رغم الجهد والمرض، إلى تحقيق أمنية طالما حدثني عنها، وتتمثل في إقامة ملتقى

ثقافي مواز لموسم الشيخ مربيه ربه، ليكون مرآة عاكسة لأشعة تراث الأسرة المعينية، يتداوله بالبحث والتحليل الباحثون الذين تزايد عددهم في السنوات الأخيرة.

وكان أن حقق الله مراده، فرأى الملتقى الثقافي الأول يتم بتأطير الأحفاد، تتويجا لجهود الآباء. وكانت سعادته الكبرى حين برزت أعمال الملتقى مطبوعة عام 1996 تحت عنوان: "جوانب وحدوية من ثقافة الصحراء المغربية"، على نفقة صنوه الأستاذ ماء العينين هيبة أحمد، أطال الله حياته.

إلا أن القدر لم يمهله ليرى أمنيته تتحقق، حتى صارت تقليدا، سواء في الملتقى الثقافي الثاني، أو في اليومين الدراسيين اللذين نظما بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بأكادير. فقد خطفته يد المنون يوم الأحد 6 يوليوز عام 1997م على الساعة الواحدة زوالا بأكادير، وأبى إلا أن يرقد جثمانه الطاهر على مقربة من جده القطب شيخنا الشيخ ماء العينين.

تغمد الله الفقيد برحمته الواسعة، وأسكنه فسيح جناته، مع من أنعم عليهم من النبيئين والصديقين، والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا، وجعل البركة في خلفه وابنه الأستاذ ماء العينين النعمة، الذي سار على نهج والده في التحصيل والبحث والدراسة، مزودا بعلوم عصره، رغم أن مهمته تضاعفت، فقد صار من الواجب عليه الاهتمام بآثار والده، إلى جانب اهتمامه بتراث جده الأدبي والفكري، الذي يدخل في صميم عمله العلمي، وهو بعون الله قادر على ذلك، وكأني بالأخ الأستاذ ماء العينين علي لم يمت حين أنجب ابنا في منزلة الأستاذ النعمة، مصداقا للحديث الشريف الذي رواه مسلم، قال: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث، صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له». وقد أحسن من قال:

وما مات امرؤ ترك المزايا * وخلف بعده ولدا نبيلا

وأرجو أن أكون قد أحطت بغيض من فيض، في حق هذا الأستاذ الجليل، الذي تظل معاشرته السبيل الوحيد لإدراك مكانته، وعلو كعبه بين معاصريه، وفي الختام لا يسعني إلا أن أشكر اللجنة المنظمة على هذه الالتفاتة الكريمة لتكريم شخصه، وكان الأجدر أن يكرم في حياته، ليدرك قيمة عمله وأثره بين الناس، لكن مع ذلك فالمبادرة تستحق التنويه والتشجيع.

شكرا للحضور الكريم على حسن الإصغاء، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمين، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

الفقيد مع رئيس مؤسسة الشيخ مربيه ربه
لإحياء التراث والتبادل الثقافي

الفقيد مع نخبة من المشاركين في موسم الولي الصالح الشيخ مربيه ربه بتافودارت

الوفـــاء

سيدي عثمان الشريف حسنيء(*)

****

للكون قدرته الكامنة على السير عبر نظام محدد لا يحيد عنه، وكلما ظن الإنسان أن خللا في جانب ما من الحياة، اكتشف الخطأ الموجود في الأداة التي كان هو (الإنسان) يتعامل بها مع ذلك الجانب.

تسير الأمور إذًا حسب مخطط وضعه الله لها بقدَر وتقدير مُقدَّر، فلا مجال للصدفة إلا في عُرْفنا، فنحن كلما عجزنا عن تفسير أمر، أو فوجئنا بوجود شيء، عزوناه للصدفة، قصورا منا عن المعرفة، وتكاسلا عن البحث.

ترابط الأشياء فيما بينها لتشكّل نسيجا معينا أو وحدة ما، يجعل كلَّ شيء مكمّلا للآخر، يعترف له بحاجته إليه وبنقصانه إذا عدِمَه.

الإنسانُ جزء من المجتمع، منه ينبثق، به يعتز، عنه يتعلّم، إلى إفادته يتطلّع.

وما لم تكن للإنسان فائدة على مجتمعه فهو ميّت الأحياء، ومكانة الإنسان تتحقق بعطائه لمجتمعه.

والمجتمع الذي لا يعرف لأبنائه حقّهم، ولا يحافظ لهم على مكانتهم، ولا يُخلّدهم في ذاكرته قدوة، ولا يشيد بهم عطاء ورمزا للسمُو، مجتمع محكوم عليه بالاضمحلال، أو في أبسط الأحوال بالذوبان وفُقدان الشخصية.

من هنا يكون الاحتفاء برموز المجتمع حقا على عاتق أبنائه، إن هم تخلوا عنه دفعوا بمجتمعهم إلى الانتحار والاندثار، وإن أقاموا لنماذج المجتمع أمكنة لائقة بهم في أفكار الأجيال، ليأخذوا عنهم القدوة، ويبلْوروا عطاءهم، ويُتمّموا عملهم، ويَشُقوا طرقا موصولة بطرقهم، ومعبّدة سُبُلا لآفاق جديدة، كان المجتمع أصيلا متجددا ذا طابع يميزه عن غيره، لخدمة شخصيته المتميزة، وتنوير عطائه الثرّ، ولن يكون له ذلك إلا بالشموخ، رفعا لكل إيجابياته، متخلّصا من سلبياته.

فواجبنا كلما سنحت لنا فرصة لذكر أحد أعلام مجتمعنا، أن نبادر إلى التعريف

(*) - مدير الشؤون الثقافية بالمجلس العلمي للأقاليم الصحراوية - العيون.

به، وفاء لعهده، وسيرا لعطائه، وإخلاصا لعمله.

لا غرابة إن توقّفتُ قليلا عند علي بن الشيخ مربيه ربه رضي الله عنهما، عرفانا بجميل، وتذكرا لخليل، ووفاء لعطاء نبيل.

وعى السيد علي رحمه الله الرسالة التي تركها السلف الصالح، من سهر على العلوم، وتحصيل للمعرفة، وجمع للكتب، وتدارس لها، وتربية النشء على طلب العلم والنهج القويم الذي يمثله القرآن الكريم والسنة المطهرة، فانبرى للدراسة وجمع الكتب وتحصيلها، ورغم ما لاقاه رضي الله عنه من تعب للحصول على العديد من المخطوطات النادرة، لم يكن ذلك سببا لمنعها عن مستحقيها، فقد كان قبلة الباحثين في مجالات شتى، خصوصا كل باحث عن أدب الجنوب، أو تاريخ أبناء الجنوب، أو مدونات وفقهيات وفتاوى أبناء الجنوب، وعرفت مكتبته -رحمه الله- العديد من طلاب المعرفة، نهلوا منها قراءة وكتابة وتصويرا، وما بخل على أحد منهم برأي ينيره، أو ملاحظة تعينه، أو تفسير يفيده، ولن أفيَ المرحوم علي -رضي الله عنه- حقه مهما أطلت، ولذا أكتفي بما أسلفت من حروف شحيحة، وأقول أبياتا يستحقها عليٌّ عليٌّ رحمه الله:

عليٌّ بالوفاء سما ونالا * من الخيراتِ أعظمَها خصالا

لقد جمع التراث بكلّ صبر * وأبرزه الكتابةَ والمقالا

فلم يكُ كاتما للعلْم كلّا * فقد أعطى العلومَ لها أنالا

أيكتمُه وقد ورثَ المزايا * عن الآباء واخترقَ الجبالا

بمعرفةٍ ولين واحترام * رعى نهجَ المكارم حيث صالا

فيا ربّي عليٌّ ترْحمْنَهُ * ووسّعْ قبرَه يا من تعالى

وكن لبنيه إنهما فتاةٌ * وابنٌ يسعيان بكَ النوالا

وأمُّهُما فصُنْها كي تراهُم * بفضْلِ يتقيَان الخلالا

وأمّةَ أحمدَ الهادي فعِنْها * وأبْعِدْ عن مرابعها الضلالا

وصلِّ على محمّدٍ يا إلهي * ومن رام المحجّةَ والكمالا

وفي الأخير أتقدم بالشكر والتقدير لأسرة الفقيد والمشرفين على هذا التكريم، وكل من ساهم فيه من قريب أو بعيد.

الأستاذ علي: أصمعي الجنوب المغربي

محمد فاضل اسند(*)

****

لبسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد النبي العظيم.

أيها السادة الكرام:

لم يترك لي الإخوة الأساتذة المتدخلون، ما أقول في حق المرحوم المحتفى به ماء العينين علي مربيه ربه، فقد جاءت شهاداتهم موثقة وممنهجة، ولكني بدوري سأقدم شهادة في حق المحتفى به، أجملها في أربع نقاط:

1) العلاقة الشخصية:

بحكم القرابة، فقد عرفت السيد ماء العينين علي بن الشيخ مربيه ربه، منذ طفولتي، بشوشا، يهش في وجه محدثه أول ما يلقاه. وأشهد له بحسن الخُلق، كما يشهد له به غيري. كان طيب المعاشرة، لا يُمل حديثه، ولا يسأم جليسه، كنت أنزله منزلة الوالد والعم، لكنه كان يعتبرني صديقا وأخا صغيرا، تواضعا منه، وإكبارا لنا، نحن جيل الاستقلال. ولقد كان الرجل كبيرا في غير تكبر، متواضعا في غير تذلل.

2) الاهتمام بالتراث:

إن هذه الندوة جاءت في وقت ومكان مناسبين، وتكريما مناسبا لرجل له اهتمام كبير بالتراث، فقد كان مولعا به. وإليه يرجع الفضل في تحصيل قسط لا يستهان به من تراثنا العربي في الجنوب المغربي، يشهد على ذلك خزانته التي تتوفر على عدد هام من ذخائر الأدب، شعرا ونثرا، مخطوطا ومطبوعا. وكان هو نفسه مصدرا مهما، ومرجعا ناطقا في الشعر والنثر والتاريخ والفقه والتصوف، فما ذكرت له قضية إلا وحدث عنها بقليل أو كثير. وكثيرا ما كان يمحص الروايات فيخضعها للتواتر ومنطق العقل، فيرجّح رواية دون أن يدحض أخرى إلا بحجة علمية بينة. وكان يحزّ في نفسه -رحمه الله- ما طبع المرحلة من تفريط في التراث وضياعه، بسبب القلاقل والاضطراب. ولكن انصراف الجيل الحاضر عنه وتهميشه له كان يحز في نفسه أكثر. لذلك كان يحث على العودة إليه واستجلائه وانصرافه. وكان يتحدث عنه في اعتزاز وإكبار واحترام.

(*) - أستاذ باحث - المضايرر.

3) مساهماته العلمية:

إن الأصمعي والمفضل الضبي وأبا زيد القرشي وغيرهم، دخلوا التاريخ بجمعهم لعيون الشعر العربي في العصر الجاهلي والإسلامي. وإن عليا أصمعي في الجنوب المغربي ومفضله؛ لأننا مدينون له بجمع وتحصيل الكثير من التراث العربي في الجنوب المغربي، فما من شاعر عرفته المنطقة أواخر القرن الماضي إلا وجمع له ما تيسر. و لم تتوقف مهمته بمجرد الجمع، بل أذاع ما جمع وأشاعه، واستفاد منه الطلبة والباحثون، من بحوث الإجازة، إلى رسائل السلك الثالث، إلى أطروحات دكتورة الدولة، بله المشاركين في الندوات والبحوث والدراسات.

وكانت مساهماته إيجابية متميزة؛ إذ لا يكتفي بتوفير الوثيقة، بل يوضح غامضها، ويحدد إطارها الخارجي والداخلي، ويعين على تأويلها بالتعريف بأسبابها (ظروفها)، ومعرفة الأسباب التي تعين على التأويل. وكثيرا ما يوجه ويصحح ويحفز الباحثين الشباب على المزيد من الغوص والتنقيب، ويعتبر الجيل السابق قد أدى ما عليه رغم إمكاناته المحدودة، فعلى الجيل الحاضر أن يكيف إمكاناته لتخدم البحث.

هذا الرأي التقدمي من المرحوم، يدين "الكاتمين" الذين يسجنون الوثائق في بطون الصناديق، ويبخلون بها على المهتمين، وينبه على أن الوسائل العلمية المتاحة في هذا العصر، بلغت شأوا عظيما يمكّن من نفض غبار الكتمان، وجلي حلكة النسيان عن تراثنا المغربي في الجنوب، بدءا بالتصوير والاستنساخ، وانتهاء بالإعلاميات...

4) حضور البديهة:

إن المحتفى به كان يتميز بحضور بديهة تخص التراث العربي في الجنوب المغربي، فقد كان يصنفه حسب الزمان والمكان والطبقات، بسهولة بالغة، ولا يكاد يتبادر الحديث في قضية أدبية أو فكرية أو فقهية حتى يبادر في تحليلها وعرضها، واستعراض مختلف وجهات النظر فيها. وكثيرا ما عدت إلى القضايا الأدبية المطروحة للنقاش، فوجدت رأيه فيها محيطا بجميع الآراء وملخصا لها.

هذا قليل من كثير في حق المرحوم، وقد تعمدت أن يكون في حدود الشهادة، ولو أردت أن أفصّل القول، لأطلت عليكم، ولكن شهادات الإخوة الأساتذة السابقة قدمت ما فيه الكفاية.

إن هذه الندوة تسر المحتفى به في حياته، ولاشك أنه مسرور بها في حياته الأخرى، فالعظماء لا يودعون بالدموع، بل بالأعمال العظيمة، وأستسمحكم إن أطلت عليكم.

والسلام عليكم ورحمة الله.

الأستاذ علي، الوطني الغيور

محمد الأغظف ماء العينين أبو بكر(*)

****

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿فإذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة﴾[1].

الحضور الكريم.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

إن مؤسسة الشيخ مربيه ربه لإحياء التراث والتبادل الثقافي، بتعاون مع المجلس البلدي لمدينة تزنيت السلطانية، بتنظيمها لهذا اليوم الدراسي في موضوع: «سوس والصحراء المغربية: تواصل ثقافي وفكري»، أثلجت الصدر، وبعثت ارتياحا منقطع النظير في النفوس الأبية. وهي ظاهرة كريمة، جاءت في وقتها والحاجة ماسة إليها؛ فثقافة أهل الصحراء المغربية وسوس العالمة، ظلتا على الدوام في سفر واحد خلال وطبائع ماجدة تلاحمت.

فقد وقفوا كباقي جهات المملكة سدا منيعا في وجه المستعمر الغاشم، وكانوا يجرون وراء الكلمة السامية الهادفة للتحرر من ربقة الاستعمار، ومجابهته والمحافظة على البيعة للعرش العلوي المجيد، المطوقة للأعناق والتشبث بالوحدة الوطنية. فجرت هذه الخلال في العروق، ونسجت إبداعا جاش في النفوس، وترك الميسم في الأفئدة، ولاح جليا في الأفق كما قيل:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما * جعل اللسان على الفؤاد دليلا

فالتواصل السوسي الصحراوي المغربي، حسم على الدوام وعرف تجاوبا كبيرا، انطلاقا من حركة الشيخ ماء العينين الجهادية وأبنائه من بعده، والتي لازالت حاضرة في الذاكرة التاريخية. وقلعة كردوس الشاهقة خير دليل على ذلك. ولعلي لا أكون مبالغا إذا قلت: إن الحركة الجهادية للشيخ ماء العينين التي مزجت التصوف الطرقي بالمقاومة

(*) - محام - العيون.

(1) - سورة النور، الآية: 61.

والجهاد، ساهمت في ربط جسور التواصل بين سوس العالمة والصحراء المغربية.

ووسط هذا الزخم العرم من الأحداث، عاش زين العابدين علي بن الشيخ مربيه ربه بن الشيخ ماء العينين، في كنف والده العالم العلامة والمجاهد الشيخ مربيه ربه، ينهل من حياض العلم والمعرفة. الشيخ مربيه ربه الذي قام بدور كبير في مقاومة المستعمر الفرنسي في سوس لمدة تزيد عن اثنين وعشرين عاما، وساهم في ازدهار النهضة الثقافية والأدبية والعلمية في هذه المنطقة، من خلال اتصالاته الدائمة بعلمائها، ومساجلاته لأدبائها وشعرائها، مما جعله ظاهرة تاريخية فريدة لا تنسى مع مرور السنوات والأيام. وأستحضر هنا قول الشاعر:

لعمري رأيت المرء بعد زواله * حديثا بما قد كان يأتي ويصنع

فحيث الفتى لابد يذكر بعده * فذكراه بالحسنى أجل وأرفع

وقول دريد:

وإنما المرء حديث بعده * فكن حديثا حسنا لمن وعى

إن المرحوم ماء العينين علي، واجه المستعمر الغاشم كباقي إخوته ببسالة منقطعة النظير، الذي حاول تفريغ العقول من القيم النبيلة. وكانت المواجهة بالإيمان؛ إذ القدرات المادية ندرتها مشهودة، لكن الطاقات البشرية المتأججة موجودة. بفضل الإيمان المذكى في النفوس، وبفضل هذا النوع من الرجالات المؤمنة الواعية، التي تأبى أن تبيع دينها بدنياها، والمتمسكة بمبادئها السامية، والتي عضت عليها بالنواجذ، فحالفها النجاح. هؤلاء الرجال الذين تحدوا كل ما من شأنه أن يعرقل مسيرتهم النضالية، غير عابئين بالأباطيل الزائفة، وتزوير الحقائق. فتأكد المستعمر أنه لن ينجح ولن يفلح أمام هؤلاء المجاهدين، أمثال الأستاذ المرحوم ماء العينين علي الوطني الغيور، الذي أفدى وطنه بجميع منافع نفسه، وخدمه بكل ما يملك. وكيف لا! وهو ابن الفضيلة والشرف والحسب. ونقول مع القائل:

وحق لمن كان ذا فعله * أن يسترق رقاب البشر

إن المرحوم الأستاذ ماء العينين علي كان من النجباء، قلمه معلق بين الأنامل حذوه القرطاس، يكتب ويدون، ويقرظ ويفكر، إنه بحق فريد عصره، والمشارك في كل العلوم. زخرت مكتبته بكل نفيس من الفنون، وثمرات المطابع، واستطاع بمجهوده الخاص، أن ينتقل في البوادي والحواضر، باحثا ومنقبا ومفتشا ودارسا، فوجد ضالته. ساعد الطلاب بفتح خزانته، وأعطاهم من المعين الذي لا ينضب ما لا مثيل له، وأنفق من الصبر الجميل ما لا يوصف، لإيجاد هذا الرصيد من النفائس، فحق لنا أن نغترف مما

ترك، ونهتدي بدلالاته. وما أحسن قول الشاعر في صياغة فكرة أن الفضل للمتقدم:

هـذا جـزاؤك منـا لا نمـن بـه * فضلا بفضل وكان الفضل للبادي

ولا نبالغ إذا قلنا إنـك فـزت بموقعك الفاعل في مجتمعك بنجاح، وسعيت إلى تحقيق هذه الشنشنة المحمودة، فحققت الفضائل في جميع المناحي الحياتية، وكنـت شاهد هذا العصر وأحد شخصياته الكبار، فحزت احترام الجميع عن جدارة واستحقاق.

إن الأستاذ المرحوم ماء العينين علي، كان قدوة ومعروفا بميله للقناعة، وكثيرا ما كان يردد أبياتا لحجة الإسلام الإمام الغزالي، وحق لي أن أرددها هنا:

طوبـى لعبـد يمسـي علـى ثقـة * إن الـذي خلـق الأرزاق يرزقـه

فـالعرض منـه مصـون لا يدنسـه * والوجـه منـه جديـد ليس يخلقـه

إن القناعـة مـن يحلـل بسـاحتها * لم يلـق في دهـره شيئا يؤرقـه

هذا هو الأستاذ المرحوم ماء العينين علي مربيه ربه.

وأخلص لأقول: إن التراث وحـده لا يمكـن أن ينير الطريـق والسبيل، بـل لابـد للجيل الذي يريد المحافظة على هذا التواصل، أن يملك القدرة على العطـاء، حتـى يسـود الفكر المتطور المنفتح، فنحن في صحرائنا المغربية نحيي أبناء سوس العالمة، وكـل جهـات المملكة السعيدة، أرض المكـارم، ومنبـع الفضـل، هـؤلاء الذيـن أقـاموا المعاقل الجهاديـة والمدارس العلمية، وبذا كان التواصل، وإننا نحفظ لك العهد المتقدم.

لاشك أن رحيل الأستاذ علي بن الشيخ مربيه ربه، خلف خسارة كبيرة، وصدق الذي قال: «ما مات من خلّف»؛ فالأستاذ خلف لنا نجلـه الأسـتاذ مـاء العينين النعمـة، وسيحافظ -لاشك- على هذه القيم، فهو أصل لها. إن المنون وإن خطفت هذه الزهـرة اليانعة، فقد خلف هذا الخطف حزنا غريبا، وأسى عميقا، فالوديعة ردت، وآثارها باقية، ونقول مع الشاعر:

ومـا المـال والأهلـون إلا ودائـع * ولابـد يـوم أن تـرد الودائـع

ونقول كذلك:

وزهـرة الدنيـا وإن أينعـت * فإنهـا تسـقى بمـاء الـزوال

ولا يدوم البقاء للخلق، لكن دوام البقاء للخلاق.

رحم الله الفقيد، وأسكنه فسيح جناته.

وأطال الله عمر رائد البلاد، ومفخرة الإسلام، جلالة الملك الحسن الثـاني، نصـره الله وأعزه، وأقر عينه بصاحب السمو الملكي الأمير الجليل سيدي محمد، وصنوه السـعيد مولاي رشيد، وباقي الأمراء والأميرات، إنه سميع مجيب.

الأستاذ علي: الأديب العالم المقاوم

محمد فاضل بن الشيخ حسن بن الشيخ مربيه ربه(*)

****

لبسم الله الرحمن الرحيم. وصلى الله وسلم على محمد وآله وصحبه.

لقد حالت عملية تجديد الهوية، لقبيلة الشرفاء أهل الشيخ ماء العينين دون حضوري للملتقى العلمي الفريد، لنخبة العلماء والأدباء في قلب سوس العالمة.

وبحضور أعيانها وشيوخها ومجاهديها ومنتخبيها، ذلك الملتقى الذي نظمه مشكورا المجلس البلدي لمدينة تزنيت، بتعاون مع مؤسسة الشيخ مربيه ربه لإحياء التراث والتبادل الثقافي، تخليدا لذكرى وفاة عمنا المجاهد الأبر، والوالد الأطهر، الذي عرفناه من خلال جهاده إلى جانب والده، والمجاهدين حوله من سوس والحوز وقبائل الصحراء المغربية.

عمنا المرحوم علي، الذي دل عليه اسمه الذي سماه به والده، المجاهد الكبير والعلامة الفذ الشهير، الشيخ محمد مصطفى مربيه ربه بن شيخنا الشيخ ماء العينين، تيمُّنا باسم الإمام علي رضي الله عنه حيث قال المصطفى صلى الله عليه وسلم: «أنا مدينة العلم، وعلي بابها». فكان تخليد وفاته رضي الله، بمثابة الباب المفتوح على مصراعيه، والينبوع المتدفق، علما وعرفانا وجهادا، من سوس عبر الصحراء، إلى شمال ووسط المملكة وبقية نواحيها، ومن الصحراء عبر سوس.

ولقد كان هذا اللقاء كذلك، تجديدا للأواصر المتينة، والوحدة الخالدة بين أطراف المملكة المغربية، وأفراد رعايا العرش العلوي المجيد، من الشمال إلى الجنوب، ومن الشرق إلى الغرب.

عايشنا عمنا المرحوم، فعرفناه بلطافته وحسن خلقه، وانكبابه على العلم وتحصيله، وجمعه وتحريره وتنقيحه. وقد قام بدور طلائعي وجهد مضني متواصل، في جمع الكثير من الكتب والمخطوطات للكثير من العلماء والأدباء، وبصفة خاصة مؤلفات وكتب ومخطوطات والدنا وشيخنا العلامة الشيخ محمد مصطفى مربيه ربه، الذي بسبب المعارك

(*) - أستاذ باحث – العيون، شيخ تحديد هوية قبيلة أهل الشيخ ماء العينين.

التي خاضها ضد المستعمر هنا وهناك، والقصف الجوي الفرنسي على حاضرة قرية كردوس، في قلب سوس العالمة المجاهدة، لأول مرة في تاريخ المنطقة، احترقت خزانته التي تضم أعرق الكتب العربية والإسلامية والتاريخية، والمخطوطات العلمية النادرة، وخاصة مؤلفاته ومخطوطاته التي وصلت نيفا وثمانين، وباقي علماء الصحراء وسوس وأدبائهما.

فتصدى لجمع هذا التراث بكل ما في ذلك من جهد وتعب ومعاناة، المرحوم صاحب الذكرى المقاوم والعالم والأديب، عمنا السيد علي بن شيخنا الشيخ مربيه ربه. وهكذا فإن هذه المحمدة الكبيرة، والخصلة المنيفة، تضاف إلى سجل تاريخه النضالي، لأنه خريج مدرسة آبائه وأجداده العلماء والأدباء المجاهدين، وفي مقدمتهم العلامة شيخنا الشيخ ماء العينين.

لذلك لا يسعني إلا أن أنوه وأشيد بهذا اليوم الدراسي الثقافي، في الوقت الذي لم أستطع الحضور للأسباب التي ذكرتها في أول السطر، وهي كوني شيخ قبيلة أهل الشيخ ماء العينين، وأقوم رفقة زملائي شيوخ القبائل، في تحديد الهوية التي تشرف عليها بعثة الأمم المتحدة (المينورسو). فنحن نقاوم ونجاهد تلبية للواجب الوطني، وطاعة لأمير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله، حتى يتم إنجاز آخر شوط من تثبيت دعائم وحدتنا الترابية، أرضا وإنسانا، من طنجة إلى الكويرة، ويتم القضاء على أعداء وحدتنا الترابية.

ولا يفوتني إلا أن أشكر كل الفعاليات التي ساهمت، من قريب أو بعيد، في إنجاح لقاء تزنيت المبارك، من سلطات محلية ومنتخبين، وعلماء وأساتذة وباحثين، وأدباء وأعيان، وأصدقاء المرحوم الذين أدوا أمامكم تلك الشهادات الخيرة المنيرة، في تاريخ المرحوم رحمه الله تعالى، وجعل فينا وفيكم استمرارا لنهج الآباء والأجداد، وامتدادا لعلمهم وورعهم، وأدبهم وحسن سلوكهم ومعاملاتهم.

والسلام عليكم، ورحمة الله وبركاته.

وفاء وعرفان

محمد ناجي بن عمر (*)

****

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على خير خلق الله محمد بن عبد الله.

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ، فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ، وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾[1].

الحمد لله الذي من على عباده بالألفة تطولا وامتنانا. فأصبحوا بنعمته إخوانا، ونزع الحقد والغل من صدورهم، فظلوا في الدنيا أصدقاء، وفي الآخرة رفقاء وخلانا، والصلاة والسلام على مولانا محمد وعلى آله وأصحابه، والذين اتبعوه وتمسكوا بسنته، واقتدوا به قولا وفعلا، وعدلا وإحسانا[2].

إن علاقتي بالفقيد المجاهد علي ماء العينين مربيه ربه، ابن الشيخ ماء العينين، جاءت ثمرة لعلاقتي مع نجله أخي وصديقي النعمة منذ تعارفنا على طلب العلم بالديار الرباطية، وعندما وصلت إلى الديار السوسية كنت أحس بغربة كبيرة لولا أن تلقفتني الأسرة المعينية الكريمة من خلال الفقيد ونجله، الذين رسخوا معي عرى الصداقة والمحبة في الله، وأصبحت وجها أليفا في وسطهم المحترم، وكنت ممن يقتدي بقوله تعالى: ﴿فأصبحتم بنعمته إخوانا﴾[3]، وقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه أحمد والطبراني من حديث سهل بن سعد، ورواه الحاكم من حديث أبي هريرة وصححه: «إن أقربكم مني مجلسا أحاسنكم أخلاقا، الموطؤون أكنافا، الذين يألفون ويؤلفون». ومما أخرجه ابن حبان والحاكم من حديث أنس بن مالك، قال صلى الله عليه وسلم: «ما اصطحب اثنان قط إلا كان أحبهما إلى الله أرفقهما بصاحبه». وقال الراجز:

لا خير فيمن لم يكن ألوفا * ولم يكن لغيره مألوفا

وتوطدت هذه العلاقة النبيلة حتى إنني تمنيت أن أحشر في زمرة أبي إدريس

(*) - أستاذ جامعي - كلية الآداب والعلوم الإنسانية - أكادير.

(1) - سورة الأحزاب: 23.

(2) - إحياء علوم الدين للغزالي: 157/2.

(3) - آل عمران: 103.

الخولاني حين قال لمعاذ بن جبل: إني أُحبك في الله، قال: أبشر، ثم أبشر، فإني سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «يُنصب لطائفة من الناس كراسي حول العرش، ومنابر من نور تضيء عليها يوم القيامة، وجوههم كالقمر ليلة البدر، يفزع الناس ولا يفزعون، يخاف الناس ولا يخافون، هم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون. فقيل: من هؤلاء يا رسول الله؟! قال: هم المتحابون في الله» [1].

وحسبي بأبي عبد الله محمد القوري، يقول:

يُظل الله تحت العرش قوما * وهم سبع كما قال المصدَّقْ

إمام شبٌّ في حبّ وجمع * وبكّاء ومدعو تصدَّقْ

ومعلوم أن المحبة مستويات أربعة: إما أن يُحب الإنسان أخاه الإنسان لذاته، أو لغرض دنيوي، أو لغرض أخروي، أو يكون حبه له وصُحبته معه لله. ومعلوم -سيداتي وسادتي- أن الفقيد توافرت فيه جميع شروط الصحبة، التي انتهت بالمحبة في الله، وأهم هذه الشروط: العقل، فهو رأس المال، وهو الأصل؛ قال علي رضي الله عنه:

فلا تصحب أخا جهل * وإياك وإياه

فكم من جاهل أردى * حليما حين واخاه

يقال المرء بالمرء إذا * ما المرء ماشاه

وللشيء على الشيء * مقاييس وأشباه

وللقلب على القلب * دليل حين يلقاه

ثانيها: حسن الخلق، كأني بابن علقمة العطاري (ت. 56هـ) حين أوصاه أبوه لما حضرته الموت قائلا: يا بني، إن عرضت لك صحبة إنسان، فاصحب من إذا خدمته صانك، وإن صحبته زانك، وإن قعدتْ بك مُؤْنةٌ مانك. إصحب من إذا مددت يدك بخير مدها، وإن رأى فيك حسنة عدها، وإن رأى منك سيئة سدها، من إذا سألته أعطاك، وإن سكت ابتداك، وإن نزلت بك نازلة واساك، من إذا قلت قولا صدّقك، وإن حاولت أمرا أمرك، وإن نازعته آثرك» [2].

ثالثها: الصدق، قال تعالى: ﴿إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله﴾ [3]، وقال بعضهم:

---

(1) - أخرجه أحمد والحاكم والترمذي.

(2) - آداب الصحبة، ص: 49.

(3) - النحل: 105.

ومـا شـيء إذا فكّـرت فيـه * بـأذهب للمـروءة والجمـال
مـن الكـذب الـذي لا خـير فيـه * وأبعـد بالبهـاء مـن الرجـال

كما كان -رحمه الله- مراعيا لحقوق الصحبة، من مشاركة في متاع الحياة الدنيا، والمنزلة منزلة النفس، والإيثار على النفس، والعفو عن الزلات والهفوات.

ومن لم يُغمِّض عينه عن صديقه * وعن بعض ما فيه يَمُتْ وهو عاتِبُ
ومـن يتبـع جـاهدا كـل عـثرة * يجدها ولا يسلم له الدهر صاحب

والخلوص في المودة، والتخفيف وترك التكلف والتكليف، والدعاء بالخير حضورا وغيابا، والنصيحة في الدين والدنيا.

لا خير فيمن ليس ينصح خلّه * حتـى يـراه يـلازم التسـديدا

رحم الله الفقيد، وأسكنه فسيح جناته، وإنا لله وإنا إليه راجعون.
والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

المملكة المغربية

الحمد لله وحده

ولا يدوم إلا ملكه

يعلم من كتابنا هذا أسماه الله وأعز أمره أننا بحول الله وقوته

أنعمنا على خديمنا السيد علي بن الشيخ بن مربيه ربه ماء العينين

المنتدب القضائي بابتدائية السمارة

بوسام الاستحقاق الوطني من الدرجة الممتازة

رعيا لما له من الحلية واعتبار لدى جلالتنا فليكن له هذا الوسام

مصحوبا باليمن والسعادة بفضل الله وعنايته.

وحرر بالقصر الملكي بالرباط في 2 رجب 1407 / 5 مارس 1987 وسجل هذا الكتاب الشريف تحت رقم 118.500.87

وزير القصور الملكية والتشريفات والأوسمة

عبد الحفيظ العلوي

وسام الاستحقاق الوطني من الدرجة الممتازة الذي أنعم به جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله على الفقيد ماء العينين علي بن الشيخ مربيه ربه

القيادة العليا لجيش التحرير بصحراء المغرب.

بتاريخ 1959/7/27

الموضوع شهادة

تشهد القيادة العليا ان الاستاذ ماء العنين على مربيه ربه انه اول معتمد لها في بعض المناطق الصحراوية في الميدانين السياسي والعسكري وان له مواقف جميلة ضد المستعمرين في جميع تطوراتهم كما له شرف وافر وثقة تامة في جميع طبقات الشعب الصحراوي وعناصره وقد احرزت القيادة العليا للجيش على معلومات جمة مفيدة الى الغاية بفضل سياسته وموقفه الحازم ولم يزل يخدم في صف الجيش بهذه البلاد الصحراوية من يوم تاسيسه الى اليوم بكل نشاط وحزم.

فلاخينا الاستاذ السيد ماء العنين علي مربيه ربه جزيل الشكر والثناء على خدماته الجليلة الواجبة نحو الوطن.

الامضاء القيادة العليا للجيش.

امضاء المسؤول عن الجيش.
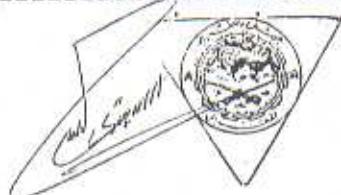
شهادة تقدير من قيادة جيش التحرير الصحراوي المغربي
للمرحوم ماء العينين علي مربيه ربه

القيادة العليا
جيش التحرير الصحراوي المغربي

بتاريخ 15/1/1960

شهادة

نحن رئيس قيادة جيش التحرير الصحراوي المغربي نشهد بأن المجاهد علي بن الشيخ ماء العينين مربيه ربه [illegible] ... قاوم الاستعمار الاسباني والفرنسي وحضر عدة معارك في الجنوب كمعركة (ادشيرة) (وطريق السدرة) (والبلايبة) كما قام بعدة عمليات حربية في الكثير من المناطق المحتلة ضد العدو المستعمر ومن جراء مقاومته ودفاعه عن الوطن واخلاصه لمقدساته الوطنية فقد صادر الاستعمار ماله من اموال ونفاه واضطهده.
وقد سلمت له هذه الشهادة لما عهدناه فيه من اوصاف واخلاص والعمل الشريف.
والسلام.

الامضاء رئيس القيادة العليا لجيش
التحرير الصحراوي المغربي
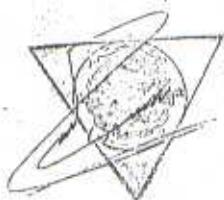
شهادة تقدير من قيادة جيش التحرير الصحراوي المغربي
للمرحوم ماء العينين علي مربيه ربه

قصائد شعرية

بلبلة سوس والصحراء

خديجة أبي بكر ماء العينين(*)

****

يقولون: منْ سوسٍ، فقلتُ لهم: نَعَمْ. * بها كان ميلادي ومهْدُ طفولتي

يقولون: من سوسٍ، فقلتُ لهم: نعم. * أليس بها مثوى الجدودِ وخُلّتي

يقولون: من سوسٍ، أقول لهم: نعمْ. * لئن كنتُ من سوسٍ فتلك حقيقتي

يقولون: والصحراء، قلتُ: كذلكُمْ. * تقاسمَتِ الصحراءُ والسوسُ مهْجتي

أحِنُّ إلى هذي، وتلك، وإنَّ لي * هنا موطني الأصلي، وثَمَّ أُرُومَتي

غَنيتُ بكِلْتا الجَنّتَيْنِ طبيقَةً * وأقْطِفُ من داني القطوفِ مودَّتي

وغنّيْتُ حتى قيل: بُلْبُلَةٌ شَدَتْ * وما كان شَدْوِي غيرَ بوْحٍ قصيدتي

(*) - أستاذة باحثة – أولاد تايمة (هوارة).

العلاقة بين سوس والصحراء

خديجة أبي بكر ماء العينين(*)

****

هو الشعر في كفي بشتى الإرادات * متى شئته لبّى بأسمى العباراتِ

أحول بحقل الشعر فاح عبيره * فأقطف من زهر القوافي النديات

تنضد أزهارَ القوافي قصيدةٌ * بها ذَوْبُ روحي وارتيادُ الصّبابات

متى ذكر القلبُ الْمُعنّى حبيبَه * جرت عبرةُ الولهان رغم المسرّات

فعاش على ذكر الأحبّة علّةُ * بهمْ يتناسى الْهمَّ في كلّ حالات

هلمُّوا إلى سُوسٍ نقبّلْ ترابها * نخلّدْ بها أرْواحَ أهْلِ الْمُروءات

نُكرّمْ منهم واحدًا إثْر واحدٍ * وتكْريمُهُم في سُوسَ أضعافُ مرّات

قفوا وقفةَ الْمُسْتَعْبر الصّبّ واقرأُوا * على رُوحِ نجْلِ الْمُصْطَفى(1) سَبْعَ

وإمّا قرَأْتُمْ آيةً لِتَرحّموا * فلا تتْرُكوا صَحْبًا وأهلَ القرابات

لئن كرّمتْ سُوسٌ أديبًا لعلمه * فقد أدْركتْ فيه الْمَزايا الكثيرات

وذكّرها الصحراءَ سامر أهلُها * من الشعراء الْغُرّ إلْفًا لِميقات

وأحْيَوْا ليالِي الأُنْس رغْمِ ظروفهم * فواعَجَبًا أنّى اهْتَدَوْا للدراسات

قضَوْا في جهاد مُسْتمِرٍ نهارَهم * فما عرفوا غيرَ الْقنا واليَراعات

أقامتْ رجالاتُ الجنوب تواصُلاً * يظلُّ شُعاعًا حاملاً للرسالات

أجادوا فأحْيَوْا لِلْقديم وجدّدوا * عُكاظَ لأرباب الْحِجا والْمَهارات

تَحِنُّ إلى الصحراء سوسٌ لساعةٍ * وكم حنّت الصحرا إلى سوسَ ساعات

بها الشيخ ماء العينين حطّ رحالَه * يذود عن الإسلام خيْرِ الدِّيانات

ليَخْلُفه أبناؤُه ويُتمّموا * مسيرتَهُ في طرْدِ جيشِ الْحِمايات

مَزيغٌ وعُرْبانٌ يُؤلّفُ بيْنَهم * جهادٌ وعلْمٌ واتّحاد الإرادات

وكُلٌّ عن الأوطان ظلّ مُدافِعا * فكمْ هجماتٍ سَدُّوها وغارات

لقد أُفْلحتْ قومي مَزيغًا ويَعْرُبًا * وفي ظلّ حامي العرش رمز السيادات

لئن جُرّعُوا كأسَ الْمَنايا فحسْبُهم * بأن شرّف الموتَ احتضانُ الرجالات

سيُحْيِيهمُ التاريخ بَرًّا بوعده * لهم بَصَمَاتٌ قد أُحيطَتْ بهالات

(*) - أستاذة باحثة - أولاد تايمة (هوارة).

(1) - نجل للمصطفى: الفقيد ماء العينين علي مربيه ربه، لأن الاسم الحقيقي لوالده: محمد مصطفى مربيه ربه.

أتزنيت الحبيبة

ماء العينين الولي بن ماء العينين محمد بوي (*)

****

من بين الكرامات التي خص الله تبارك وتعالى بها شيخنا الشيخ مربيه ربه بن شيخنا الشيخ ماء العينين عن إخوته، مع أن كل واحد منهم نبراس في كل شيء، كونه سمى بنيه على إخوته جميعا، وزاد عليهم ما شاء الله لا قوة إلا بالله أسماء صحابة النبي صلى الله عليه وسلم.

وهكذا كان اسم علي على اسم جدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وفعلا لقد كان علي عليا في كل شيء. ربطته مع والدي وشيخي الشيخ ماء العينين محمد بوي صداقة حقيقية لاحظت من خلالها فيه أخلاقيات ما نسمعه عن جملة أسلافنا. لذلك حرصت، والله تعالى يعلم أني وصلت من خارج الوطن منذ يومين، على حضور هذا اليوم التكريمي، أولا لمكانة الفقيد، وثانيا لتحية مؤسسة الشيخ مربيه ربه لإحياء التراث والتبادل الثقافي والمجلس البلدي لمدينة تزنيت، على هذه البادرة الطيبة.

وفي الطريق كان هناك سرعة البديهة، وكان هناك حضور لضمير الشعر، فقلت:

أتزنيت الحبيبة يا صحابي * دعتني ما يكون إذًا جوابي

دعتني للتذكر قلت مرحى * وذي بعض الأبايت في الجراب

أُضَمِّخ بالشذى منها المسمى * عليا في الحضور وفي الغياب

عَلِيٌّ في مكانته تسامى * كما تسمو النجوم على السحاب

أبي النفس موصول السجايا * بوالده المجاهد والمهاب

لقد قبس الفتوة والترقي * مِنَ المنسوب حق الانتساب

إلى مكنون عِلْم للمربي * تُرَوْنِقُه عُقُودٌ مِن أداب

فنعم العلم والأدب المرجى * ونعم العقل وصلا للخطاب

سألت الله أن يَرْحَمْ دواما * عليا بانسكاب في انسكاب

على أرض قد احتضنته هاذي * وتحتضن الجدود على الروابي

(*) - شاعر - مقيم بالإمارات.

صورة للفقيد

أبا نعمان

مروان الأكرمي(*)

****

أتزنيت الحبيبة قد دعاني * إلى مغناك حب قد براني
أتيت يهزني شوق دفين * يخامرني فتذكيه الأماني
لأنثر في ربوعك من شعوري * تراتيلا يجيش بها كياني
يفوح أريجها في كل حرف * يبث إلى الأحبة ما أعاني
تراتل في الفقيد أبي المزايا * سليل المجد، من فوق العنان
عليّ نجل قطب القطر طرًّا * مُودِّعنا إلى خلد الجنان
أبيّ النفس نبراس البرايا * عديم النّد في هذا الأوان
سَنيُّ الخُلُق ذو نهج قويم * سَديدُ الرأي ليس له مُدَان
يصوم عن الفضول وكل لغو * ويحكم -صادقا- بروى الجنان
شريف ماجد ندب تقي * عزيز المكرمات رفيعُ شان
جليل القدر شهم لا يضاهي * يُقِرُّ بذا الأباعد والأداني
عفيف لا يخور به حطام * ويمقت من يباهي بالمباني
طموح شبّ في طلب المعالي * ففي شتى العلوم له يدان
عِصامي المجد يسعى باجتهاد * إلى أن حاز سَبْقا في الرهان
بحزم قد تحدى به صروفا * وعزم ما ثنته يد الزمان
سلوا عنه الفضائل وهْيَ تبكي * عليه، فكم حماها مِلْهوان[1]
سلوا عنه العلوم وقد رعاها * فوثقها بفهم واتئمان
فأداها لذي ظما شغوف * أمانة من تحق له التهاني
سلوا عنه لسان العرب كم صا * ن جَوْهَرَه بأسوار البيان

(*) - أستاذ باحث - أكادير.
(1) - ملهوان: من الهوان، حذفت النون للضرورة الشعرية.

ففـي الشـعر البديـع لـه فنـون * تضاهي السحر في الدرر الْحِسان

وأنغـام بهـا تسـمو القـوافي * علـى مـتن الخيـال بـلا عِنـان

إذا أهدى القصيدَ ترى جموعـا * سـكارى بـالطريف مِـن المعـاني

يقـود الناشـئين بهـا ويَهْـدي * قواربهـم إلى شـاطئ الأمـان

يَحُضُّ علـى العُلى دوما ويدعو * إلى سـعي حثيـث بـلا تـوان

سـيبقى في الزمـان لنـا مضيئـا * بنصحـه مـا تنـاوب فرقـدان

فلسـنا إن مضـى بمخالفيـه * على سُبل السلام والاطمنان[2]

أبـا نعمـان نحـن علـى عهـود * كمـا ترضـى نكـون وبالتفـاني

سقت مثواك من ربي الغـوادي * مـنَ الرحمـات تَهْمِـي كـلَّ آن

وأمتـع روحكـم بـجنان عـدن * ففيهـا لمثلكـم كـل الأمـاني

لنـا في الله بعدكـم عـزاء * وإن كنـا نعـاني مـا نعـاني

---

(2) - الاطمنان: الاطمئنان، حذفت الهمزة للضرورة الشعرية.

لله دركم يا سادتي

جهادي حسين البعمراني (*)

****

لله دركم يا سادتي طلعت * منكم فرائدُ مثل الشمس والقمر

أفدتم من جزيل البحث ما عظمت * به مدينتنا تزيت في العمر

أشدتم بسليل ما العيتين عَلي * وما رواه هنا وكذاك من درر

قد كان ذا فرع ذاك الطود فاجتمعت * في قطرنا من أصول العلم والفكر

وكذاك شيخ الهدى أحلو مزارته * شعاعه عمّ هذا القطر كالقدر

يُحاذِ قد بدتِ اليوم شاعرة * في شخص سيدة النسوان والزمر

خديجةٌ نلت من سحر البيان ذرًى * والسحر منه حلال يا ابنة الغرر

لله درك يا لمطا وما ولدت * جزولة من بنات السيف والعبر

إنا نحس هنا بأصل مازغنا * كما نحل هنا ما جاء عن عمر

لما أتم الشاعر هذه القصيدة، وقد ذكر فيها الشاعرة خديجة، أجابته بقولها:

جُزيتَ عن أسرة الشيخ الجليل علي * يا شاعرا صادق الإحساس والصّور

دعوت قافية جاءتك طائعة * أَلْقَتْ أزِمَّتها في كف مقتدر

حتى تشيد بزين العابدين علي * له مزايا بعَدّ غير منحصر

لقد ضممت مدى التاريخ مفخرة * لما تشرّفت بالتكريم للغرر

وفي الإشادة إخلاص ومكرمة * وكل حب صفا من لوثة الكدر

إيه جهادي فحسن العهد فاح به * شعر تُغلّيه من إلهامك الذَفر

تُذرُّ عنبره والمسك خالطه * فيرتع الشعر في بستانك العطر

بررت وكذاك فلتظفر بميمنة * ولتزو عن عمر الفاروق وافتخر

وما جزولة أو لمطا سوى ذِكَر * من وحي تاريخنا توحَى لمدّكِر

(*) - أستاذ باحث - الدار البيضاء.

نص البرقية المرفوعة إلى صاحب الجلالة

الملك الحسن الثاني نصره الله

بسم الله الرحمن الرحيم.

برقية تجديد وشائج الولاء والمحبة والإخلاص لصاحب الجلالة نصره الله

إلى جناب مستشار صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني، نصره الله وأيده.
الديوان الملكي
الرباط

سيادة المستشار:

السلام عليكم ورحمة الله، والدعاء لله عز وجل أن يزيد مولانا الإمام عزا ونصرا وتمكينا.

وبعد، فيتشرف رعايا صاحب الجلالة، الحاضرون في الملتقى الفكري الذي نظمته في إطار احتفالات الأمة بعيد الشباب المجيد، مؤسسة الشيخ مربيه ربه لإحياء التراث والتبادل الثقافي، بتعاون مع المجلس البلدي لمدينة تزنيت يوم 12 يوليوز الجاري، تحت شعار: «**سوس والصحراء المغربية: تواصل ثقافي وفكري**»، أن يلتمسوا من سيادتكم، أن ترفعوا باسمهم إلى مقام حضرة صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله، نص البرقية التالية:

الحمد لله، وصلى الله على سيدنا محمد الرحمة المهداة، وعلى آله وصحبه.

مولانا أمير المؤمنين، سبط خاتم النبيئين، المبعوث رحمة للعالمين، صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله.

السلام والرحمة والبركة على مقامكم العالي بالله.

إنه لشرف عظيم لرعايا جلالتكم، المتعلقون بأهداب عرشكم المنيف، الحاضرون في الندوة التي نظمتها مؤسسة الشيخ مربيه ربه لإحياء التراث والتبادل الثقافي، بتعاون مع المجلس البلدي لمدينة تزنيت، لتكريم أحد خدام عرشكم المتفانون في محبتكم، الفقيد المقاوم والأديب ماء العينين علي بن الشيخ مربيه ربه رحمه الله، أن يغتنموا فرصة اختتام أشغال هذا اليوم الدراسي، المنظم في إطار الاحتفالات بعيد الشباب المجيد، تحت عنوان: «**سوس والصحراء المغربية: تواصل ثقافي وفكري**»، ليرفعوا إلى مقام الحضرة العلية، أسمى آيات التهاني بمناسبة الذكرى العطرة لميلاد جدكم الأكرم صلى الله عليه وسلم، وعيد ميلاد جنابكم الشريف أسماه الله، ورفع قدره وعلاه، مجددين لكم أعزكم الله

ثوابت الولاء والمحبة والطاعة والإجلال، وأواصر الإخلاص والامتنان والتعلق المتين بأهداب العرش العلوي المجيد.

مغتنمين هذه المناسبة كذلك، وقد استمعنا، بإمعان وإيمان، إلى الخطاب المولوي بمناسبة عيد الشباب المجيد، الذي يأتي في هذا الظرف التاريخي المتميز بمسيرات حسنية يباركها الرحمن، لنؤكد لمولانا الإمام، عظيم الامتنان والإكبار، على كل ما تضمنه الخطاب المولوي السامي لفائدة الأمة المعتزة بالوحدة الوطنية، وبانتمائها إلى شعب الدوحة العلوية الشريفة، وبما خصه الجناب الشريف من عطف وعناية وبواعث البشارات، لفائدة الشباب حاملي الشهادات، والأطفال الفقراء والمعاقين، وإن أفئدة رعايا جلالتكم لتفيض بالشكر الجزيل، لمقامكم العالي بالله على هذه الالتفاتة المولوية الكريمة التاريخية، والتي بمداها الواسع تنعم بسابغ الرحمة والعطف والإغاثة لفئة كبيرة من الأطفال الأبرياء الذين قسى عليهم القدر.

وإننا يا مولاي إذ نجدد التعبير عن العزم والوفاء بالعهد، وأسمى مراتب التعلق بشخص جلالتكم العظيم، يعلم الله أننا لفخورون بما يتمتع به شعبكم من تقدم ورقي وتكريم ومواكبة التقدم والنماء، جزاكم الله عنا خيرا، وأدام لنا نعمة وجودكم، ومتعكم بالصحة والعافية والبركة في العمر، قرير العين والفؤاد بأصحاب السمو الملكي الأمراء والأميرات الأمجاد، وعلى رأسهم ولي العهد الأمير سيدي محمد، وصنوه المجيد مولاي رشيد، وسائر أفراد الأسرة الملكية الشريفة، إنه تعالى على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير.

والسلام على مقامكم العالي بالله.

حرر بتزنيت في: 17 ربيع الأول 1419هـ.
الموافق لـ: 12 يوليوز 1998م.

رئيس مؤسسة الشيخ مربيه ربه
لإحياء التراث والتبادل الثقافي
ماء العينين هيبة أحمد

رئيس المجلس البلدي
أحمد إديعز

اليوم الدراسي

في الصحف الوطنية

المنظمة

العدد 340 السبت 9 ربيع الاول 1419 الموافق 4 يوليوز 1998

الذكرى الاولى لوفاة الشيخ ماء العينين مربيه ربه

رمز من رموز الحركة الوطنية في الجنوب المغربي

تنظم مؤسسة الشيخ مربيه ربه لاحياء التراث والتبادل الثقافي بتعاون مع المجلس البلدي لمدينة تزنيت يوم 12 يوليوز القادم يوما دراسيا حول موضوع «سوس والصحراء المغربية... تواصل ثقافي وفكري» احياء للذكرى الاولى لوفاة الشيخ العلامة ماء العينين علي مربيه ربه (1997-1934).

ويعتبر هذا اليوم الدراسي مناسبة للتعريف بالجوانب التراثية والتاريخية والفكرية التي ربطت عبر العصور شمال المغرب بجنوبه وساهمت في تمتين وشائج التآخي والتآزر واواصر الانتماء الى هذا الوطن في ظل الوحدة والحرية والاستقلال رغم المحاولات الاستعمارية.

واوضحت مصادر من مؤسسة الشيخ مربيه ربه ان هذا الملتقى الثقافي جاء ليسلط الاضواء على الكثير من الحقائق والمعطيات والثوابت التي اراد الاستعمار طمسها وتحريفها لاضعاف شوكة المغاربة وصرفهم عن السير على نهج اجدادهم وامجادهم في استعادة هيبة الدولة المغربية وتوحيد صفوف ابنائها تحت قيادة سلاطين الاسرة العلوية الشريفة.

واضافت ان الشيخ ماء العينين علي مربيه ربه يعتبر احد رموز الحركة الوطنية في الجنوب المغربي الذي حرص مثل كافة مجايليه من ابناء ربوع الصحراء على الاستمرار في السير وفق هذا النهج حيث انخرط مبكرا في حزب الاستقلال ثم في الاتحاد الوطني للقوات الشعبية.

كما شارك في مؤتمر ام الشكاك سنة 1956 الذي ترأسه الشيخ محمد الاغظف بن الشيخ ماء العينين ومؤتمر بوخشيبة سنة 1958 الذي ترأسه آنذاك جلالة الملك الحسن الثاني وهو ولي للعهد آنذاك، وحصل على عدة اوسمة ملكية سامية تقديرا لمواقفه الوطنية واخلاصه وولائه للعرش العلوي.

والشيخ ماء العينين علي مربيه ربه المتوفى يوم 12 يوليوز 1997 هو حفيد الشيخ المجاهد مربيه ربه بن الشيخ ماء العينين نشأ في أسرة علم وصلاح وجهاد، حفظ القرآن مبكرا على يد والده وتشرب متون اللغة والفقه والعلوم واصول الدين ثم رحل لاسبانيا ليتابع دراسته ببرشلونة وعاد لينخرط في صفوف الحركة الوطنية وظلت السلطات الاستعمارية الاسبانية تطارده بسبب تحركاته والتقائه باهم زعماء الحركة الوطنية.

الشيخ العلامة حاصل على الاجازة من كلية الشريعة ولم تكن انشغالاته وهمومه الوطنية تمنع توقد نشاطه الابداعي ان لم تكن قد زادته توهجا وحماسة فقد خلف منظومات واشعار في مختلف الاغراض وتقارير لكتب عديدة واخوانيات ومقالات ساهم بها في تعميق النقاشات السياسية والوطنية. وترك مكتبة قيمة تضم الكثير من المخطوطات والكتب النفيسة التي سخر حياته لجمعها.

يذكر ان اليوم الدراسي الذي ستحتضنه قاعة الشيخ ماء العينين بمدينة تزنيت سيعرف مشاركة نخبة من الاساتذة والباحثين القادمين من الرباط والمحمدية واكادير وتزنيت.

(و.م.ع)

LE MATIN
du Sahara et du Maghreb

JEUDI 2 JUILLET 1998

Histoire de la Résistance

A la découverte d'un symbole

Une journée d'étude sur l'œuvre de Cheikh Mrabih Rabbo

L'œuvre de Cheikh Maâ Al Aïnine Mrabih Rabbo sera au centre d'une journée d'étude, prévue le 12 juillet à Tiznit, à l'initiative conjointe de la Fondation Mrabih Rabbo et de la municipalité de la ville.

Selon la Fondation Mrabih Rabbo, cette rencontre, organisée en commémoration du premier anniversaire du décès de Cheikh Ali Mrabih Rabbo (1934-1997), ambitionne à faire la lumière sur les liens historiques et culturels entre le nord et le sud du Royaume, en particulier entre la région du Souss et les provinces sahariennes, et de mettre en exergue certaines vérités que le colonisateur s'évertuait à cacher et à fasifier pour affaiblir la volonté des Marocains et leur aspiration à l'unité sous la conduite des Souverains Alaouites.

Cheikh Mrabih Rabbo, qui a persévéré dans cette voie, est un symbole du mouvement national dans le sud marocain.

Il a rallié dans sa jeunesse le parti de l'Istiqlal avant de militer au sein de l'Union nationale des forces populaires (UNFP).

Il a également participé en 1959 au Congrès d'Oum Chegag, présidé par cheikh Mohamed Laghdaf Maâ Al Aïnine et à la conférence de Boukhchiba, présidée en 1958 par le Prince Héritier Moulay Hassan.

Décoré de plusieurs Wissams Alaouites, cheikh Maâ Al Aïnine Mrabih Rabbo, décédé le 12 juillet 1997, est le petit-fils du cheikh Mrabih Rabbo Ben cheikh Maâ Al Aïnine.

Elevé au sein d'une famille de savoir et de jihad, il a appris précocemment le Coran grâce à son père qui l'initiera aussi à la langue arabe et aux sciences islamiques.

Après avoir poursuivi des études à Barcelone (Espagne), il regagne le Maroc pour rejoindre les rangs du Mouvement national, où il sera continuellement pourchassé par les autorités coloniales espagnoles.

Engagement

L'engagement politique de cet érudit, titulaire d'une licence à la Faculté de la chariâ, ne l'a pas pour autant empêché d'écrire des poèmes et des essais littéraires qui ont embrassé différents thèmes.

Cette journée d'étude, qui aura lieu à la salle cheikh Maâ Al Aïnine à Tiznit, verra la participation d'une pléiade d'universitaires et de chercheurs de Rabat, de Mohammédia, d'Agadir et de Tiznit. (MAP)

LE MATIN
du Sahara et du Maghreb

JEUDI 2 JUILLET 1998

Histoire de la Résistance

A la découverte d'un symbole

Une journée d'étude sur l'œuvre de Cheikh Mrabih Rabbo

L'œuvre de Cheikh Maâ Al Aïnine Mrabih Rabbo sera au centre d'une journée d'étude, prévue le 12 juillet à Tiznit, à l'initiative conjointe de la Fondation Mrabih Rabbo et de la municipalité de la ville.

Selon la Fondation Mrabih Rabbo, cette rencontre, organisée en commémoration du premier anniversaire du décès de Cheikh Ali Mrabih Rabbo (1934-1997), ambitionne à faire la lumière sur les liens historiques et culturels entre le nord et le sud du Royaume, en particulier entre la région du Souss et les provinces sahariennes, et de mettre en exergue certaines vérités que le colonisateur s'évertuait à cacher et à fasifier pour affaiblir la volonté des Marocains et leur aspiration à l'unité sous la conduite des Souverains Alaouites.

Cheikh Mrabih Rabbo, qui a persévéré dans cette voie, est un symbole du mouvement national dans le sud marocain.

Il a rallié dans sa jeunesse le parti de l'Istiqlal avant de militer au sein de l'Union nationale des forces populaires (UNFP).

Il a également participé en 1959 au Congrès d'Oum Chegag, présidé par cheikh Mohamed Laghdaf Maâ Al Aïnine et à la conférence de Boukhchiba, présidée en 1958 par le Prince Héritier Moulay Hassan.

Décoré de plusieurs Wissams Alaouites, cheikh Maâ Al Aïnine Mrabih Rabbo, décédé le 12 juillet 1997, est le petit-fils du cheikh Mrabih Rabbo Ben cheikh Maâ Al Aïnine.

Elevé au sein d'une famille de savoir et de jihad, il a appris précocemment le Coran grâce à son père qui l'initiera aussi à la langue arabe et aux sciences islamiques.

Après avoir poursuivi des études à Barcelone (Espagne), il regagne le Maroc pour rejoindre les rangs du Mouvement national, où il sera continuellement pourchassé par les autorités coloniales espagnoles.

Engagement

L'engagement politique de cet érudit, titulaire d'une licence à la Faculté de la chariâ, ne l'a pas pour autant empêché d'écrire des poèmes et des essais littéraires qui ont embrassé différents thèmes.

Cette journée d'étude, qui aura lieu à la salle cheikh Maâ Al Aïnine à Tiznit, verra la participation d'une pléiade d'universitaires et de chercheurs de Rabat, de Mohammédia, d'Agadir et de Tiznit. (MAP)

يوم دراسي في تزنيت:

سوس والصحراء المغربية.. تواصل ثقافي وفكري

■ نظمت مؤسسة (الشيخ مربيه ربه لإحياء التراث والتبادل الثقافي) في الأحد الماضي بتزنيت يوما دراسيا حول موضوع «سوس والصحراء المغربية.. تواصل ثقافي وفكري» وذلك تكريما للراحل الشيخ ماء العينين علي مربيه ربه.

وتمحورت اعمال هذا اليوم الذي نظم بتعاون مع المجلس البلدي لمدينة تزنيت حول الاسهامات الفكرية والثقافية والجهادية للشيخ مربيه ربه (1934، 1997) باعتباره احد رموز الحركة الوطنية والنبوغ الديني والعلمي التي ظلت حريصة على التمسك بهويتها المغربية الاصلية رغم الظروف الاستعمارية التي حاولت طمسها.

وقد خصص منظمو هذا اللقاء حيزا كبيرا لإلقاء شهادات في حق المحتفى به تناولت جوانب كثيرة من حياته منذ نشاته الاولى في اسرة صحراوية عريقة عرفت بصلاحها وعلمها وجهادها في سبيل وحدة الوطن والدفاع عن سيادته وحريته تحت قيادة بطل العروبة والاسلام جلالة المغفور له محمد الخامس ورفيقه في الكفاح جلالة الملك الحسن الثاني.

وركزت هذه الشهادات على الانخراط المبكر للشيخ العلامة ماء العينين علي مربيه ربه في صفوف الحركة الوطنية وارتباطه الوثيق بزعمائها وحضوره للقيادتها سواء داخل منطقة النفوذ الاستعماري الاسباني او الفرنسي مما جعله عرضة للمضايقات والمتابعات.

كما اكدت ان نشاطه الوطني والسياسي في حزب الاستقلال وفي الاتحاد الوطني للقوات الشعبية لم يكن يمنع توقد نشاطه العلمي والثقافي اذ تشرب متون اللغة والفقه والعلوم ورحل الى اسبانيا ليتابع دراسته ببرشلونة وليكرس حياته فيما بعد لقضية وطنه على الواجهتين العلمية والنضالية الميدانية.

وركز المحور التاريخي لهذا اللقاء على مساهمة الشيخ ماء العينين علي مربيه ربه في الاهتمام بتراث الاقاليم الجنوبية ورجالات المقاومة في هذه المناطق وجهاد الشيخ الراحل والقبائل السوسية من خلال وثائق محلية والتمازج الثقافي والاجتماعي بين سوس والاقاليم الجنوبية.

وخلصت المداخلات والوثائق والمخطوطات التي قدمت في الموضوع الى انه بالرغم من الحواجز الاستعمارية الوهمية بين شمال المغرب وجنوبه فإن العلاقة بقيت قوية وعميقة بين سوس والاقاليم الجنوبية.

وتناول المحور الادبي الرواية الشفوية ودورها في خدمة البحث العلمي وسبيل الاقتناع بوجوب الوحدة والاجماع ومظاهر التواصل العلمي والروحي بين علماء سوس والاقاليم الجنوبية والسجل الفكري بينهما والادباء الصحراويون في المدرسة الالفية فضلا عن تناوله للمساجلات الشعرية بين ابناء المنطقة.

والقيت خلال الجلسة المخصصة لهذا المحور قصائد شعرية لكل من الشاعرة خديجة ماء العينين والشاعر حسن المددي.

وكان عميد كلية الآداب والعلوم الانسانية بجامعة ابن زهر ورئيس مؤسسة الشيخ مربيه ربه لإحياء التراث والتبادل الثقافي والمندوب الجهوي للمندوبية السامية لقدماء المقاومين واعضاء جيش التحرير قد اكدوا في افتتاح هذا اليوم الدراسي اهمية مثل هذه الملتقيات العلمية والادبية في تسليط الضوء على الحقائق التاريخية والمواقف الثابتة لأبناء الوطن الواحد دفاعا عن الهوية الوطنية ومواجهة لكل التحديات والمؤامرات الاستعمارية.

وشارك في هذا اللقاء اساتذة وباحثون جامعيون من الرباط والدار البيضاء والمحمدية واكادير وتزنيت والعيون اضافة الى ادباء ومفكرين من منطقة سوس والاقاليم الجنوبية.

العلم - العدد 17611 الخميس 21 ربيع الأول 1419 الموافق 16 يوليوز 1998 AL-AL- No 17611 Jeudi 16 Juillet 1998

فهرس

III- الشهادات

والمجتمع الذي لا يعرف لأبنائه حقهم، ولا يحافظ لهم على مكانتهم، ولا يُخلّدهم في ذاكرته قدوة، ولا يشيد بهم عطاء ورمزا للسمُوّ، مجتمع محكوم عليه بالاضمحلال، أو في أبسط الأحوال بالذوبان وفُقدان الشخصية.

من هنا يكون الاحتفاء برموز المجتمع حقا على عاتق أبنائه، إن هم تخلوا عنه دفعوا بمجتمعهم إلى الانتحار والاندثار، وإن أقاموا لنماذج المجتمع أمكنة لائقة بهم في أفكار الأجيال، ليأخذوا عنهم القدوة، ويبلوروا عطاءهم، ويُتمّموا عملهم، ويشُقّوا طرقا موصولة بطرقهم، ومعبّدة سبُلا لآفاق جديدة، كان المجتمع أصيلا متجددا ذا طابع يميزه عن غيره، لخدمة شخصيته المتميزة، وتنوير عطائه الثرّ، ولن يكون له ذلك إلا بالشموخ، رفعا لكل إيجابياته، متخلّصا من سلبياته.

فواجبنا كلما سنحت لنا فرصة لذكر أحد أعلام مجتمعنا، أن نبادر إلى التعريف به، وفاء لعهده، وسيرا لعطائه، وإخلاصا لعمله.